رواية

قَطِيعَةُ الْعاشِقين

WONDER
HOUSE
دار العجائب للنشر والتوزيع

رواية

قَطِيعَةُ الْعاشِقين

سلطان منيف

الطبعة الثانية

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٦م

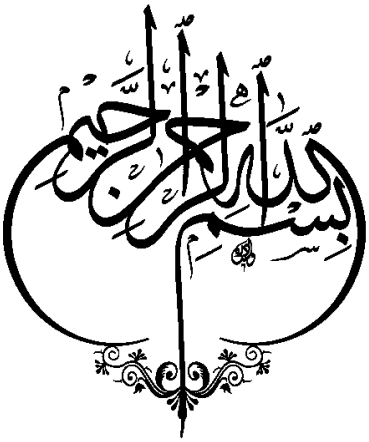
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى مَن وقفَ النصيب ضدّ حُبِّهم

الطُّفولة

براءةٌ، لهوٌ، مشاعرٌ وانبهار

لَكِنَّنا

عندما نَكْبُرُ...

نَجْهَلُ الْحياةَ

ونَجْهَلُ الأَسرار

الفصل الأول

عند الثانية ظهرًا تنادي أشواق والدة سارة من خلف الشباك في الدور العلوي:

انتهى وقت اللعب، الآن وقت الغداء ثم المذاكرة.

يضم كفيه طلال على فمه الصغير وينادي:

- يا عمتي لم نشبع بعد... أرجوك... أرجوك نريد اللعب أكثر...

بصوت مرتفع تنادي أشواق:

- هي خمس دقائق وأنتظرك يا سارة.

وتغلق الشباك...

ترمي سارة من يدها اللعبة وتقول:

- إن تأخرت لن أسلم من اللوم، سأذهب ولكن لا تعبث بألعابي.

تركض سارة لتدخل إلى منزلها، ويشرع طلال بالعودة إلى والدته، لكنه يتراجع ويلحق بسارة.

تسمع من يلحق بها تستدير لترى من.

- طلال هذا أنت!

- لنكمل اللعب عندكم في البيت، في غرفة الجلوس ما رأيك؟ إنها واسعة وفسيحة، لن تضيق بنا وبألعابنا.

- غرفة أبي؟ لن تقبل أمي.

- سأقنعها أنا.

كانت أشواق في مطبخها الصغير، تجهز وجبة الغداء، ولأنها منشغلة لن تعارض إلحاح سارة وطلال، تقول وهي تأشر بإصبعها:

- لا أريد الصوت يرتفع.

تعدها سارة ويقسم لها طلال.

في هذه الغرفة الواسعة تنشغل سارة في لعبة تركيب تبدع فيها أشكالًا جميلة، مفتونة بالألوان.

أمّا طلال ففضوله يدفعه لاستكشاف عوالم الغرفة، لم يتوقف حتى لمح أقلامًا وظرف أوراق كان قد رأى ما يشبهه مع صديقه وليد وكم تمنى أن يحصل على ظرف مشابه.

يلتفت لسارة ويتأكد من انشغالها ليأخذ الظرف الكبير محاولًا أن يخفيه خلف ظهره.

يغادر سريعًا دون أن تلحظه سارة، وعندما سقطت اللعبة من يدها، تناديه لمساعدتها في جمع أجزائها لتلحظ غيابه.

- تنادي: طلال... طلال...

لكن ما من إجابة

تخرج إلى والدتها وتجدها ذهبت للغرفة، تلحق بها

- وتقول: طلال متى خرج؟

وترد أمها: لا أعلم، ربما تجدينه في إحدى الغرف فضوله لا يشبع أبدًا هذا الطفل.

تبدأ سارة جولتها في غرف المنزل ولا تجده، تنادي:

- أمي، طلال غير موجود ما رأيك أن أخرج لأبحث عنه؟

تعارضها أمها: لا تبحثي سأتصل بأمه عائشة، وتخبرني، أين هاتفي، صحيح تذكرت، هناك في المطبخ.

- تقول سارة: أنا أذهب وأحضره لك.

تذهب مسرعة وتقدمه لوالدتها، لتتصل ومع الرنة الثانية ترد عائشة:

- أهلًا أم سارة، كيف حالك؟

- أشواق: كان طلال يلعب مع سارة وخرج دون أي صوت ولم نجده، أرجو أن اطمئن عليه؟

- عائشة: لحظة... لحظة وتسرع في خطواتها في غرف البيت ولا تجده، تتوتر أكثر وتسألها كيف يخرج دون علمكم؟

وقبل جوابها تجده ومعه ظرف، يحاول أن يخفيه.

- تقول: وجدته لله الحمد، أستودعكم الله.

- أشواق: الحمد لله أنه في المنزل، حفظكم الله.

تقترب عائشة من طلال تطلب منه الوقوف سريعًا

يقف وتسأله، لماذا تحرجني؟

- هل يرضيك أن عمك خالد يغضب وعمتك أشواق ترتبك، لماذا لا تخبرهم قبل خروجك؟

تلعثمت الكلمات في فم طلال وقال:

- سارة مشغولة باللعب، وعمتي أشواق تحضر الغداء، وأنا كبيرٌ لم أعد صغيرًا كي تقلقوا عليّ كلما خرجت من بيت عمي إلى بيتنا فالبيت واحد، ولا تنسي يا أمي عمري عشرة أعوام.

بصوت هادئ تقول: الكبير يتفهم خوف أحبابه وإن كررت هذا التصرف سأعاملك كأنك طفل وأقيد حركتك.

كعادته طلال يبدأ حديثه في الأيمان: أقسم لك يا أمي لن تتكرر.

تقبّله عائشة وتغادر دون أن تنتبه إلى الظرف، أمّا طلال فالسرور يملأ قلبه أنها لم تسأله عن الظرف.

يتمشى في منزله حاملًا الظرف ويصنع في خياله ردة فعل صديقه وليد عندما يشاهده معًا غدًا في المدرسة، يحاول أن يضعه في حقيبته الدراسية، لكنه لم يستطع رغم محاولاته، يدفعه الملل من المحاولات البائسة إلى ترك الظرف بقرب نظارة والده ويخرج للعب وينساه.

يصل البيت سعد والد طلال عائدًا من عمله ظهرًا، سعد الذي لا يغيّر عادته فبعد الغداء والراحة، يخرج عصرًا للقاء الأصدقاء، ويعود عند الغروب، ليجد قهوته السعودية جاهزة، فهي مشروبه المفضل مع متابعة الأخبار.

لاحظ الظرف وسأل زوجته عائشة:

- لمن هذا؟

- تقول ليس لك؟ وجدته بقرب النظارة.

- قال: سعد يبدو أنه محكم الإغلاق وهذا الظرف من أجود أنواع الورق، سأحاول فتحه...

أزاح الظرف ووجد صك! زاد استغرابه أكثر!

لبس نظارته وقرأ ما بداخله... ليصدم!!!

وتناديه عائشة:

- ماذا حصل لماذا زاد تركيزك؟

- يقول أنا لا أصدق... لماذا لم يخبرني؟

وأنا ساعدته كثيرًا...

تقول عائشة: إن تحادث نفسك هكذا إذا الوضع غير جيد... ليتك تحدثني بوضوح القلق تملكني... أرجوك تحدث...

يعطيها الورقة... لتقرأ ولا تفهم عائشة:

- وتقول: أنا لا أفهم!!! اشرح لي؟

- يقول لها: خالد يملك عددًا كبيرًا من المحلات التجارية، ولا يشاركني في أبسط الأمور في المنزل، ويتظاهر دائمًا أنه لا يملك شيئًا.

أتدرين ماذا، لن أخبره عمّا عرفته عنه، أين طلال؟

- تقول: يستعد للنوم.

- يقول: لا تخبري أحدًا، وسأتصرف بهدوء، حقيقة لقد أسعدني ما قرأت بقدر حزني في كتمان أخي.

يعيد الصك في الظرف ويرفع صوت التلفاز، وفي داخله حيرة وتضحيات لا يجد لها مبرر إلا أنه أخي الصغير.

عند العاشرة مساء يذهب سعد إلى فراشه، وقبل أن يضع هاتفه على الطاولة بالقرب من السرير، يفكر كيف أعيد الظرف؟

سأنام وفي الغد أجد الحل، يطفئ النور لينام...

ولحظة سكون لا تطول، صوت سيارة خالد تقف عند الباب، وأمامه شجرة عمرها سنوات طويلة، لا يستعجل في النزول يقرأ ما ورده من رسائل في هاتفه، يطفئ المحرك وينزل.

باب المنزل قديم وصوته مزعج، اعتاد عليه مَنْ في المنزل، الدخول منه يكفي ليكون إعلان قدوم أحدهم...

يذهب إلى شقته الصغيرة، ومع خطوات صعوده يفكر في قطعة أرض واسعة وسعرها جيد.

ليتوقف ويتصل على صديقه فهد، يرد سريعًا، ويبدأ في الحديث معه وقد توقف في وسط الدرج.

- خالد: كيف حالك يا صديقي فهد، هناك فرصة ثمينة أرجو أن تشاركي فالمبلغ كبير لأرض واقعة في أقصى شمال المدينة.

فهد: ترهق نفسك يا صديقي خاصةً أنّك تعمل صباحًا ومساءً، لكن أذكرها والحديث عنها مهم وحرصك يجعلني أقتنع منك، أنا معك وسأزورك قريبًا إن شاء الله...

- خالد: يحرج من طلب فهد فالمنزل متواضع والمكان غير جيد عادة اللقاءات يحدد لها مكان جميل.

- يقول خالد: نلتقي في أي مكان نحدده لاحقًا.

- فهد: متى ما أردت أنا جاهز لذلك اللقاء.

تنتهي المكالمة ويكمل خالد صعوده الدرج.

تسمع أشواق صوت الباب وهي جالسة في الصالة الصغيرة، ليبادرها السلام ويضع المفتاح على الطاولة، الشماغ على الكرسي، ويجلس مقابلًا لها.

- تسأله: ما بك تتأملني هكذا؟

- خالد: أصبحت أعرف كثيرًا من الأصدقاء، وكذلك أصبح لدي مصالح كبيرة، وهذا البيت لا يصلح أبدًا ولا يناسب أي لقاء مع أولئك الأشخاص.

- أشواق: جميل ولكن شراء منزل يعطل نشاطك ويضعف قدرتك كما تقول، فأنت في البداية وتحتاج رأس مال قوى حتى تحافظ على قدرتك.

- خالد: وهذا ما يجعلني أنتظر وأبحث عن فرصة دون أن يتأثر نشاطي.

- أشواق: إذن ننتظر، وقريبًا تحقق أهدافك.

خالد: هناك أرض بسعر جيد وأعتقد أني بحاجة لبيع المحلات التجارية فمردودها ضعيف، أبيعها وأستفيد من المبلغ.

- أشواق: يا زوجي العزيز أنت صاحب خبرة لا تغامر ولديك أصدقاء كثر استشرهم.

- خالد: وهذا ما أحتاجه وقريبًا أستشير صديقي فهد.

- أشواق: إن شاء الله... هل تريد أن تتناول العشاء الآن؟

قبل أن يجيبها، هاتفه يرن. خالد: هذا فهد! يرد سريعًا كنت في سيرتك الآن...

- فهد: أهلًا بك يا صديقي، ما رأيك في اللقاء عند الرابعة مساء في مكتب صديقنا سامي.

- خالد: مناسب جدًا لكن تلك الأرض فرصتها كبيرة أحتاج لمبلغ يساعدني على شراكتك وأنت تعلم جيدًا عن المحلات التجارية ومردودها الضعيف، ما رأيك في بيعها؟

- فهد: هذا قرار جيد لا سيما أن مردودها ضعيف، والمبلغ مناسب، أنصحك في بيعها بأسرع وقت ولا تتردد.

- خالد: إذن سآخذ معي الصك لمكتب سامي ونلتقي هناك.

ينهي المكالمة خالد...

- يقول: تتذكرين في غرفة الجلوس هناك في الزاوية في الدرج الثاني يوجد مجموعة من الأوراق، أريد ظرفًا وحيدًا أريده الآن.

تذهب أشواق وتفتش مرتين في الدرج لا تجد الظرف!

- تنادي: خالد أنا لا أجده تأكد من المكان.

يذهب إليها، أنا لا أغير مكانه منذ يومين شاهدته ضمن الأوراق...

تبتعد عنه، ويبحث ولا يجده، يأخذ كل الأوراق ويجلس ليبحث بدقة أكثر، ولا يجده، يذهب إلى الغرفة يواصل البحث وأيضًا

لا يتبين معه!!! يذهل!!! كيف ذلك؟!

يسأل زوجته: هل سارة أخذته؟ لنذهب إلى غرفتها، يفتح النور، تنزعج سارة وتغطي عينيها وما زالت نائمة...

يبحث في زوايا الأدراج ولا يجده، يطلب من أشواق أن تبحث تحت مخدة سارة.

ترد أشواق: البنت نائمة أجّلها إلى الصباح.

يضع خالد يده على جبهته ويقول:

- لا لا لا

ابحثي الآن وأساعدك حتى لا نوقظها.

يفشل البحث في العثور على الظرف، يزداد توتر خالد كثيرًا، يتذكر أن إجراءات بدل الفاقد للصك تحتاج وقتًا طويلًا والفرصة ثمينة.

- يسأل أشواق: في غيابي مَنْ حضر هنا؟

- تقول أشواق: الآن تذكرت ربما هو... نعم هو.

يسألها خالد: مَنْ كان هنا؟

تجيب أشواق: طلال كان مع سارة وخرج سريعًا دون أن يخبرنا بخروجه.

يرفع كفيه خالد للسماء، ويقول:

- هذا الطفل متعب وتصرفاته ترهق.

يفكر... والآن وقعت في حرج كيف أصارح أخي؟ وكيف أتمم البيع دون صك؟

أشعر في حيرة كبيرة ولا أجد حلًا.

- أشواق: هناك حلٌ وحيدٌ، خطر في بالي.

خالد بعد أن جلس، يشبك أصابعه، ويقول:

- ما الحل قولي سريعًا.

- أشواق: سارة تحب طلال كثيرًا وهما دائمًا معًا، عندما تعود غدًا سارة من مدرستها، تسأل طلال عن ظرف مهم لعمك خالد كان موجودًا في الغرفة هل وجده؟

أو أتصل على عائشة واسألها؟

- خالد: لا أريد حرجًا أكبر، وأنا مستعجل، أساله في الصباح، سأخرج باكرًا وأشير لأخي سعد على طريقي سأذهب بسارة وطلال إلى مدرستيهما.

- أشواق: هل تريد أن تأكل؟

- خالد: لست جائعًا وسأذهب لأنام.

وحقيقته أنه يفكر، ولا يجد سبيلًا، أمسك هاتفه وبعث رسالة لأخيه سعد أنه متكفلٌ في الذهاب إلى مدرسة سارة وطلال، أغلق عينيه محاولًا النوم.

رنّ المنبه عند السادسة والنصف، قرأ سعد الرسالة وأدرك السبب.

اتصل بأخيه خالد وقال:

- لا تقلق أنا الآن جاهز.

- قال: لا يا أخي أنتظر سارة

- قادم لك طلال لأمر مهم.

توقع خالد أنه الظرف وقد كشف الأمر.

لم يتكلم وقبل خروج سارة، فتح الباب وطأطأ طلال رأسه

- وقال: عمي.. عمي.. أقسم لك

لن تتكرر أعجبني هذا الظرف...

أخذه خالد سريعًا وبما أنه مفتوح، إذن سعد قرأ ما أخفاه عنه.

احتار خالد ماذا يقول؟ وبدأ يفكر كثيرًا لأنه دائمًا ما يتظاهر أنه لا يملك شيئًا.

قرر أن يصارح أخاه فذلك جهده، حزم أمره وقرر زيارته قبل خروجه مع صديقه فهد إلى مكتب سامي.

خرج خالد إلى عمله، أنجز بسرعة المطلوب منه، وغادر عمله عند الحادية عشرة متجهًا إلى مدرسة ابنته سارة، التي ما إن رأته حتى انطلقت إليه سريعًا وهي تلوح مودعة صديقاتها.

تبدأ في الحديث عن أحداث المدرسة وأنها سعيدة وأحيانًا تذكر قصة أزعجتها، لتطلب من والدها أن يتوقف وهي تشير بيدها

- أبي... أبي هنا تلك البقالة الجميلة، وقبل أيام اصطحبنا عمي سعد واشترينا منها مأكولات لذيذة.

توقف خالد وما هي إلّا لحظات وغابت ابنته سارة عن عينيه لينادیها بصوت مرتفع وترد:

- أنا هنا أبي.

ليجدها عند زاوية الألعاب ويسحب كرسي بجواره ويجلس ويقول:

- الآن يا مدللة أبيها: ما تختاري هو لك.

تبتسم وتقول:

- تلك الدمية كم أحبها.

تأخذها ويدفع خالد المطلوب لسعرها.

يصلان إلى البيت عند الواحدة ظهرًا ويصادف أخيه سعد

ليقف وينادي:

- يا أخي الأكبر كانت تربيتك حازمة لتطبقها على ابنك قد أتلف كثيرًا من الأوراق، ولابد أن أصارحك، وأثق أنك قرأت الورقة.

ابتسم سعد، اقترب وقال:

- نعم قرأت ودعوت الله لك بالتوفيق.

حاول خالد أن يبرر وقاطعه سعد

- يا أخي تلك اجتهاداتك.

أمسك يده خالد وقال:

- أرجوك لا تفهم أنه بخل أو استغلال.

ضحك سعد وقال:

- أنت أخي الصغير والأهم أنك بخير، ما نقدمه لا نذكره، يكفي أن أراك بصحة جيدة، لا تقلق والآن أدخل المنزل

لترتاح أميرة عمها سارة والعصر تستعد لتلعب مع طلال، انظر إلى كثرة الألعاب حولنا، سكون تلك الألعاب مزعج.

عند الساعة الرابعة خرج خالد ويحمل معه صك المحلات التجارية.

وعند خروج طلال إلى فناء المنزل، صادف نورة صديقة أمه عائشة ومعها ابنها الصغير ليجده استولى على لعبة سارة

وفي غفلة من أمه نورة، اشتكت سارة إلى طلال وعينها تدمع

- هذا أخذ لعبتي وهرب.

يذهب طلال لوالدته ويهمس بأذنها:

- أمي أقسم... أقسم أن هذا الولد قد سرق لعبة سارة وهي تبكي الآن.

إلّا أنّ عائشة كانت مندمجة في حديثها مع صديقتها، ليفقد الأمل طلال ويذهب لابن نورة ويحاول أن يستعيد اللعبة، لكن الولد يخفيها خلفه ليستخدم طلال آخر حلوله ويعض الولد بقسوة ليصرخ، وتنتبه أمه عائشة ويأخذ اللعبة ويهرب سريعًا وتقع في حرج كبير، تقف نورة وتمنع عائشة من اللحاق وتقول:

- يا صديقتي العزيزة متى نراعي ونهتم لمشاجرات الأطفال.

دخل ابن نورة الخوف ولازم والدته، اقترب طلال من سارة وقدم لها اللعبة. تبتسم سارة وتقول:

- أنت بطل كم أنت بطل!

يشعر بالبطولة طلال ويقول:

- لا تقلقي، أقسم أني معك.

لكن مواصلة اللعب وبراءة الأطفال تختلف عن الوعود، تجاوزت سارة طلال في عدد مرات اللعب، حتى غضب ودفعها، فسقطت تتألم وتنادي: أمي... أمي...

يرتبك طلال ويحاول أن يساعدها لا تستطيع تواصل الصراخ وتسمع أشواق صوتها، تفتح الشباك

- ما بك يا سارة؟

- تصرخ أمي لا أستطيع الوقوف، تعالي حالًا...

تخرج أشواق مسرعة تمد يدها سارة

- أمي دفعني طلال ورجلي تؤلمني

من هنا تشير على الساق وتلتفت أشواق لطلال وتقول:

- لا تدفعني لضربك أذهب لوالدتك وسأتصل بها.

تحمل سارة وتذهب، وما زال طلال يراقبها ودخله الحزن ليجلس عند الباب الخارجي ومن يصادفه يشعر بحزنه.

تصل أشواق لشقتها وتحاول أن تجعل سارة تقف، هي خائفة

ولكن بعد محاولات عدة، وقفت وبدأت تمشي لتستفز والدتها بعد أن قالت:

- أستطيع النزول لألعب مع طلال.

فقدت أعصابها أشواق وقالت:

- حتى نفقد حركتك؟ هذا يجب أن تقاطعيه.

- قالت: أمي هو لا يقصد أنا تجاوزت مرات اللعب.

حذرتها وخرجت من غرفتها وأعطتها أدوات الرسم

- لترسمي وتنسي الخروج.

ما زال طلال جالسًا حتى سمع صوت صديقة أمه نورة خارجة من المنزل ومعها طفلها يناديه:

- تعال لنتصارع أنا أكرهك كثيرًا.

مسكت نورة يد ابنها وقالت:

- لنذهب، وأنت يا طلال لا تجلس في الخارج.

وقف طلال وذهب لوالدته التي كانت تجمع ما قدمته لصديقتها من الضيافة، وعندما رأته استغربت

ـ طلال! اليوم انتهى اللعب باكرًا؟!

لم يتمالك نفسه وانفجر من البكاء وأخذ صوته بالارتفاع

تعيد الكوب وتذهب لتعانقه وتقول:

- أخبرني يا حبيبي طلال لماذا كل هذا البكاء؟

يحاول أن يتكلم ويعجز لتعانقه وتقول:

- لا تخف، لن أعاقبك أبدًا ما الذي حصل؟

يخبرها بالقصة، أخذت هاتفها واتصلت على أشواق، ردت سريعًا، سألتها عن سارة وأجابتها:

- بخير وكانت تعاني من سقوطها والآن جيدة، وهم أطفال وهذه شقاوتهم.

تنتهي المكالمة وتقول:

- هي الآن بخير والدتها أخبرتني.

تمسح دموع طلال وتقول لك هدية من خالتك اذهب لغرفتك.

ذهب سريعًا ووجد أصناف يحبها من الحلوى وعاد إلى طبيعته، وفي تلك الأثناء عاد سعد إلى منزله وكما عهدناه

قهوته جاهزة وأمامه التلفاز.

وكان خالد قد أتم صفقة مربحة لحظة أن قرر سامي أن يشتري هو ما يملك خالد من عقار وكتب له «شيكًا» يُصرف بعد نقل ملكية العقار في الصباح.

خرج خالد وفهد ودار بينهما نقاش حتى تم الاتفاق للذهاب وتقديم نصف مبلغ الأرض والباقي بعد إتمام الصفقة، ومن حسن حظ خالد أن الأرض تم عرضها في مكتب وليد حيث تم الاتفاق.

الفصل الثاني

مرت سنوات وما زال خالد ينتظر الفرصة لأن العقار في ارتفاع، وبعد تلك السنوات أصبح عمر طلال خمسة عشر عامًا وسارة ثلاثة عشر عامًا، أحس الآباء بأهمية الفصل بينهما وبدأت والدة سارة تشرح لها أنها كبرت ويجب أن تتفهم الاندفاع وتتقيد بالحدود...

استوعب طلال وسارة الحديث، اصطحب سعد ابنه طلال معه كثيرًا، حتى يدرك من مجالسة الكبار كثيرًا من الأمور ويدرك التعامل، وبدأ رحلة تعلم قيادة السيارة حتى أتقنها وأصبح أكثر أوقات خروجه مع والده، ليكمل دراسته ويصبح أكثر هدوءًا ومحبوبًا عند أقاربه وأصحابه، متفوقًا في دراسته، كما ظهر حبه للكتابة التي أخذته كثيرًا.

كان أكثر ما يكتبه عمّا بأعماقه من حب سارة أدق التفاصيل يكتبها...

ما أسرع الأيّام! أصبح عمره ستة عشر عامًا وسارة أربعة عشر عامًا.

وبعد أشهر تخرج في المرحلة الثانوية، ليكون مميزًا في معدله، وصاحب أخلاق وفكر، كثيرًا ما يجعله المعلمين قدوة.

احتفالات وتهاني لسعد وعائشة من الأهل والأصدقاء تغمر قلبيهما والبيت فالنجاح فرحة حقيقية وثمار جهد وتعب ليس بالقليل.

عام واحد وتذهب سارة إلى المرحلة الثانوية، تغيرت طباعها إلّا موهبة الرسم استمرت معها، بل كانت ملاذها وبوح أسرارها، فكثيرًا ما ترسم عن الإنسانية.

علاقة الأطفال جميلة وكأنها تروي حكاية العلاقة الخالدة، ويبقى السؤال هل ستعاني علاقة الأطفال عندما يكبرون؟ وهل تقف بوجهها قطيعة العاشقين التي أبطالها فوارق وجحود...

يحاول طلال أن يتخلص من الذكريات لكنه لم يستطع، يصادف سارة ونظرته تخبرها بالشعور في داخله.

في الأثناء وافق شعور طلال ما كانت تفكر به سارة بصديق الطفولة وكيف كان يخاف عليها وحال رفضها اللعب يكثر الإلحاح لتوافق وتصاحبه.

كانت تبتسم وتلك الذكريات لا تفارقها، تحديدًا عندما كان عمر سارة ستة عشر عامًا وطلال ثمانية عشر عامًا بدأت ملامح المحبة تتكشف والشعور يصل...

وذات مساء وسارة سعيدة جدًا بتخرجها في المتوسطة ودخولها المرحلة الثانوية، أقامت والدتها أشواق احتفالًا بسيطًا لأن البيت صغير واكتفت بدعوة عائشة وصديقة لها وصديقات سارة...

وبعد أن غادر الجميع مازالت أعز صديقة لسارة ريم جالسة معها في غرفتها، تسمعها وهي تقص مغامراتها مع ابن عمها وتتوقف كثيرًا عند اسمه وتكمل وتصفه أنه حنون وفخورة به...

قاطعتها ريم وهي تقول في حديثك عنه حماس وكأنها المحبة؟

ضحكت سارة

- وقالت: محبة؟! لا لا إنما ذكرى لا تنسى.

غادرتها صديقتها، وقد أدركت أنها بعد فراقه لسنوات لا تذكر يومًا إلّا وحضر طيفه، والمرات القريبة عيونه كيف ترجمت حبّه.

كانت تقف عند الشباك وتلمحه واقفًا عند نفس مكان جلوسها بقربه، وكأنها لحظة تجمعهما لتعلن أن مُحاولة قَطِيعَة العاشقين جناية بحق العاطفة...

تعاقبت الأيام ومرّت الأشهر وأدركا أنها المحبة...

هو يبحث عن صدفة تواسي اشتياقه، وهي تغار عليه من كل قريبة تذكره في إعجاب وأنه صاحب طموح.

وبعد هذا الهدوء وشعور المحبة الذي ينذر بارتباط أكيد وزواج مؤمل، حدثت تغيرات كبيرة في أيام أبطال القصة.

فخالد الذي كون علاقات كثيرة وبطموحه العالي، استطاع أن يغامر مغامرة لها خيارين إما نقلة كبيرة في حياته أو يكمل باقي حياته في ظروف تتكالب.

في النهاية نجح خالد وباع الأرض بمبلغ كبير جدًا وأنجز صفقات كبيرة، ومتتالية بعد خبرات ومتابعة لينافس في سوق العقار، وفي مدة قصيرة استطاع كتابة اسمه ضمن أهم تجار الحي.

ثم الغالب من حدود المنطقة امتلك أصولًا كثيرة وتَنَامَى العقار لتصبح ممتلكاته أضعاف ما كانت عليه.

في الأثناء أدرك العاشق طلال نظرة حبيبته سارة وأنه على هيئة كل الحاضرين من خلال مناسبة زاد بعد نظرتها تعلقه وتعاظم حبه، وكان حلمه في الطب وأن يكون له اسم ويخدم والده ويرد الجميل لوالدته.

لم ينتظر طويلًا حتى التحق بكلية الطب وسعد بذلك كثيرًا وملأ والده الفخر، وبدأت سارة تزداد غيرتها عليه وتكثر مبادراتها

في خلق الأعذار لمصادفته وعيونها اِسْتَفاضَت عشقًا وكذلك هو بطريقة غير مباشرة، ابتسامته رد جواب لعينيها وأنها مسألة وقت، ويجتمع العاشقان.

بينما كان خالد أبو سارة مشغولًا في لقاءات واجتماعات أشار له صديق مقرب بأنه يجب أن يغير من مظهره وقال وهو يلتفت للسيارة ويشير للحي والأصحاب:

- لابد أن تفرض التغيير، فأنت لك اسمٌ لامعٌ إلا إذا تعاني من البخل!

خرج خالد أبو سارة في طريقه إلى المنزل وهو يفكر بحديث صاحبه وأدرك أن التغيير لابد منه بين القريب والصديق، المنزل والمركبة.

وكانت زوجته أشواق تتفق معه، وبالفعل بحث بصمت عن فيلا تناسب مكانته وقدراته، لم يأخذ وقتًا طويلًا، فهو صاحب الخبرة، أحسن اختيار المكان وانقطع عن اهتماماته السابقة وتأثر بكلمات المجاملات وثناء المصالح.

استطاع خالد أن يتمكن من اقتناص فرصة شراء فيلا في حي راقٍ وبسعر مناسب بحكم علاقاته الكثيرة، تجول في ساحاتها ليجلس على كرسي واستنشق بعمق وحديثه مع نفسه يقول:

- لابد أن تكون هناك غربلة للعلاقات والاهتمامات، حتى أحافظ على المكانة والسمعة.

خرج وأعاد النظرة بعد الالتفاتة للفيلا الفاخرة وهو يقول في نفسه: لكل مجتهد نصيب

عاد إلى منزل أخيه سعد وقبل وصوله، تذكر حديث صاحبه عن مركبته وأنها غير جيدة لشخص أصبح حديث تجار العقار، وما كان منه إلا التوقف عند أحد وكالات المركبات الفارهة وتم شراء ما استحق مظهره ومناسبة مع علاقاته الجديدة، عاد مسرعا وحتى وصل صادف طلال الذي حرص على استقباله أمام باب المنزل وتحديدًا في مكان سيارته أمام شجرة عمرها تجاوز عمره حتى وصل والده الذي اهتم بزراعتها، قبل نزوله كان أمامه سور بيته القديم ليجهر بصوته:

- قريبًا لن أشاهدك، وعيناي تمتلئ بما يسرها من منظر.

رن هاتفه، حارس الفيلا يسأله متى الحضور هناك شخص سأل عنه، وأعتقد اسمه فهد رد خالد:

- نعم نعم هو صديقي ماذا قلت له؟

أجابه كما وضحت في الصباح تكون في الفيلا

نزل من السيارة وكان مشغولًا في المكالمة واكتفى برفع اليد للسلام وانصرف سريعًا إلى الباب الآخر، خجل طلال وخرج في طريقه إلى جامعته القريبة.

حتى طرق الباب خالد على زوجته وابنته سارة التي كانت في غرفتها، تقرأ كتابا من دروسها، سمعت والدها وهو يرفع صوته:

- اليوم... اليوم أصبحنا نملك القصر الكبير وفي مكان مناسب للمكانة التي نستحق.

سقط القلم من يد سارة وخرجت من غرفتها لتتأكد وتسأل:

- هل صحيح ما سمعته أننا سنغادر بيت عمي والذكريات هنا واليوميات المميزة؟

هل صحيح سنترك ما سمعته أنك منزعج من وضعنا الحالي وأنك تريد التغيير؟

أمسك كفيها وقال:

- ذلك صحيح وهناك غرفتك تعادل ما نسكنه الآن، وعلاقاتك ستتغير.

وبصوت عالٍ: أنتِ من طبقة لا تسكن هنا...

قاطعته سارة:

- كيف لا أسكن هنا؟! هذا منزل أخيك. واستدارت لوالدتها

- وأنتِ هل متفقة معه؟ ماذا عن أحاديثك مع عمتي ودعواتك لها؟ جارة كانت تمازحك وتذهبين إليها؟

هل الأموال أزاحت جمال لا ننساه؟

أجابها والدها:

- هل الذكريات ساهمت في تأمين ما تتمنى أميرتي سارة، هل الذكريات دافعت عن تعالي الصديقات، وأصمتت الرغبة بداخلك عن أمنية الاكتشافات.

طلب والدها أن تختار أي مدرسة تريدها لتكمل ما تبقى من سنوات المرحلة الثانوية.

تشعر سارة في الحيرة هي بين قطيعة العاشقين ومعيشة الثَرَاء، ولا تملك القدرة على الرد أو صدهم...

دخلت غرفتها لتتصل بصديقتها ودار النقاش طويلًا، حتى بدأت تلح عليها في عدم المعارضة لقادم أجمل، وقبل نهاية المكالمة باحت لصديقتها:

- بداخلي محبة لا تقبل تلك القطيعة ولكن سأحاول ...

عند الغروب وكالعادة اجتمعت عائشة والدة طلال مع أشواق والدة سارة، ودار الحديث العفوي طويلًا ثم أخبرتها أشواق أنها أيام قليلة وسنغادر هذا المكان البسيط للأجمل والأرقى.

وكانت عائشة مستمعة واستفزها هذا الجحود والاختيال، وما كان منها إلا المغادرة دون العذر للانصراف.

صادفت ابنها طلال ليلاحظ انزعاجها، فقال ممازحًا:

- مَنْ أغضبك لأقلب حياته للجحيم؟

استندت على جدار وهي تقف أمامه وقالت:

- جحود أفقدني الاتزان...

لاحظ أن الأمر جاد وحديثها حاد، فسألها عن القصة، أخبرته وصدح بداخله (لا) غير ممكن وكيف أجد اكتمالي وأعالج بغيابهم أوجاعي؟؟؟

لم يرد طلال وأزعجه الخبر وفقد صوابه، كيف يغادر منزله أغلى أحبابه؟؟؟ أصابه الأرق لم يستطع النوم وكان هاتفه أكثر ما ينير غرفته وقع كثيرًا في التردد، حتى جزمت عاطفته وبعث رسالة لحبيبته ابنة عمه سارة، رن المنبه وكان هاتفها بيدها، أعادت القراءة مرارًا، وتردد صوت الأطفال بداخلها والضجيج والابتسامات والاعتقاد التام أن الحياة تستمر ونحن أطفال...

سقطت دمعتها على آخر جملة كتبها لها (لا أنساك وإن أخذتك الظروف بعيدًا)

ما تكتب له وهي بين ظروف جيدة وذكريات تحاصرها؟! تجاهلت المكتوب وأغلقت جهازها وتجاهلت إحساسها وحتى

وقفت أمام المرآة تحدثت لها ملامحها وعيناها لماذا لا تردين؟ وتطلبين منه أن ينتظر فالظروف تحكمنا ولا تأخذ من قلبينا حبنا...

ما إشراقة الصباح إلا الأُفُول للمصادفات، رفض والد سارة أن يأخذ معه أي قطعة من الأثاث السابق، وكان يوم الخميس يوم الانتقال في حياة أسرة خالد.

وصلوا القصر الجديد وكان في انتظارهم من يعمل تحت إدارة خالد في مكتبه الكبير، الذي أغدق عليهم الترحيب وكانت أشواق والدة سارة سعيدة وتوثق اللحظات، وتطلب من سارة أن تبتسم كثيرًا في تلك الأجواء، حتى تجولوا في كل أرجاء القصر.

رن هاتف خالد وسَعِدَ كثيرًا بالاتصال، هذا صديقه العزيز وشريكه المميز فهد شكره على مواقفه، وطلب منه فهد أن يقبل هدية ذكرها بسيطة أمام مكانته، مجموعة كبيرة من الزهور والتكفل في حديقة زينت مقدمة القصر.

التفت خالد إلى زوجته وابنته وقال:

- هذا أول الأصدقاء الجدد والماضي انتهى!

حددت سارة غرفتها الكبيرة وكانت بين السرور والحنين، وفي الغالب يأخذها الانبهار بالجديد.

خرج خالد ليقدم أوراق اعتماد ابنته سارة في مدرسة نَمُوذَجيّة وقريبة من المنزل، وبعد أن أتم ذلك عاد إلى منزله وأخبر ابنته، في بداية الأسبوع القادم تلتحق هناك.

انشغل خالد في لقاء مهم يحمل صفقة كبيرة، واختار منزله للاتفاق، وتم ترتيب الزيارة يوم السبت عند العاشرة مساء.

جاء الموعد وكان مستعدًا لاستقبال أربعة أشخاص من كبار تجار المدينة، وحرص على استقبالهم بحفاوة وتقديم ما تستحقه مكانتهم من ضيافة.

كان أخوه سعد في طريقه إلى منزله الجديد ليقدم له التهنئة، وحين وصل وجد القصر كأنه الفاتنة بالفستان الجميل، ابتسم ودخل، رحب به أخوه خالد واستقبله وسأله:

- لماذا لا يكون مظهرك أنيقًا فأنا أستضيف شخصيات مهمة.

بادلهم سعد السلام والتحية، أكملوا النقاش وكان صوت سعد مرتفعًا حينما أشار لمن يقدم الضيافة قائلًا:

- أريد من ذاك العصير.

وقد أخطأ في اختياره، وارتفع صوته أكثر مما ينبغي...

ابتسم المتحدث وصمت وخَجِلَ خالد، والتفت لأخيه سعد وطلب منه خفض صوته أو ينصرف بعيدًا هناك في أقصى مكان...

أحزن هذا التصرف سعد وغادر المكان وزاد ألمه، لم يمنعه خالد، بل تركه يرحل، خرج وفي طريقه تذكر مواقف كثيرة قدمها لأخيه وتضحيات لا يمكن حصرها، تحمل وتوقع أن الخطأ لربما من تصرفه واقتنع أن في الغد يعود أخوه خالد له أو يتصل قبل نومه.

مر يومان ولم يجد أي مبادرة من أخيه!؟ أمسك هاتفه واتصل، ولكن خالد لا يرد...

مر الوقت على هذا الحال، سعد يتصل وخالد لا يجيب، بدأ يقلق، خرج مع ابنه طلال، وصلا وكانت الصدمة.

استقبلهم من يعمل في المنزل من الجنسية الآسيوية، ويبدو أنه طال الانتظار، أكثر من نصف ساعة، كان يحدث ابنه ربما هو نائم...

حضر خالد وهو مشغول بمكالمة هاتفية غير مبالٍ بحضورهم حتى انتهى، التفت إلى أخيه وابنه وقال:

- أهلًا بكما

بارك طلال لعمه القصر الجديد، ابتسم خالد وشكره.

- ثم قال: ليتك يا طلال تعطي والدك دروسًا في اللباقة والتعامل الجيد مع الغريب، أو أي شخص له قيمة.

وقف طلال ونظر إلى والده، مد يده سعد لابنه طلال ليساعده على الوقوف وقال:

- مؤسف يا وَلَدي أن يكون الخذلان من القريب لنغادر هذا المكان دون أن يقف خالد وكأنه تعمد تلك القطيعة...

عاد سعد وابنه طلال إلى المنزل، وكان الصمت حاضرًا طول طريق عودتهما، أمسك طلال بيد والده قائلًا:

- لا تغضب يا أبي ربما هو منزعج من تراكم انشغالاته...

قاطعه والده ليسأله:

- من الأكبر؟ وأنت تدرك فارق العمر وما قدمت له.

أجابه طلال:

- أتفهم ذلك، لكن لا ندري ما يدور في ذهن عمي ولنترك الوقت يحدد لنا.

توقف طلال عند المنزل.

- سأله والده: لماذا لا تدخل معي؟

- أجابه طلال: صديقي في انتظاري.

وقف طلال عند مقهى صغير بالقرب من المنزل، وضع هاتفه على الطاولة وينتظر صاحبه فيصل صديق الطفولة والدراسة.

وعندما حضر أشار للنادل وطلب منه أن يجهز القهوة، قام لمصافحة صديقه، وبعد جلوسهما سأله فيصل عن أخباره، وما أعذاره لانقطاعه؟ شبك طلال أصابعه وقال:

- الموضوع يزداد سوءا يا فيصل، وما تحدثنا عنه تفاقمت ظروفه، وزاد التباعد بعد موقف اليوم.

سأله فيصل ماذا حصل؟ سرد له طلال الموقف، ثم قال:

- الآن أخبرني كيف نصلح الحال؟

قال له فيصل:

- بالفعل موقف عمك عقد الأمور، وإن لم يُتدارك الوضع ستزداد القطيعة، لكن هناك حل ووحيد.

علا صوت طلال: ما الحل؟ أخبرني ربما أجد معه نهاية الحيرة.

حضرت القهوة...

- قال فيصل: لتهدأ قليلا وتأخذ قهوتك وسأخبرك بما دار في ذهني.

- قال طلال: بعد أول رشفة: تكلم ما الحل؟

- قال فيصل: هاتف ابنة عمك لديك وأنت على تواصل معها وهي محبوبة كثيرًا عند والدها.

- قال طلال: صحيح وما علاقتها بالموضوع؟

- قال فيصل: رسالة منك تطلب منها أن تتدخل وتحاول إقناع والدها بزيارة أبيك والاعتذار؟

انتهى اللقاء، وبدأ طلال يفكر بالحل، وصل منزله مع أذان العشاء، ووجد والدته وسألها عن أبيه، أخبرته أنه خرج للقاء الأصدقاء ولن يتأخر، سألته عن العشاء أجابها:

- لا أريد فأنا مرهق وسأنام.

دخل غرفته وألقى بجسده على السرير، أمسك هاتفه واتجه إلى اسم سارة وكتب:

من جعلتني أنقسم جسدًا في بيتنا القديم وروحًا غادرت معها، حتى أحببتك استقبلنا الفراق والفوارق، زاد البعاد وتَفَاقَم العناد...

لأنكِ حبيبة عمي وسيدة روحي، لا تحطم الظروف ظني

فأنا لا أستوعب حياة لا تكتمل إلا بك...

الآن وبالحال صلاح ما أفسدته الفوارق، ولحظة الغضب بيدك، لا تتركي والدك دون إلحاح، فالبعد مشقة لقلبك وروحي...

أرسلها وقرأتها، استجابت لطلب المحبوب، وجدت والدها غارقا يقرأ صكوك ويتصفح مخطط ورَدّدت: والدي... والدي.

رفع رأسه وقال:

- المدللة ما تريد؟ أجابته موضوع صغير والخير به كثير.

ردّد يبدو عقل طفلتي كبر وأصبحت تفكر في التجارة.

ابتسمت وقالت:

- لا إنما أعظم بكثير.

طلب أن تجلس بجواره ويده تعانقها لتقبل خده ويده وتقول:

- طلب صغير ولا ترد طفلتك...

أجابها:

- يبدو الأمر كبيرًا، تفضلي؟

قالت: عمي...

قاطعها وقال:

- الموضوع أكبر من عمرك وأنا أدرك التصرف الصحيح لا تقلقي.

- قالت: هو أخوك وصلة الرحم واجبة.

- أجابها: وهل صدر مني رفض مساعدة أو مساهمة، إنها مسألة أسلوب وليته اعتذر بعد ما ضايقني كثيرًا، وأفقدني احترام شخصيات كبيرة.

- قالت: هو الأكبر وأرجو أن تأخذني معك لزيارته.

- أجابها: أزور مَنْ؟ لا تلك المنطقة صارت من الماضي، ولكن لكِ وعد قاطع إن حضر له الاحترام ومرحب به، غير ذلك لن أبادر فأنا منشغل جدًا، وأرجو يا بنتي أن تهتمي بمستقبلك، فأنا أتطلع أن تكوني صاحبة مكانة كبيرة.

حاولت حتى عجزت... غادرته وهي في حرج ما تكتب لطلال...

كان طلال ينتظر حتى غلبه النوم واستيقظ صباحًا ولم يجد الرد...

قبل خروجه سمع والدته تشكي لزوجها أن هاتفها تعطل، وأجابها سعد:

- الأجهزة أصبحت باهِظة، لننتظر لأشهر ربما تتحسن الظروف.

خرج طلال إلى جامعته وهو يفكر بمساعدة والده والتفكير في عمل يبدأ من وقت العصر حتى التاسعة ليلًا.

وعندما انتهت المحاضرات أرشده زميله لشركة أوقات عملها مناسب لظروفه والأجر جيد، انطلق طلال إلى مكان العمل وقدم ما لديه من شهادات، استغربت والدته عائشة تأخره اتصلت به.

رد سريعًا وأخبرها بقدومه، وباله مشغول في تأخر رد سارة، وخبر عن عمله الجديد...

وصل منزله وهو يكتم خبر البحث عن عمل وأثناء الغداء حاول اسْتيضَاح رأي والده عن العمل.

وبدأ يخبره عن صديقه الذي التحق بعمل ورتب جدوله وساعده كثيرًا...

تكلم والده سعد:

- خطأ كبير تخصصكم يحتاج الراحة والوقت الكافي للمذاكرة...

ضرب طلال الملعقة في الصحن وقال:

- إذا لا تنصح بالتحاقي بعمل.

أجابه والده:

- لست بحاجة فأنا حريص على مستقبلك.

- رد طلال: يا والدي في الحقيقة أنا ذهبت لشركة مناسبة وانتظر القبول.

وحين أشعر بتقصيري أو عدم القدرة أعدك بالانسحاب وأنت تدرك حرصي على المستقبل، قبل أن ترد أرجوك لا تعارض فأنا أملك وقت فراغ كبير.

نهض والده وقال:

- لك ما تريد ومتى ما عجزت أو قصرت في دراستك انسحب فورًا...

ابتسم طلال وقالت والدته:

- أرجو لك التوفيق لكن لا ترهق نفسك.

عاد طلال إلى غرفته وجد ما كان ينتظره من حبيبته سارة، رسالة قصيرة

(لك العذر يا طلال والدي رفض زيارتكم ورحب بقدومكم، مع تعبير حزن وتطلب منه عدم اليأس فهي تحاول)

احتار طلال ما الحل؟ هل يجرح كرامة والده بالخبر؟ هل يوافق والده في قرار ذهابه؟

لكنه فضل الصمت وتركها للظروف.

اعتاد طلال عدم السهر، وكان متفوقًا وذكيًا، واستطاع أن يبهر من صادفه دكتور أو زميل في قدرته على التفرد بالتميز...

نام قبل العاشرة واستيقظ عند الخامسة صباحًا، قبل موعده إلى الجامعة حرص على الحديث مع والدته.

في هذه الأثناء كانت سارة مع والدتها أشواق تتناول طعام الفطور وتحدثها والدتها أنها السنة الأخيرة لها قبل الجامعة، وسنفرح كثيرًا بلحظة التخرج...

قبل خروجها مع السائق إلى المدرسة، سألتها عن والدها، وأخبرتها أنه في طريقه لمشروع يضمّ كثيرًا من الفلل ولا تعتقد عودته إلا عند الغروب.

قالت سارة:

- لاحظت والدي انشغل كثيرًا بهذا العمل لكن ماذا عن عمي لم يخبرك بشيء؟

أجابتها والدتها:

- أنه يرفض كما أخبرك ولا أعتقد أنه يتراجع، فهو مرحب بقدومه.

خرجت سارة إلى المدرسة وفي نفس الوقت غادر طلال المنزل إلى الجامعة.

وفي أثناء الطريق اتصلت سارة بطلال الذي أسعده اسمها...

رد وقال:

- أهلًا بمن لها الذكرى والحاضر وكل أرجاء المدينة تشهد بأنها معي.

- قالت: رغم الظروف ما زلت تكتب؟

- قال: تعلمت الكتابة من كتمان الشعور، وحين صرحت به حدث الفراق.

- قالت: أتفهم حزنك وأشاركك الحالة، ولكن لنتركها للظروف والأخوة لا تنقطع.

واصلت حديثها وسألته عن صحته ودراسته

- قال: الأمور تسير كما أريد وفي القريب هناك عمل سيأخذ من وقتي كثيرًا وأنشغل.

- قالت: ما زلت طموحًا وأنا فخورة بك.

- قال: أهم طموح في حياتي سارة.

- قالت: لن أجاريك... وسأدعو لك... مع السلامة

أكمل طريقه وهو مبتسم وهي تقابل صديقاتها بنفس الشعور، أكملت سارة الحصص المدرسية وخرجت لتجد السائق في انتظارها، تعود سريعًا فالمدرسة قريبة من المنزل.

وبعدها بساعتين خرج طلال من جامعته وذهب سريعًا إلى منزله.

وجد والده قَبّل رأسه وجلس معه حتى الغداء، ما إن أكمل وجبته، ذهب إلى غرفته استراح ساعة، ثم ذهب إلى عمله الجديد وصل مقر عمله، وجد بشاشة في وجه زميله الجديد، أعطاه بعضًا من التعليمات والتوجيهات، تفهم طلال طبيعة العمل، كان بارعًا في الكتابة، أبهر زميله خلال ساعات لينهي كثيرًا من المطلوب في وقت قصير...

بعد عمله أصبح يعود منهكًا إلى منزله، شعرت والدته بقدومه رغم وجود صديقتها معها، حادثها، دخل غرفته لم يفكر كثيرًا حتى أخذه النوم...

استيقظ وكعادته مُفْعَمًا بالطموح والنشاط تناول فطورًا سريعًا وخفيفًا مع والده، استغرب من والده الذي لم يجهز نفسه للخروج وقال:

- لماذا يا والدي لا تخرج إلى عملك؟

ابتسم والده وقال:

- كبرنا يا طلال وتبقى شهران فقط على التقاعد وطلب مني الزملاء البقاء في المنزل تقديرًا لي.

دعا طلال الله أن يحفظ والده وخرج إلى جامعته، وكعادته توقف ليأخذ قهوته ثم يكمل طريقه، بينما سارة كعادتها تقف أمام المرآة طويلًا، سمعت نقاشًا بين والديها حول طلال لتخرج مسرعة وتسأل ماذا حدث؟

- سمعت صوتًا مرتفعًا...

سكتت أمها وأجاب والدها:

- عند العصر سأذهب لعمك.

سعدت سارة وقالت:

- خبر سعيد أرجو أن تأخذني معك.

أجابها غير ممكن فزيارتي ليست اعتذرًا بقدر ما هي تقديم للمساعدة.

وضعت سارة حقيبتها على الكرسي وقالت:

- لا أفهمك ممكن الإفصاح أكثر.

قال والدها:

- بكل أسف لم انتهِ من إحراج أخي لي حتى خرج ابنه طلال، أمس خجلت أكثر عندما أخبرني تاجر أن طلال موظف في شركة صديق في مكان متواضع في الشركة وأدرك من توافق الاسم أنه قريب لي، اليوم سأذهب وأطلب من أخي أن يجعل ابنه ينسحب وسأقدم مبلغًا مقابل ذلك.

وضعت سارة يدها على فمها وقالت:

- لا أبي أرجوك هكذا ستحرج عمي أرجوك لا تفعلها.

استغرب من ردة فعلها بل سيفرح بالمال، هيّا اذهبي إلى المدرسة الآن.

خرجت سارة وهي تفكر كثيرًا...

كان يوم طلال مريحًا في الجامعة فالمحاضرات قليلة، فأخذ يفكر بالعودة إلى منزله أو مصاحبة صديقه فيصل للنادي.

قرر اصطحاب صديقه وبالفعل كان الوقت ممتعًا، ثم ذهب إلى عمله الجديد عند الثالثة، ينشغل في عمله بكل جد واتقان، حضر موظف وطلب منه مقابلة المدير، استعد طلال ودخل إلى مكتب المدير، وجده متواضعًا ورحب به كثيرًا، أعجبه طلال في لباقة حديثه وذكائه وسأله:

- هل لك قريب رجل أعمال اسمه خالد؟

أجابه: نعم، هو عمي.

استغرب مديره مشاري، وهو يحدث نفسه لماذا لا يستفيد من هذا العطاء والذكاء؟!

- سأله: لماذا لم يقدم لك عمك عملًا وأنت بهذا الذكاء والانتظام؟

- أجابه طلال: لا أعرف كيف أفسر لك، حقيقة لا أجد اهتماماتي في العقار، وفي عملكم وجدتُ ما أبحث عنه، أحببت الموظفين واستطعت التعرف على كثير منهم.

أمسك المدير مشاري الهاتف، وطلب قهوته، وأخبره خلال أسبوع واحد أنجزت كثيرًا ونشاطك مبهر.

شكره طلال قائلًا:

- هو واجبي وأرجو أن أكون على قدر هذا الإطراء.

استمر اللقاء نصف ساعة، خرج طلال وأدرك مشاري أنه طاقة عالية وشاب مجتهد يجب المحافظة عليه.

واصل طلال عمله وحقق إنجازات سريعة ودقة في العمل، استمر طلال في عمله لأكثر من شهر، وزاد تعلق المدير به، وقد حصل على تقدير الموظف المثالي.

تراجع خالد ومنعه الكبرياء من زيارة أخيه ليتوجه إلى صديقه مشاري وكان قصره قريبًا منه ليحدد موعدًا معه وتم اللقاء.

بادر خالد وذكر اسم طلال وقال:

- هو سبب حضوري لك، فأنت تدرك المصلحة التي تجمعنا، وسمعتي لا أريدها أن تهتز، أتمنى منك إنهاء خدمات طلال بأسرع وقت، فأنا سأقدم له ما تعطيه وهو في منزله.

استغرب مشاري من النرجسية وقاطعه ليقول:

- أنا وأنت كنا نعمل في أعمال أصعب مما يقوم به طلال اليوم، لماذا تخشى أن تذكر البداية.

قال خالد:

- أول الغيث قطرة، الآن صديقي مشاري ينتقص من صاحبه

قال مشاري:

- لا يأخذك الوهم فأنا وجدت فيه ما أحتاج إليه، وسأضاعف راتبه إن طلب المغادرة، فكيف لي أن أقبل هذا بإنهاء عمله كما تريد يا صديقي.

قال خالد:

- ماذا عن سمعة صاحبك؟

قال مشاري:

- لك القدر لكن لن أصرح أنه قريب لك فأنا أحتاج إليه.

تم الاتفاق وغادر خالد.

الفصل الثالث

ما زال طلال منهمكًا بين الجامعة والعمل، والمحصلة علاقة جيدة وسمعة طيبة تزداد احترامًا وتقديرًا...

واستمرت القطيعة، وافتقد طلال وسارة الحل، كل أسرة أصبحت تختلف في حياتها...

اليوم يوم تقاعد سعد رسميًا، وحياة قادمة ملؤها الفراغ، هذا غير أن راتب التقاعد محدود ولا يحقق ما كان عليه لأعوام ماضية.

لذا كان عمل طلال المنقذ الحقيقي لأهله في ظل هذه الظروف الراهنة، وبعد مرور شهرين من عمله، استأذن وخرج من العمل قبل موعد انتهاء الدوام، اتجه إلى محل لبيع الهواتف، ووقعت عيناه على هاتف جوال يناسب والدته العزيزة، رغم أن سعر الهاتف يقدّر بنصف راتبه، اشتراه وعاد وهو ينتظر تعابير والدته، ليجدها تستمع بالأجواء الجميلة، وسط جلسة بسيطة.

سمعت صوت الباب واستغربت أنه طلال، جاء قبل موعده المعتاد، قَبّل رأسها وقبل أن يقدم الهاتف لها، سمع صوت والده قادم ليردد:

- طلال... طلال... أهلًا بك

وجلس أمامه وسأله عن عمله وأخبره أنه فخور به بعد امتداح صديقه عبد الله الذي صادفه أمس في عمله وأشاد بمهاراته وقدرته على احتواء غضبه بعد خطأ المنتج المطلوب.

أجاب طلال: اعتدنا يا والدي وقبل ذلك أنا ابنك وما تتحدث عنه نتاج تربيتك.

رد سعد: بارك الله بك، لكن ما هذا الغلاف الجميل؟

أجابه طلال: هو لوالدتي الغالية

التفت عائشة مندهشة، لي أنا؟!

وقف أمامها وقدم لها الكيس، لتفتحه وتجد بداخله الهاتف الجديد الذي ترغب به، رفعت رأسها وقالت لماذا يا طلال هذا مكلف جدًا ويرهق قدرتك فأنا هاتفي مازال يعمل.

تكلم سعد وقال:

- لا أستبعد منك هذه المبادرة، فأنت يا طلال نعمة لنا وعوض من الله كريم...

قَبّل رأس والدته واستأذنها بالمغادرة، ذهب إلى غرفته وقبل أن يغلق الباب، رن جرس هاتفه، مدير الشركة مشاري يتصل

- يرد طلال: أهلًا وسهلًا بالمدير الموقر، اتصالك أسعدني تفضل.

رد مشاري:

- وأنا أكثر سعادة، أريد أن أسألك كم لك من الوقت وأنت موظف في الشركة؟

طلال:

- أكملت خمسة أشهر ولله الحمد والفضل والمنة.

مشاري:

- جيد وأنت مميز ومجتهد، لمست حرصك ولباقتك وحذاقة تعاملاتك، لذا من الغد سأمنحك إجازة ثلاثة أيام مع مكافأة مالية

تصلك عند التاسعة صباحًا، تقديرًا لك على حسن إدارتك للقسم الذي تعمل به.

طلال:

- الكلمات لا تصف حالتي والفخر الكبير الذي أعيشه، شكرًا لك، والحقيقة أنا لا أطمح إلا أن أكون موظفًا مخلصًا وحريصًا على عملي.

مشاري: تستحق أكثر وآمل أن تستمر كما عهدتك، في أمان الله.

اعتاد طلال منذ صغره أن تشاركه سارة فرحته، وبدون تفكير كتب لها:

إلى من ترافقني في كل أفراحي، من اليوم أصبحت مديرًا في عملي وقريبًا تخرجي في جامعتي كل الأحداث قد تتغير إلا حبك في داخلي ثابت كالجبل، لا أنساك.

أرسلها وخرج لوالدته، استغربت عودته وقبل سؤاله، وقف وردّد دعوة الأم لا ترد، ورضا الأب أكمل بهذه الجملة كلامه مبتسمًا، لقد وصلتني بشارة من مدير الشركة مشاري

أني بعد ثلاثة أيام أعود إلى العمل ولكن بحلة جديدة، مديرًا للقسم وهذا ما أعادني وما أسعدني.

وقفت أمه وتقدم لها وعانقته وقَبّل جبينها، واستدار وقَبّل يد والده وأشار إليه:

اجلس، سأحدثك، ما حصل خبر سعيد، لكن لا يأخذك عن الأهم.

قال طلال:

- لم أفهمك يا أبي ماذا تقصد؟

أمسك بكتفه وقال:

- دراستك ومستقبلك، لا تتعطل عنها فأنت قد تخصصت وأمامك طموح كبير.

رد طلال:

- لا تقلق يا أبي فأنا حريص وأوازن بين الدراسة والعمل.

دعا له والده، ثم وقف وقال:

- يبدو أني تجاوزت وقت النوم، وأنت لترتاح وإجازة العمل لا تشمل الدراسة، وقبل أن يذهب ناداه بصوت عالٍ:

لا تتأخر يا طلال... لا يرهقك السهر...

دار حديث بين عائشة وطلال لدقائق، وذهبت لتنام ومع هدوء المساء، حضر الإلهام لطلال وهو يدرك أنه لن ينام حتى يكتب، وسطرت حروفه أن غيابها وانقطاع أخبارها والتفاوت في المستوى لا يلغي المبتغى أن تكون قدره، لأنها عشقه وحبه.

وبعد نهاية النص شعر طلال بالنعاس وذهب إلى غرفته، وفي تلك الأثناء أمام سارة لوحة وأدوات الرسم، كانت ترسم لعبة وطفلين وكأنها ترمز للماضي وذكريات لا تغيب...

ولأن السهر منهك اكتفت سارة بما رسمت وذهبت لتنام، وقبل نومها أخذت تقرأ قصة وكأنها أعادت ذكريات المحبة لتركن القصة وتأخذ هاتفها وتبحث عن اسم طلال... الحالة «متصل الآن».

تراقبه ويراقبها ويشعرها أنه في صفحتها، يظهر عندها إشعار «يكتب الآن» يكتب ويمحي، ترسل له وجهًا خجولًا وهو يبادلها في القلب.

تكتب كيف حالك؟ يرد عليها:

- الآن أنا سعيد طبعًا بعد رسالتك.

تكتب: أرهقت نفسك وكثر انشغالك...

يرد: والدي تقاعد ولابد أن أقف معه.

تكتب ما أزعجه: هل يقبل عمي أن يعمل عند أبي؟ سمعته لا يعارض وهي فرصة لنصلح الحال.

لحظات ورد طلال في علامة التعجب!

وخرج من المحادثة...

عادت وكتبت لا تفهمني خطأ أنا لا أنسى عمي فهو والدي وطفولتي عنده...

رد طلال، لا أجرح كرامة والدي حتى يسلم حبي وأفهم صفاوة القصد، لكِ العذر، ويبدو أن المستوى لم يعد متكافئًا.

يغلق هاتفه وينام... لتستمر في التبرير سارة، دون جواب عمّا تكتبه، انزعاجك هو كدري والمحاولات مستمرة ويظهر أنك نائم، وأنا تأخرت، أفهم محبتك وسيبقى عمي سعد هو الأقرب لقلبي وأنت تدرك تلك المعزة...

لا يستوعب طلال أن ينام وحبيبته سارة تتضايق، اتصل وردها كان سريعًا...

ما إن سمع صوتها ابتسم، وهي كذلك لتقول الأجدر تركتك دون رد فأنا أفهم مكانتي وتنزعج منذ طفولتنا إن نشب خلاف، لكن أنا واثقة من موقفي قبل محبتك لي...

أجابها طلال: تتحكمين في حبي للحياة، لا تتأخري وأحلامك سعادة يا اكتمالي...

نام طلال على خبر سعيد وغفت عين سارة، على كلمات حبيبها...

وبدأ اليوم الجديد كالسابق بالنسبة لسارة ومختلف لطلال، المحاضرات قبل تخرجه أصبحت قليلة وبدأ التطبيق العملي يلبس معطف الأطباء الأبيض، تفرح أمه برؤيته مرتديًا زي الأطباء، وتلتقط له صورة من هاتفها الجديد، تناول طعام الفطور سريعًا وخرج إلى المستشفى المحدد، تجول بين الأقسام ليتوقف عند زميل أرشده تلك الفتاة تعمل هنا.

سأله طلال:

- هل هي زميلة لنا؟

أجابه:

- نعم وحدد المكان، لمح طلال مقهى قريبًا، وقبل ذهابه سأل صاحبه عن نوع قهوته، فصادف الفتاة وهي تنتظر قهوتها، بخجل تسأل:

- اسمك طلال سعد؟

- أجابها: نعم ومَنْ حضرتك؟

- قالت: لأكثر من سنتين وأنا ألمحك في الجامعة وفي مكان آخر...

رحب بها طلال كزميلة، ولكن المكان الآخر لم أفهم؟!

قهوتها أصبحت جاهزة، وقالت:

أنا أماني وأستأذنك الآن لقد تأخرت.

بدأ طلال يتذكر قريبة له تدرس الطب ليس في باله أحد، يناديه برقم طلبه يأخذ قهوته ويذهب لزميله بندر يجلس بقربه.

- تلك الفتاة تعرفني وقالت اسمي فهي تعرف من أكون في الجامعة.

ضحك بندر: جميعنا نعرفك واسمك يتردد كثيرًا في لوحة الشرف.

أجابه طلال وقد أخفض صوته:

- والكثير يمرون من جانبه.

يرتشف من قهوته، ونظارته ومفتاح سيارته على الكرسي بجانبه، يكمل حديثه عنها، إنها تقول غير الجامعة! هناك مكان آخر ولم تفصح عنه.

رد بندر: بما أنها ذكرت هذا الأمر راجع ذاكرتك وأماكن الأقارب أو الجيران...

ينادي أخصائي المتدربين من الجامعة حضورهم الآن إلى القسم وتحديدًا المكتب رقم (٤)

يقوم طلال وبندر إلى القسم المحدد، ويبدأ المدرب في شرح خطة العمل وفي توزيع الأدوار المحددة مسبقًا، ينزعج المدرب من أصوات الطلاب ويضرب الباب قربه، أرجو الإنصات والتركيز، ينادي الأسماء وعددهم أقل من مئة، ليتوقف ويشير إلى بندر:

- نحن بدأنا الآن وبيدك كوب القهوة؟! اخرج الآن وتخلص من الكوب.

ليهمس طلال بصوت هادئ: ألم أقل لك!

وخرج بندر وهو المحب للقهوة ليأخذ رشفات ويرميها ويعود سريعًا، يرفع يده ويشير له المدرب ادخل سريعًا، وهو مازال يعد الأسماء وينادي بندر سعود ويتقدم ليحدد له ٤ طلاب والقسم المحدد...

حضر دور طلال، وينادي المدرب: بندر المنصور وطلال سعد وأماني مشاري وزينب منصور، إلى قسم المبين في هذه الورقة، وأنتَ يا طلال قائد المجموعة هناك إطراء وصلني عنك كثير...

يبتسم ويقول:

- أرجو أن أقدم الأفضل، تفضلوا يا زملاء إلى القسم.

يخرج ويبدأ الحديث مع بندر، الذي يقول إذن ستتفوق فأنت يا طلال معنا.

وتتفق معه زينب: صحيح فأنت يا طلال متفوق واجتهادك واضح.

لتتكلم أماني: طلال متفوق في كل شيء حتى خارج الجامعة.

وكان أمامها طلال يقف وينظر إليها، وهي تكمل طريقها يمشي بقربها ويناديها:

- أماني أنتِ تعرفينني جيدًا إن أمكن أعرف كيف؟

تقول:

- أتفق فقط مع أخي بندر وصديقتي زينب، وأنت تتكلم عنك إنجازاتك وتفوقك، ولاحقًا تعرف مَنْ أكون، عملنا هو الأهم.

يصلون القسم المحدد، ولأن طلال حريص على العلم والعمل، انهمك في عمله وتفرغ للمعلومة، وأماني بدأت مع زينب في متابعة مريض والاستماع إلى الدكتور في حديثه.

ليأخذ بندر كرسيًا وينشغل في هاتفه مستغلًا انشغال المدرب، أما طلال فما زال منهمكًا في عمله.

اليوم خبر سعيد لخالد وأشواق، فقد تخرجت سارة من المرحلة الثانوية وهناك احتفال كبير بعد قبولها في كلية الفنون.

حرص خالد أن يقيم لها احتفالًا وترك لسارة أن ترتب المطلوب وتقدم الدعوات، ولأن سارة اعتادت التواصل مع طلال، كتبت له: مرحبًا... اليوم تم قبولي في كلية الفنون

لا أقبل تأخيرك وأكتب لي الآن... في انتظارك.

كان طلال في طريقه إلى المنزل وصله إشعار الرسالة،

وهو متوقف عند الإشارة قرأ وسجل لها رسالة صوتية: أبارك لك ولأني في طريقي للمنزل أسجل الصوت وحتى أصل سأكتب ولا أقبل التأخير فأنتِ أهم الاهتمامات.

اعتاد أن يقف أمام شجرة قديمة كان هذا الموقف مخصصًا لعمه خالد، وقبل أن يطفئ المحرك كتب لسارة: خبر أبهج روحي عن ملهمتي التي في طريقها لحلمها وسويًا نشهد أحلامنا أمامنا وأولها القرب ونهاية قطيعة العاشقين، قلوبنا لا تقبل ولا يمكن أن نتجاوب إلا مع اللقاء.

أرسلها وسريعًا ما قرأتها وكأنها تردد في نفسها من الأماني يا طلال وليتها تقترب. أمسكت في ريشتها وأكملت رسمتها.

دخل طلال المنزل، علمت أمه بقدومه من صوت صرير الباب المزعج، فتحت الشباك القريب ورحبت به.

وقف وقَبّل يده ونفخها لتأخذها الريح لها.

قالت:

- الجو حار لا تتأخر ادخل الآن...

سحب الكرسي وجلس في زاوية يملأها الظل.

- وقال: أمي حبيبتي لا تقلقي الجو معتدل ولا تعامليني فأنا لست ذلك الطفل المشاكس، فأنا قريبًا جدًا سآخذ الشهادة وأصنف طبيبًا إن شاء الله، ولكني سأبقى خادمًا لعائشة.

دعت له ونهض لها ليدخل، صادف والده يقرأ في هاتفه جالسًا يقبّل رأسه ويجلس بقربه ويقول:

- هناك أمر ويجب أن نقرر...

حضّرت عائشة بيدها الغداء أنزلته على الطاولة لتذهب وتحضر الماء وتجلس، يبدأ الجميع بالأكل، وأثناء الأكل يشير طلال بأصبعه للأعلى شقة عمي خالد لماذا لا نستغلها ونؤجرها لتستفيد يا أبي...

قالت عائشة:

- لا لا... هي لك وأنت قريبًا ستتزوج ابنة خالك ناصر مها، فهي جميلة وأنت محبوب عند خالك.

التفتت إلى سعد قائلة: أليس كذلك...

التزم طلال الصمت، تابع سعد بالحديث جميعنا نحب ناصر، وابنته مها تربيتها جيدة، لكن الزواج أمر يخص طلال وهو مَنْ يقرر، أما عن الشقة لا أمل، فالقدرة على الترميم غير متوفرة حاليًا، وأخشى الندم ويكون المستأجر شخصًا مزعجًا ولا ننعم بالهدوء، وأتفق مع والدتك هي لك...

تكلمت عائشة: أنت يا طلال قريبًا تتخرج ماذا عن مها، أجدها الأنسب لك.

كعادة طلال يخاطب والدته وهو من يخشى أن يضايقها ليجاوبها أفهم حرصك، والخال ناصر أبادله المحبة، ومها نفخر بها كثيرًا، لكن هي أختي ولا أتخيل ارتباطي بها، وأرجو أن تتفهمي ذلك أمي الغالية.

قالت: لكن... وقاطعها سعد: نقول هي حياة طلال... وهو يشير بيده بأنه تكلم عن الجواب، ولا يجب أن نكرر هذا الخيار.

وانتهى النقاش بأن ذهب طلال إلى غرفته وعائشة إلى المطبخ.

وفي هذا الوقت كانت سارة مع والدتها في الطريق إلى المنزل بعد أن ذهبتا للسوق لاختيار الملابس الجديدة للكلية، وخالد يستقبل صديقه فهد ومعه ابنه زياد، وهو المحب له كثيرًا ليرحب به ويصافحه ويشير بيده تفضل من هنا ويده على كتف زياد.

وفي تلك الأثناء عادت سارة لتصادف فهد وابنه زياد، يرحَّب بهما خالد: ادخلي من هنا، هذا عمك فهد وهذا ابنه زياد.

تسلم بخجل، وأشواق ترحب بفهد وكثيرًا في زياد وتدخل.

أعجب فهد بسارة ولأن زياد كثير السفر وغير مرحب به من أقارب فهد وجدها فرصة ليستغل خروج خالد ويلتفت لزياد:

- ما رأيك في ابنة خالد سارة؟ قال زياد:

- سمعت أنه تم قبولها في كلية الفنون.

رفع صوته فهد وهو يضغط كتف زياد بيده:

- لا أسألك عن دراستها، ما رأيك بها زوجة فأنا أعرف خالد من أعوام وزوجته أشواق وحرصهم المستمر عليها، وسارة بالإمكان أن تحد من اللامبالاة في داخلك.

أجابه زياد:

- لا أفكر حاليًا في الزواج، لكن الشخص الوحيد الذي يحبني هو صديقك خالد.

سأله والده فهد: لماذا أنت غير محبوب؟ راجع حالتك، أنا أفهم حبك للسفر، لكن وازن وانضبط في عملك حتى تأخذ راتبك كاملًا، لن أجاملك ولك فرصة فكر، أشعر أن الزواج حل مناسب لتستقر وتشعر بالمسؤولية.

حضر خالد ودار نقاش بينه وبين فهد امتد ساعة كاملة، كان زياد يمتلك خبرة جيدة في موضوعهم ليدهش خالد ويثني عليه.

ويقول فهد في داخله تلك فرصة مناسبة، أقل من ساعتين واستأذن فهد للذهاب.

وهو في طريقه كرر على زياد يومين وأنتظر ردك، وإلا ستدفعني لأسحب منك عملك وتأخذ الميداني وصباحًا أجدك في المكتب القريب من مدرسة أخيك نواف.

تلك اللحظات موعد خروج مشاري من الشركة يتوقف ويدخل مكتب طلال ليقف سريعًا ويرحب به.

بعد أن رد الترحيب وقال:

- تفضل الثالثة مساء إلى منزلي لدي بعض الأوراق المهمة، وأنت المكلف في إنجازها، وسأعتمد عليك يا بطل.

أجابه طلال:

- في الوقت المحدد أكون أمام منزلك إن شاء الله.

انتهى المساء والأحداث تتأزم والقطيعة تتسع، خرج طلال من عمله ولحظة أن ركب سيارته حاول أن يحركها وعجز... لا تشتغل، يضرب المِقْوَد بيده، ويعود للمحاولة تلو الأخرى...لا تستجيب ولا تشتغل، يخرج زميله المصري من العمل، وينادیه: يا عماد، وكعادته عماد بتعامله اللطيف سأله ما بك هيئتك منزعج؟ لا الشماغ فوق رأسك وقد شمرت عن سواعدك.

مازحه طلال ما رأيك وأنت تشاهد حالتي؟!

ضحك عماد وأجابه: لا تقلق نعالجها رغمًا عنها، تم اكتشاف الخلل، تحتاج إلى بطارية يجب تغييرها.

ذهب طلال وعماد إلى محل قريب، تكلم إلى البائع، حدّد المقاس ودفع المبلغ طلال بعد محاولات عماد أن يبادر في دفع المبلغ.

عادا إلى مركبة طلال وتم سريعًا إصلاحها لتشتغل ويشكر عماد ثم يفترقان.

يعود طلال إلى منزله، وهو في الطريق يفكر في حديث أمه وأنه قد أحزنها بصمته، ولأنه يعشق القهوة قرر أن يأخذها من مقهى في طريق عودته، توقف وطلبها وانتظرها، قدمها البائع له تفضل، وكعادته يهتم أن يأخذ معها ماء.

يخرج لينسى الحساب يناديه البائع ويرفع صوته يلتفت طلال

ويكرر البائع الحساب لم آخذه يعود طلال ويعتذر، كنت أفكر وقد نسيت، يبتسم الموظف له قائلًا توقعت ذلك.

يخرج ويركب سيارته ويكمل طريقه، يرتشف قهوته وبعد أقل من نصف ساعة وصل منزل والده، توقف في مكانه وقبل نزوله كتب إلى سارة: البعض لا يغيب عن البال ولا يبادر في السؤال، سأستمر أذكرها أول وآخر اهتماماتي.

يدخل المنزل ويجد والدته على الكرسي وأمامها القهوة السعودية ليقبل رأسها ويسألها: أين أبي؟ سيارته غير موجودة.

تخبره: قد ذهب إلى صديقه لحضور مناسبة وأعتقد لن يتأخر، اجلس وشاركني القهوة.

سحب الكرسي ووضع قهوته أمامه وقال:

- أجلس معك وأكتفي بمشاهدتك والتحدث معك.

سألته:

- أخبرني ما في بالك؟

- رد عليها: حديثك اليوم وقت الغداء عن الزواج أرجو أن لا يزعجك قولي أنها أختي فأنا يا أمي أريد سارة ولا أتخيل غيرها زوجة.

لأول مرة ترفع صوتها بوجه طلال، ماذا تقول سارة أجننت؟!

- ماذا عن والدك وجرح كرامته من عمك ونكرانه وانقطاعه التام عن أخباره؟

هل نسيت محاولات والدك حتى أقتنع بأن خالد لا يريد قربه...

تحاول أن تتمالك نفسها، تبكي عائشة، يقترب منها طلال ويجثو على ركبتيه أمامها، ممسكًا بكفيها.

- أرجوك يا أمي سامحيني ولا تبكي لا أتخيل دمعتك...

تمسح على رأسه وتطلب منه أن يقف، وأن يجلس مكانه

عدّل الكرسي الأبيض وجلس وعيناه تركزان على أمه.

- لتقول: لا ألومك يا طلال ولم أحزن من حديثك، فأنت ما زالت اندفاعاتك تتحكم بك، وكذلك مشاعرك تجاه سارة، لكن الأمر ليس هين وإن تجاوز والدك ما حصل ووافق طلبك أن تبادر في خطبتها، هل عمك خالد سيوافق ونحن لا نملك ما يحقق لسارة ما تعيشه الآن...

قبل أن ترد راقب المشهد جيدًا، واسأل الله أن يكتب لك الخير والصواب، ولا تقلق فأنا على أحسن حال.

ناولني قهوتك، وهي تبتسم، لماذا هذا الحب لها؟

بادر طلال وسكب لها من قهوته وهي تقول توقف هذا كثير،

تحاول أن تجربها والرشفة الأولى كأنها عقاب ظَهَرَ على ملامحها وبصعوبة تستوعب أول طعمها.

وتقول: ما أجمل وألذ قهوتنا وأعانكم الله يا ولدي.

يبتسم وبعد ارتشافها يرد: لذيذة والناس يا أم طلال أذواق.

يصل سعد وشماغه على كتفه ممسكًا في عقاله، يدخل وقبل إغلاق الباب يقف طلال ويطلب من والده الجلوس في مكانه ويأخذ المكان الآخر، يجلس ويناوله القهوة طلال ويأخذ رشفة ليضع الفنجان ويسأل عن دراسته ويخبره عن أموره أنها جيدة ومسألة وقت ويبلغ طموحه ويحقق ما كان يحلم به.

ترفع كفيها عائشة للسماء وتدعو له بالتوفيق ويرد سعد اللهم آمين...

يقف طلال ويعتذر بأنه ذاهب إلى غرفته، يغادر سريعًا ويفتح باب غرفته، ولأن أمه حريصة يجدها مرتبة وقد وضعت جهازه اللاب توب على طاولته، يرفع جهازه ويضغط على التشغيل وفي انتظاره يمسك بهاتفه ويبحث عن الأسماء ويتوقف عند حبيبته سارة يجد بأنها لا ترد على رسالته وآخر الظهور منذ الأمس عند العاشرة مساء!

ينشغل باله ويكتب إليها: ساعات غائبة عن التطبيق ماذا عن أخبارك؟

كتبها وانتظر والتنبيه أظهر له صحًا يتيمًا، وهذا الأمر مؤشر على أنها غير متصلة ولا يوجد اتصال.

انتظر لدقائق وباله منشغل يعجز عن القراءة يعود يتصل عليها ثلاث رنات وترد، يبادر بالسلام والعذر للإزعاج وصوتها يظهر أنها نائمة، ترد صحيح كنت متعبة كثيرًا... وأسعدني سؤالك.

يسألها طلال:

- ماذا حصل وما سبب تعبك؟

- ترد عليه: هل خفت؟ هل أنا في بالك؟

- افتقدك وأدرك انشغالاتك.

ولأنه كاتب ارتجل وقال:

- في تعبك المعالم حولي باهتة ولن تعود حتى أسمع ضحكتك وأعيش يومياتك وتسعديني برسوماتك.

- قالت سارة: لا تقلق هو تعب عابر.

قاطعها قائلًا:

- إنما تعبك يعطل حولي كل جمال وأعيش الانزعاج.

تأففت لتقول:

- أخطأت أنني أخبرتك أرجوك لا تقلق، أخبرني عن دراستك.

قال:

- قبل الجواب ماذا عن لحظاتك الأولى في الكلية؟

ردت ممتعة، وبدأت تقص له عن استمتاعها في الكلية وأنها تجد متعة كبيرة، دعا لها بالخير وجاوبها: الآن كما تعلمين المراحل الأخيرة في التطبيق وقريبًا ينادوني الدكتور طلال.

قالت:

- أثق أنك ستصل ونحتفل بك.

كرر:

- نحتفل؟! لم أفهم وهل عمي خالد يهتم لأمري؟

سكتت سارة... وقالت:

- هو يحبك كثيرًا لكن والدي منشغل.

رد عليها: منشغل حتى عن أخيه!؟ أصلح الله الحال.

- ترد سارة: آمين، والقادم أجمل، لا تقلق.

أغلق طلال المكالمة وعاد ليكمل ما كان يقرأ في معلومات عن التطبيق وما يخدم عمله، أخذ ساعتين حتى وصلت الساعة الحادية عشرة، أغلق جهازه وعاد إلى سريره لينام، ولأنه متعب أخذه النوم سريعًا... ست ساعات كانت كافية لطلال ليستيقظ على صوت المنبه، ويستعد بعد النهاية من صلاة الفجر، لبس المعطف الأبيض، وقف أمام المرآة وتعطر من عطر كان هدية من حبيبته سارة، دائمًا ما يغلق عينيه ويستنشقه بعمق وكأنه يشعر بها حوله.

يخرج ويجد والدته قد جهزت طعام الفطور، يقبل رأسها، تدعو له وتسكب له الشاي وكلمات والدته عائشة تتكرر: افطر جيدًا...

يجيبها: بكل تأكيد، فهذا الفطور من تحضير والدتي الغالية، ويسألها أين أبي؟

ترد: بأنه قد أصبح رياضيًا مع جارنا قبل الفطور يمارسان رياضة المشي ويعود بعد ساعة.

يجيبها: عمل جيد أن يهتم بصحته.

وبعد الانتهاء من الفطور ينطلق طلال إلى سيارته لا ينتظر طويلًا، يذهب إلى المستشفى المحدد والقريب من منزله ولا يتوقف عند المقهى لأنه أعجب كثيرًا بالقهوة التي في عمله، يصل قبل زملائه ويجد زينب في المقهى، تقف عند وصوله، وكانت جالسة لتقول:

- تفضل هنا في نفس الطاولة، يلتفت في الخلف ويطلب قهوته ويفتح اللاب توب، ويبدأ الحديث مع زينب عن خطة اليوم ويشير أنها تحتاج إلى تركيز، وكانت زينب تناقشه، يحضر بندر ويضرب كتف طلال ليبتسم ويجلس بقرب طلال والحديث عن الخطة مستمر...

إلى أن حضرت الأنيقة أماني لتتوقف أمام أمين الصندوق وتطلب قهوتها وتشير فضلًا أحضرها هنا، وتقف خلف طلال وبندر، وبصوتها الحنون تنادي مرحبًا...

يلتفت بندر ليقف سريعًا حتى كادت قهوته أن تنسكب ليرحب بها، ويقدم لها الكرسي بجانب زينب، لترد شكرًا، وترحب بزينب وتسألها عن حالها؟ تجيبها زينب بخير وأهلًا بصديقتي...

تبادر وأنت يا رئيسنا طلال كيف حالك؟ وعذرًا تأخرت.

يبتسم ويشبك أصابعه نحن زملاء ونكمل بعضنا البعض،

أهلًا بك، كنا نتناقش عن خطة اليوم والتطبيق ليس الآن.

يرفع يده، تبقى سبع دقائق ويسألها طلال: من المؤكد أنكِ قرأتِ عن الخطة؟ تجيبه: صحيح ولا مانع أن نستفيد فأنت المتفوق دائمًا.

ولأن بندر معجب جدًا بأماني يرد بعفوية وأنتِ مميزة.

يسكت طلال، وتلتفت أماني شكرًا لك يا أخي. وكأنها تقطع عليه ما شعرت به من تجاوز.

ليكمل طلال:

- الوقت انتهى... يغلق اللاب توب، ويذهبون جميعًا إلى القسم المخصص، ينتظر طلال ويمسك بيد بندر وبصوت هادئ انتظر...

وبعد أن تبتعد أماني وزينب يعاتبه، لماذا تقول أنتِ مميزة، أنت طالب طب لست مراهقًا، يجلس بندر ويقول: لا إراديًا قلتها يا طلال

ولكن لأكثر من سنتين وأنا المعجب في أماني، لا تعتقد أنها لا تعلم، لقد صارحتها...

يقاطعه طلال: صارحتها! هذا خطأ كبير وأخشى عليك من الشكوى وتأخرك فأنت تعلم الإجراءات هنا.

يمد يده ويشير انهض تأخرنا ونتكلم لاحقًا وسأعتذر عنك لا تقلق.

المدرب مع أماني وزينب في القسم، يدخل طلال وبندر، يوضح المدرب للجميع: أن اليوم كل متدرب مع دكتور يراقبه ويتعلم منه، ولا يتأخر في مساعدته إن طُلب، أرجو التركيز إن طُلب.

ثم حدد أماكن المجموعات، وحدد لبندر وزينب وأماني وطلال مكانهم مع الدكتور أحمد في المكان المخصص لهم.

يبدأ الجميع في التوجه إلى أماكنهم، ومن حسن الحظ أن الدكتور أحمد قد سمع عن طلال ومعجب بطموحه وبتميزه، كان منشغلًا مع مراجع كبير في العمر، ولحظة أن توقف كاد أن يسقط، انتبه طلال وبادر في مساعدته، ويشير المراجع أزعجني ألما هنا.

كان الدكتور أحمد يكتب له الوصفة في جهاز الكمبيوتر ويتنبه طلال لحديثه، ويطلب منه عدم خروجه لشكوكه في تعبه، ويشير إليه الدكتور أحمد لماذا أنت جالس؟ تفضل، وكتبت لك الوصفة تجدها هناك عند شباك الصيدلية.

كانت أماني ساكتة بجانب طلال ليرد: يا بني هذا الدكتور قال لا تخرج وجلست.

قال طلال:

- ولكن انتهى الفحص وننتظر المراجع الآخر، ليقف وبصعوبة يخرج.

يرحب الدكتور أحمد بأماني وطلال ويسألهما عن اسميهما، ترد:

- أنا الطالبة أماني مشاري وأنا الطالب طلال سعد

يرد الدكتور اسمك والشكل ليس بغريب... وتتكلم أماني:

- هل بالإمكان أن أنشط الذاكرة في موقف للدكتور من خلاله قد يذكر من الطالب طلال؟ يلتفت إليها بكل تأكيد، تفضلي

وتذكره في التاريخ واليوم وكيف أبهره طالب في تفوقه وهو من حصل على الدرجة الكاملة في محاضرته، هو زميلنا طلال.

يقول:

- الآن تذكرت، فعلًا المبهر طلال وإن شاء الله كما عهدتك وأشكرك فأنتِ يا أماني تذكرتك مجتهدة أيضًا.

والآن لنبدأ ويشير إلى الممرضة، تفتح الباب وقبل خروجها تلتفت إلى الدكتور أحمد من كان قبل لحظات هنا لديه مشكلة، يخرج سريعًا الدكتور أحمد ويُبعد من حوله ويستخدم سماعته ويرفع صوته الآن ينقل لغرفة العمليات، وأنت يا ممرض إبراهيم اخرج معهم واتصل عليّ من هناك.

يعود ويقول:

- تأخرنا، المراجع التالي، وقبل دخوله يبادر طلال الدكتور أحمد كنت مترددًا، فالمراجع الأخير أعراضه جعلتني أطلب عدم خروجه، ولكن كنت غير متأكد. ليرد لاحقًا نناقش هذا الموضوع.

يحضر المراجع التالي وأماني أذهلها طلال في النباهة وبدأ الدكتور

أحمد يحادث المراجع، وكان طلال وأماني في قمة التركيز وفي المقابل وعلى نفس الحالة كان بندر وزينب ومضت الساعات.

وقبل نهاية ساعات الدوام وقف الدكتور أحمد وأخذ نظارته وامتدح أماني وطلال وأشاد بملاحظة طلال عن المراجع السابق وحمسه بعد أن قال:

- أنت يا طلال مشروع دكتور قادم وهنيئًا لنا بك وأشاد بحرص أماني.

يخرج الدكتور أحمد، وتبقى أماني وطلال ليسألها عن أول لقاء وأنك تعرفينني جيدًا لترد:

- ومن أعرف هو معجبًا بك وكثيرًا، ولا يتكلم عنك إلا بالخير، واسمح لي بالخروج فالسائق ينتظرني. ليرفع يده ويكرر: أماني... أماني...

تجيبه: لاحقًا تعرفني جيدًا والآن استأذنك بالخروج.

تصادف بندر وزينب، تصافح زينب وترحب ببندر الذي امتلأت عيونه حبًا لأماني، وبعد الموقف السابق لا تتحدث معه كثيرًا، يلحق بهم طلال ويخرج الجميع.

الفصل الرابع

في طريق طلال إلى منزله يتصل بسارة، وقد نسيت هاتفها بقرب والدها، لتذهب مع والدتها أشواق للأخذ برأيها عن فستانها... ولاحظ خالد اسم المتصل وتردد في الرد، عادت سارة قبل انقطاع الاتصال لتأخذ هاتفها ويرفعه لها قائلًا:

- ماذا يريد طلال حتى يتصل؟!

ترتبك وتقول: لا أعلم... فتح الخط ورد عليه قبل آخر رنة... يبدأ طلال بالحديث: لماذا حبيبتي تتأخر؟؟؟

يسكت خالد، ليكرر طلال الكلام، ويرد عليه: هل من الجائز أن تنادي ابنة عمك حبيبتك؟!

التفت أشواق إلى سارة ووضعت كفيها على خديها!!!

ويرد طلال:

- أهلًا عمي خالد.

ويكرر:

- سألتك جاوبني كيف تتجرأ على ما سمعته منك، إما أنك بلا مروءة أو سارة تتيح لك المجال.

قال:

- لا الأولى ولا الأخيرة، فأنا منذ طفولتي مع سارة وجاء الوقت حتى أخبرك عن شعوري ولا أريد غيرها زوجة.

ضحك خالد وقال زوجة؟؟؟ وأين تسكن وكيف تصرف عليها؟

رد طلال:

- هي مدة قصيرة وأصبح دكتورًا وأحقق كثيرًا من الآمال، ولأنها كبيرة القدر عندي سأحرص عليها...

قاطعه خالد: لأنك ابن أخي سعد سأتجاوز عن تصرفك، وتفكيرك في سارة ضغط كبير عليك وهناك مستويات... وأرجو ألّا تتصل ولا تفكر بها. وأغلق الخط.

ليقف وقال:

- أنتِ بنت خالد وهذا الأمر خطأ لا يغتفر، لا أريد عقابك فأنا أعرف أخلاقك، لكن لا تسمحي له بالتواصل.

بدأت سارة بالبكاء وقالت:

- لا تظلمه يا أبي فأنا طفولتي معه، وكما قال لك أنا أيضًا لا أريد غيره زوج، كلامها جعل خالد يغضب، وأشواق عبست في وجهها وقالت: هو ليس في نفس المستوى، هل ما زلتِ مراهقة؟ لا تتذكرين ظروفنا السابقة؟ لو كان زوجك هل سترتدين فستانك الأخير؟ هل صديقاتك سيحترمون مكانتك وحالتك؟

أكمل التساؤلات خالد:

- هل سيأمن لكِ سيارة كما اتفقنا أمس؟ يا سارة لا تخدعك الأوهام وهو غير جدير بك.

لم تعلق سارة وذهبت لغرفتها...

وفي تلك الأثناء توقف طلال واحتار في حالته، هل كلام عمه صحيح؟ هل أخطأ هو التصرف؟ هل حقًّا هي غير مناسبة له؟

أكمل طريقه وهو في حيرة من أمره وحزن كبير يملأ قلبه من كلمات عمه ومن تصرفه في التواصل...

سارة ما زالت تبكي ولأن والدها لا يتحمل زعلها ذهب إليها ليجلس على كرسي بقرب سريرها ويطلب منها أن تهدأ وتنهض، وكرر كلامه لتستجيب، طلب أن تغسل وجهها وتعود...

وقفت أمامه، طلب منها أن تجلس على طرف السرير وما أن جلست قالت:

- يا أبي لا تظلم طلال فهو متفوق ونفخر به.

أجابها:

- لا أنكر ذلك ومستقبله جيد، لكن دخله لن يتوافق مع احتياجاتك.

ردت: لا تقلق نتفاهم.

ابتسم وقال:

- لا تتأثري بالقصص والأفلام فالزواج علاقة مهمة وأنا أحبك ولا أرضى إلا برفاهية ابنتي وأعرف الأنسب وما زال الوقت باكرًا للزواج ومع الوقت ستفهمين قصدي، والآن أستأذنك ولا تحزني فأنا والدك الذي يحبك.

قبلت جبينه وطلبت من الله عز وجل أن يحفظه.

خروج خالد من غرفة سارة، وافق ذلك وصول طلال منزله وهو منزعج كثيرًا ينزل من سيارته وهو ممسك عقاله بيده وشماغه على كتفه.

وكعادته صرير الباب العالي يُعلم عائشة بقدوم طلال، تفتح الشباك القريب من الباب ترحب به، لكنه لا يرد كان يفكر. تستغرب من وقوفه في الخارج رغم الجو حار، تناديه، دون أن يسمعها ويكمل طريقه، ترفع صوتها ينتبه لذلك، يعتذر لم أسمعك يا أمي.

ترد عليه: هيا أدخل الجو حار وتستقبله ليقبل جبينها ويدها ويسأل عن والده؟

تطلب منه أولًا أن يخبرها عن سبب شروده، فهذه أول مرة تراه بتلك الحالة.

يجيبها: لا عليك يا أمي الأمر بسيط كنت أفكر في التطبيق والدراسة خصوصًا أنه ما تبقى إلا القليل.

تتمنى له التوفيق وتطلب منه أن يغير ملابسه، فلحظات والغداء يكون جاهزًا.

يذهب إلى غرفته وما أن يغلق الباب يضع مفتاح سيارته بقرب جهاز اللاب توب ويرمي شماغه على الكرسي ويجلس على الكرسي ويسأل نفسه ما الحل؟ وماذا عن سارة كيف أعرف أخبارها؟

لا أعتقد عمي يقسو لكن أخشى من عمتي أشواق لأنها حازمة كثيرًا.

يقف ويفتح الدرج ويأخذ ثوب النوم ليرتديه ويضع ثوبه الأبيض مكانه ويخرج ليقف أمام المغسلة ويغسل وجهه.

وهو يمسح وجهه شاهد والده خارجًا من غرفته ليرحب به،

ويقبل جبينه، ويرافقه إلى غرفة الطعام البسيطة ويجلس بقرب والده ليجهز الغداء، يتقدم سعد وقبل أن يبدأ بالأكل تنادي عائشة: طلال ننتظرك.

ينتبه ويتقدم ليجلس، وهي تضع له قليلًا من السلطة تقول: حالتك اليوم يا طلال غير جيدة تسرح كثيرًا، عسى أن يكون الأمر خيرًا.

يرد سعد: بحول الله خير، لنبدأ في الغداء.

اتفق طلال أنّ كل أمر من الله خير، لحظات وانتهى الجميع من تناول الطعام وأول من وقف سعد، وذهب.

قبل وقوف طلال تمسك بيده أمه وتسأله: لست في حال جيدة فأنا أفهمك وأرجو أن يكون الأمر بسيطًا.

ابتسم لها وقال:

- لا تقلقي وأقسم لها أنه على أحسن حال ويحتاج إلى الراحة قبل ذهابه إلى مدير الشركة مشاري، فقد طلب أن يزوره في بيته قبل خروجه إلى المكتب

ذهب إلى غرفته والآن الساعة ١:٣٠ م أغلق النور وكانت عيناه تنظران نحو السقف، يدعو الله أن يجعل القادم خيرًا.

لا يملك أي حل إلا الانتظار، يغفو ساعة وقبل الثالثة يستيقظ وبعد أن انتهى من الاستحمام وقف أمام المرآة ليكمل ملابسه وقبل أن يتعطر من عطر سارة يتراجع لأنه منهك من التفكير ويأخذ العطر الآخر ويخرج من غرفته.

يحاول أن يشعر أمه أن حالته جيدة ليطلب منها فنجان قهوة قبل خروجه وأنه يشعر بالراحة بعد الغفوة لتقدم له الفنجان وتدعو له وما إن انتهى خرج سريعًا وصادف عاملًا من الجنسية الهندية اسمه علي، الذي كان يغسل له سيارته كل يومين تقريبًا، يسلم عليه ويمازحه يا علي تتأخر كثيرًا ولأني مضطر للخروج حضرت.

ركب سيارته بعد أن انتهى علي سريعًا من مسحها، انطلق طلال لفيلا مشاري وتبعد حوالي ٣٥ دقيقة عن منزله، وعند الثالثة وعشر دقائق وصل مكانًا جميلًا وسيارات فارهة ليكتفي في الإرسال لمشاري، ما هي إلا لحظات حتى رد عليه، وطلب أن

يدخل ويسقبله رجلٌ من الجنسية السودانية، وبالفعل وجده واقفًا ليركن سيارته وينزل، كانت المفاجأة القوية خرجت زوجة مشاري من باب المنزل وابتعد هو عن الباب لتسلم عليه ويرد دون أن يرفع نظره وتقول هل أنت طلال؟

- أجابها: نعم، وتثني عليه كثيرًا وهو يرد شكرًا

في تلك الأثناء خرجت أماني وصمت طلال قليلًا، ثم تلعثم قائلًا: أماني هل أنتِ أماني زميلتنا؟ أو... أو... يتردد بقوله...

تضحك وتقول نعم أنا زميلتك، وأحترمك كثيرًا لتنظر لوالدتها وتقول:

- طلال هو الأول دائمًا وحديث الجامعة في حرصه وأخلاقه.

ترد والدتها: ما شاء الله تبارك الله أثق بذلك.

ومشاري يتحدث عنك كثيرًا ليخجل طلال ويقول:

- في الحقيقة أجهل ما أقول لكن شكرًا وأرجو أكون دائمًا مميزًا...

ويتمتم في نفسه قائلًا: الآن فهمت بعد حيرتي كل تلك الفترة...

ردت شروق أم أماني:

- نفخر بك، ورحبت به أماني وشكرته على مساعدته وحرصه على عمله وأخلاقه.

شكرها كثيرًا واستأذنهما بالدخول، وتشير شروق تفضل يا بني، فنحن خارجتان للتسوق مشاري بانتظارك.

يدخل وهو مبتسم لتلك المصادفة الجميلة ويصحبه الموظف عثمان للمدير مشاري حتى يقف ويفتح له الباب ويشير بيده تفضل هو ينتظرك.

يدخل طلال ويسمع مشاري صوت الباب، يرحب ويطلب منه الجلوس وهو يتابع جمع الأوراق، سأله عن حاله؟

فأجابه طلال: أنا بخير سعادة المدير وأعتذر لتأخيري..

رد مشاري لا عليك لم تتأخر وتفضل القهوة أمامك وشكره طلال، سكب له قهوة ليبدأ مشاري بالحديث، قبل تكليفك بالمطلوب أنا أشكرك على جهودك واليوم اكتشفت أنك زميل ابنتي أماني وهي تثني عليك كثيرًا وأنا أثق في تفوقك.

ابتسم طلال، هذا الثناء يسعدني كثيرًا وقريبًا نتخرج.

رد مشاري: تتخرج وتتركنا... وأشَار بالعين.

وضع طلال كفه على قلبه وأشار لا أنسى تعاملك والعمل معك استفدت منه كثيرًا... وإن تغيرت ظروفي القادمة أنت في مقام الوالد لقد استفدت منك كثيرًا، لا أستطيع أن أقطع علاقتي بك.

- مشاري: بارك الله بك سأفتقدك وأرجو لك التوفيق...

كان على مكتب مشاري كثير من الأوراق ونظارته الطبية وكوب القهوة.

ليلتفت مشاري خلفه ويسأله تشرب القهوة بالسكر أو تفضلها بدونه؟

يقف طلال ويضحك مشاري: نحن لسنا في العمل فأنت ضيفنا اليوم تفضل بالجلوس.

قال:

- أفضلها بدون سكر، يسكب ويقدمها له، ليرد شكرًا، يأخذ رشفة منها...

يتكلم مشاري الآن ركز معي، وبدأ الحديث عن العمل وامتد لمدة ساعة حتى استوعب طلال المطلوب وقبل الانتهاء سأله مشاري هل هناك سؤال؟

- أجابه طلال: الأمر واضح جدًا.

- قال مشاري: الآن عد إلى منزلك ومع بداية عملك في الغد تنفذ المطلوب.

وقف مشاري وكذلك طلال ليخرج من مكتبه ويعطيه ظرفًا ليضع الأوراق فيه، نسي نفسه طلال وعادت به الذاكرة للماضي هو الظرف الذي أخذه من درج بيت عمه خالد عندما كان يلعب مع سارة.

استغرب مشاري من طلال واستغراقه وشروده... لماذا لا يأخذ الظرف؟!

يناديه: طلال... طلال... ويشير بالظرف.

يعتذر طلال مع ابتسامة خفيفة تعلو شفتيه، تذكرت أمرًا مع هذا الظرف وقت الطفولة وله ذكريات عندي.

يرد مشاري قائلًا:

- بما أنه عزيز عليك تجد هناك كمية خذ منها إن أردت.

- يعتذر طلال: لا لا شكرًا، بل هي ذكريات الطفولة وانتهت.

ويكمل حديث النفس بداخله ويقول:

- وتلك الحبيبة من داخلي لا تنتهي.

يستأذن طلال ويخرج إلى سيارته ويضع الظرف في الدرج من شدة حرصه على عمله، وينطلق إلى منزله وهو يفكر في أماني وتواضعها رغم هذا الثراء.

إلا أنه لاحظ اختلالًا في سيارته لا تستقر والطريق مزدحم، يستخدم التنبيه ليحذر مَنْ خلفه، ويبدأ في محاولة السير على طريق الخدمة حتى يتوقف وينزل ليجد إطار العجلة غير صالح ويحتاج تغييرًا، ويتفقد الإطار الاحتياطي يتذكر تم استخدامه ونسي تأمينه.

كانت أماني ووالدتها في طريق العودة للفيلا، خفضت صوت المسجل وقالت لأمها:

- هذا طلال... ردت أمها: مَنْ طلال؟!

أجابتها:

- زميلي ومَنْ كان عند والدي للعمل.

وقبل وقوفها خلف سيارته ترد نعم هو، يبتسم طلال وتفتح شروق أم أماني النافذة: أهلًا بني طلال ماذا حصل؟

ليرحب بها وبأماني ويقول: إنه أمر بسيط ولا داعي للقلق.

تقول أماني: هل يجوز أن نترك دكتور المستقبل طلال والزميل المحترم سأنزل من السيارة وأركب في الخلف أوصلنا المنزل وخذ السيارة.

شكرها طلال لموقفها النبيل وطلب أن تتحرك لخطورة الطريق السريع وهو قادر على حل الأمر إن شاء الله.

أم أماني سنغادر ولكن سنرسل السائق لك، شكرها طلال

وما أن غادرت أماني ووالدتها، حتى وضع طلال غترته داخل السيارة وشمر عن ساعديه، وفك الإطار.

بعد قليل وصل السائق، نزل ليساعده ووضع الإطار في الخلف، انطلق إلى المحل القريب.

ليجد نفس حجم الإطار وينتظر حتى تم تركيبه، وما هي إلا دقائق حتى تم إصلاحه.

طلب طلال من السائق أن ينقل تحياته لأماني ووالدتها.

أكمل طريقه وتذكر أنه اتصل على فيصل وحدد معه موعدًا للقائه في المقهى، ليعود ويتصل به ويرد سريعًا فيصل: هل أنتظرك هناك فاليوم لا عمل لدي؟

فيصل موظف في أحد البنوك ينتهي عمله بعد الرابعة مساء، وهو لا يسهر كثيرًا وطلال يتفهم طبعه.

يرد طلال:

- نعم فأنا في الطريق إليك.

وصل الصديقان المقهى، وقص طلال له الموقف وكيف تعرف على أماني، ولأن فيصل الصديق المقرب لطلال فأغلب الأسرار يعرفها، وما إن انتهى طلال، قال له:

- يجب أن تستوعب يا صديقي أن أماني معجبة بك كما قلت لك سابقًا وممّا حدث اليوم تأكدت.

عاد طلال إلى المنزل بعد مقابلته صديقه فيصل، وصادف والدته عائشة تخرج مع والده سعد ليسلم عليهما ويسألهما إلى أين يا أبي وأمي العزيزين؟

أجابه والده:

- قريب إلى السوبر ماركت، بعد ذلك والدتك في ضيافتي على العشاء ومن الممكن أن نقبلك معنا، يضحك الجميع.

أشارت عائشة إلى ثوب طلال ليخبرها عما جرى معه ويطمئنها ألا تقلق فهو يخشى من والده أن يتراجع عن عزيمته، ضرب سعد بلطف خد طلال وقال:

- أنا أتراجع إذن سأحقق ظنك... تظاهر بالعودة، عانقه طلال وهو يضحك يا أمي اركبي السيارة فالوضع خطير، فتح الباب لوالده ليركب ويقول:

- حسابك لاحقًا.

وقف طلال حتى ذهبا، ليدخل إلى المنزل ويقف في المطبخ يفتح الثلاجة ويأخذ زجاجة ماء بارد ليشربها ويتركها عند الطاولة التي عادة تستخدمها أمه لتقطيع السلطات، يتوجه إلى غرفته يفتح الدرج ويأخذ ملابس الحمام، ويدخل ويستحم بعد يوم شاق.

وفي تلك الأثناء خرجت سارة من غرفتها، لا يوجد في الصالة إلا الخادمة وتسألها: أين أمي؟

تشير لها هناك في حديقة المنزل، تذهب إليها، الخطوات في تردد تجهل ردة فعلها ولم ترد على اتصالها وقفت خلف أمها أشواق، وبصوت منخفض أمي... أمي.

لا ترد عليها، ترفع صوتها أمي لماذا لا تردين علي؟

وتقف أمامها لترفع عينيها أشواق وتشير بيدها لا أريد أن أرتكب جريمة فقتلك حلال.

تجيبها سارة: لماذا؟

تصرخ في وجهها: وهل تصرفك لا يضرك وماذا عن سمعتك؟

ردت سارة: هو ابن عمي.

أجابتها: قال حبيبتي... وقفت أشواق وقالت: إذن ابنتي سارة تسمح له عند كل مرة. والجرأة لها أسباب وأنتِ تربيتك تحتاج مراجعة... اذهبي لا أريد أن أراك فذنبك كبير.

قالت:

- أمي طلال...

قاطعتها أشواق: هو يخدعك، إلى أن يتوظف يتزوج غيرك، لأنه يفهم لستِ من مستواه أكرر لستِ من مستواه.

عادت لتجلس وتقول: إذن كنتِ في المرحلة المتوسطة والثانوية متواصلة معه، وأنا غافلة وواثقة بابنتي.

عادت أشواق لترفع صوتها مجددًا: سارة لا أريد أن أراك اذهبي الآن...

تذهب سارة إلى غرفتها وهي تبكي وتحتاج أن تتحدث، تراسل صديقتها ريم

- مرحبًا كيف حالك؟

- ترد ريم: أهلًا أنا بخير وأنتِ يا صديقتي؟

- أنا حزينة جدًا وأحتاج أن أسمع صوتك.

لا تنتظر ريم تتصل مباشرة، وترد سارة وصوتها متأثر.

- تسأل ريم: أرجو أن يكون أهلك بخير.

- وهي تحاول أن تهدأ لا تقلقي جميعنا بخير، لكن القطيعة يا ريم تزداد... تعود لتبكي...

تحاول ريم أن تهدئ من حالها وتقول سأزورك؟

- أجابتها: لا... لا... أمي ستغضب أكثر.

تقول لها ريم:

- اهدئي وتكلمي وأنا أسمعك.

تقص لها الأحداث كاملة وبالتفصيل

- تسألها ريم: هل تثقين في رأي صديقتك؟

- تجاوبها: أنتِ أختي وصديقة الطفولة تفضلي

- ترد عليها: أنتِ لا ترحمين نفسك وتصرفك خلف عاطفتك يضرك.

- تسألها سارة: كيف لم أفهمك؟

تشرح لها ريم أنها يجب أن تنسى طلال، والأمر صعب ليس كما كان، والمستوى وقطيعة والدك مع والده يعقد الاستقرار، ولن تتأقلمي على بساطته وتواضع منزله.

- ترد سارة: لا...لا... أنا أحبه ويكفي أن أكون بقربه.

- ترد ريم: لا تخدعي نفسك، والوهم يجب أن يتوقف، لا ترهقي فكرك، ووالداك على حق، فكري بصحتك فيجب أن تهتمي بها، بعد ساعتين سأتصل بك وداعًا.

ترمي سارة هاتفها على كرسي أمامها وتضع كفيها على خديها وتتأفف وتقول: لماذا هذا الحظ؟

أعجز عن تقبل فكرة أن أترك طلال، لا أستطيع أن أنساه، الأمر منهك...

تدمع عيناها وتقف أمام المرآة، وتسأل: ماذا عنك يا طلال كيف حالتك اشتقت لصوتك الحنون الهادئ وكلماتك العذبة وخوفك عليّ ولهفتك، كيف أتحمل غيابك...

تسقط دمعتها وقبل سقوط الثانية تمسحها، تذهب للوحة كبيرة وتمارس موهبتها، فرسمت طفلة لكنها غيّرت ملامحها وجعلتها حزينة ورسمت الدموع على خديها...

أكثر من ساعة وسارة تفرغ حزنها في لوحتها، في حين كان والدها خالد معزومًا عند صديقه فهد في منزله الكبير والقريب ليصل ويجد زياد معه، وهو معجب كثيرًا به.

وقبل نزوله من سيارته كانا في استقباله وقَبّل زياد رأسه ورحب به ليسأله خالد عن حاله وعن عمله.

ويسكت زياد ويقول:

- عملي يبدو أن صديقك فهد قد أخبرك؟

- رد خالد: لا أبدًا رغم كثرة الاتصالات

- أجابه زياد: لا يا عمي الأمر بسيط تفضل بالدخول

رفض خالد الدخول، وأشار لك في قلبي مكانة، أخبرني ما الأمر، وسأتصرف.

أجابه زياد:

- في الحقيقة أنا لا أجيد عمل والدي في العقارات والإشراف المستمر، فأنا مهتم بالطبيعة والسفر وأملك حسابًا مهمًا في أحد برامج التواصل الاجتماعي عن المعلومات السياحية، ودخلي المادي منه جيد، بالإضافة إلى الشهرة، لكن والدي يطلب أن أتركه والتحق بالشركة، هذا الأمر أوقع الخلاف بيننا لأكثر من سنة.

أمسك خالد يده، وقال:

- لا تقلق سأتصرف... قاطعه زياد: لا أرجوك أخشى غضبه؟

- رد عليه خالد: لا تقلق أنا أفهم فهد وسأتصرف.

دخل المنزل وكان فهد بالحديقة يأكل قطعة تفاحة ليضعها ويقف ليرحب ويرفع صوته يبدو هناك سرًا مع زياد طال الحديث، رد خالد موضوعًا خاصًا ولا تتدخل أرجوك.

يضحك فهد ويقول:

- يبدو سيأخذك في سفره وبصوت منخفض الآن يا زياد هي الفرصة للحديث معه ولا تقلق.

جلس خالد وأشار زياد للعامل الأسيوي وبدأ بتقديم القهوة ليأخذها خالد وطال الحديث مع فهد، حتى حضر موعد العشاء وقف فهد وطلب من خالد أن يتفضل لتناول طعام العشاء.

وقبل اللحاق به طلب من زياد بعد العشاء ألّا يجلس حتى يتفرغ لموضوعه، هز زياد رأسه بالإيجاب.

عاد سعد وعائشة إلى منزلهما، وعندما وصلا قالت عائشة:

- سيارة طلال يبدو أنها لم تتحرك وأرجو أنه تناول عشاءه.

وقبل نزول سعد من السيارة قال:

- لا تقلقي عليه ليس طفلًا، وربما طلب من أحد المطاعم.

أقفل سيارته، وعائشة واقفة تنتظره يفتح باب المنزل، يسمع طلال صوت الباب، كان جالسًا في الحديقة وعلى الطاولة فطيرة وعصير.

لتبادر عائشة بالحديث: يا بني هذا ليس عشاء مناسبًا، لماذا لم تطلب طعامًا جيدًا ليتنا أحضرنا لك معنا...

يضحك سعد ويقول: كنت واثقًا هكذا سيكون كلامها.

يرد طلال: أولًا كيف كانت الرحلة؟ وإلى أين؟

يشير سعد بأنه سيذهب لينام، وقبل الجلوس عائشة قالت:

- انتظر سأحضر لك العشاء.

طلب منها طلال أن تجلس ومتى ما أحس بالجوع سيطلب من المطعم فورًا، وهو ممسك بهاتفه، قال:

- والآن أخبريني عن الرحلة...

بدأت تقص عليه وهو دائمًا يشعرها بالتركيز، لكن في باله حبيبته التي لم يعتاد أن يغيب صوتها عنه يومًا.

الشعور نفسه لدى سارة، وهي غارقة في الرسم تتصل بها ريم، ترد عليها سريعًا.

تعتذر ريم منها إن كانت نائمة، ترد عليها: لا ما زلت يقظة.

فسألتها عن حالها؟ لترد سارة: بأنها ليست جيدة وتبدأ بالبكاء، تحاول ريم أن تجعلها تهدأ أو ستأتي لزيارتها حتى تخفف عنها.

ولكن سارة ترد عليها: سأكون بخير لا عليك.

لتطلب منها ريم أن تهدأ وتركز قليلًا.

تسكت سارة بعد أن تقول لريم: هيا تفضلي.

تبدأ ريم في الحديث عن مثال لزميلة لها كانت سعيدة عند أهلها وتجد كل ما تطلبه لكنها ارتبطت بقريب لها حالته أقل قدرة، ثم تسألها عنها فسارة كثيرًا ما تقابلها، ما رأيك بحالتها؟

- تقول سارة: لا أدري.

- تكرر ريم حديثها: ما رأيك في حالتها لبسها وحاجتها هل تقارن فيما كانت تعيشه عند أهلها، سارة أخبريني؟

ترد عليها: لا طبعًا... وتسرح سارة كثيرًا...

لترد عليها ريم:

- إذن الآن وصلت الفكرة، ماذا لو قبل والدك ورحبت والدتك بطلال وتزوجته ستخرجين من هذا القصر إلى بيته القديم، ولن تركبي سيارة والدك الفارهة، هل ستتعودين على تواضع ما يملك يا سارة، خادمة سيعجز عنها، فكيف بفستان وما تحتاجين إليه من لوحات وزيارات الصديقات.

والآن تصوري الحالة هل الحب قادر على توفير ما ينقصك؟

تحتار سارة وكلام ريم وقع في نفسها، لكنها لا تعترف، لتطلب من ريم الأذن وإكمال الحديث في الغد في الكلية فقد تأخر الوقت وستنام، ترجو ريم الخير لسارة وأن تهدأ وتفكر.

انتهت المكالمة وفي داخلها سارة تقول يا صعوبة القرار والفقد، سأتركها للظروف...

لكن كيف أنام ووالدتي تخاصمني، وتحاول سارة أن تنام الساعة الآن الحادية عشرة، وقبل نومها تكتب لوالدتها رسالة وتختصر:

والدتي أكره أن أنام وأنتِ غاضبة علي، فأنا أخطأت وأرجو أن تعذريني يا حبيبتي، تصبحين على خير.

تطفئ النور وقبل نومها تستعيد حديث ريم حتى غفت عيناها.

وهناك في منزل فهد الكبير عاد خالد إلى الحديقة وكان الحديث طويلًا عن مشاريع عدة، ثم طلب خالد من فهد أن يوضح له ما قصة رحلات زياد، ليقول فهد:

- يا صديقي الحديث عن اهتماماته ضياع للوقت وهذا الابن ذكي وأريد له الأصلح، وأنت تستوعب أن عملنا يحتاج إلى خبرة.

كان خالد في قمة التركيز ويشرب الشاي ليضع كوب الشاي على الطاولة أمامه ويقول: إذن لزياد اهتمامات!

أجابه: نعم ولكن لا تنفع للمستقبل وضررها كبير والسفر مستمر.

قال خالد: اتركه لمجاله بما أنه يجد نفسه فيه، فقد اختبرته وأعتقد أنك أجبرته ولم ينجح، أصحيح؟

أجابه فهد: نعم صحيح، لأنه تشتت بين العمل معي ومع ما يحب.

قال خالد: من الطبيعي أنه لن ينجح أبدًا لا في عملك، وسيقصر في عمله، أنا مضطر الآن للمغادرة، وآخر ما سأقوله لا تخسر زياد أبدًا والثقة كبيرة بيننا اتركه مع ما يحب.

الفصل الخامس

وعلى قدر فجوة القطيعة... بدأت الملامح تتضح...

ما بقي إلا الشهرين النهائيين حتى يتخرج طلال وزملاؤه، ولأن طلال ذكي حاول ألّا يجعل تفكيره في سارة يقف عائقًا له في طريق دراسته ونجاحه، بل جعله تحديًا في أن يكون معروفًا وصاحب سمعة جيدة.

وفي المقابل بدأت أماني تعجب بطلال وتفكر فيه كثيرًا...

ففي مجموعة تطبيق الواتس اب، كانت أماني أول من يشاهد ملاحظاته وتحاول أن تراسله وتسأله، رغم إجاباته المختصرة إلّا أنها كانت تبادر.

وفي المقابل أيضًا بدأ بندر يشعر بها كثيرًا، فإن حضرت أماني ارتبك وتردد في حديثه وتداخلت كلماته.

ولأن التخرج قريب قرر أن يصحح مفهوم أماني عنه وأن قصده شريف ويريدها زوجة.

ولقرب موعد تخرج طلال كان يوم الخميس هو آخر أيام عمله في شركة مشاري، وقد أقام له احتفالًا تقديرًا له، مع إعطائه مبلغًا من

المال مكافأة على مجهوده خلال تلك الأعوام، كان الاحتفال في ساحة كبيرة أمام الشركة، والشمس على وشك الغروب.

قال طلال كلمة أخيرة شكر فيها مديره مشاري وجميع العاملين ورجا لهم حظًا سعيدًا.

لمح صديقه المصري عماد يحاول أن يتبعد، مد يده لعماد تعال، تعال، لم يتمالك عماد نفسه وعانق طلال محاولًا كتم البكاء، والجميع التزم الصمت.

وضع عماد رأسه على صدر طلال حتى يهدأ، وبعد دقيقة أكمل طلال حديثه وقال:

- هذا الموقف رغم أنه محزن لكننا نحتاج إليه، وما أجمل أن تخلد أثر من وقف بقربك.

وضع عماد يده على كتف طلال، أشار إليه طلال وقال:

- مادام من في الشركة أمثال عماد والجميع والحبيب مشاري على رأسهم أثق أن التطور مستمر، والفراق هو سنة الله في الحياة.

وحين انتهى تقدم مشاري وطلب ألّا يبتعد عن اللاقط، وقف بجانبه وبدأ في حديثه عن طلال وذكائه وأهم صفاته...

وكان مشهد الغروب يلوح أمامه فرفع مشاري يده للغروب وقال:

- هي آخر ليلة لطلال في الشركة وأمامه مستقبل باهر وله من إدارة الشركة مبلغ مالي وشهادة شكر وتقدير، كما أرجو له التوفيق.

أخذ وقت الاحتفال حوالي الساعتين وبعدها عزومة العشاء، وعند التاسعة غادر طلال عائدًا إلى منزله وفي طريق العودة فتح هاتفه الجوال، وجد اتصالات كثيرة من زميله بندر. اتصل به ورد سريعًا:

اعتذر كثيرًا وشرح له أسباب تأخره في الرد، فعذره بندر ليطلب مقابلته.

اعتذر طلال لخروجه من الظهر وأنه منهك جدًا، وطلب من بندر أن يتحدث إليه في المستشفى وسيكون هناك باكرًا... قاطعه بندر وطلب أن يسمعه الآن تحدث عن أماني وشعوره اتجاهها وأنها لا تفارق خياله وتفكيره، وهو لا يملك أسلوبًا في إيصال فكرته لها، وسأله كيف يستطيع أن يخبرها...

صمت طلال... ورد بندر عليه: تسمعني أو انقطع الاتصال؟

أجابه طلال: أسمعك بندر لا تستعجل.

في الحقيقة أنا لا أملك حلًّا... لكن أقترح عليك زينب ومن الممكن أن تتصل بها وتشرح لها القصة وهي توضح لأماني الأمر، فالأمر محرجًا بالنسبة لي لو تدخلت أنا.

بندر وبصوت عالٍ:

- أنت دائمًا تجد الحلول كلّمها سأنتظرك.

ضحك طلال:

- لماذا أنت لا تتصل لو كنت ابني أعدك سأخطبها لك، والآن اتصل بها ولا أعتقد أنك تخجل من زينب فهي زميلة من مدة طويلة وأعتقد أنها أحست بشعورك.

قبل إنهاء المكالمة سأل بندر طلال:

ماذا أقول لزينب فأنا لا أملك أسلوبًا واضحًا؟

رفع طلال صوته:

- أنا أقول أخبرها فقط عن شعورك، وأرجوك أنا متعب فقد وصلت البيت للتو، أستأذنك الآن...

نزل طلال من سيارته، واتصل بندر بزينب، استغربت من اتصاله فلم ترد، عاد ليرسل لها رسالة مضمونها:

السلام عليكم أسعد الله أوقاتك أختي وزميلتي زينب أريد أن أتحدث عن أمر وأحتاج دقائق من وقتك وأشكرك.

وصلتها الرسالة وما إن قرأتها اتصلت على بندر، رحب بها وردت التحية وطلبت منه أن يخبرها عن الموضوع، وكعادته بندر تردد كثيرًا رغم محاولاته المتكررة بالإفصاح، ولكنه في كل مرة يتردد:

في الحقيقة أنا بصراحة وعاد ليبدأ من جديد... يا زينب لسنوات وأماني... ثم قال أنا أقصد...

وبكل هدوء ترد زينب:

- إما أن تتحدث بشكل جيد أو اكتب رسالة توضح فيها ما تريد لو سمحت.

وزاد توتره ليقول: يا زينب أنا أحب أماني، وعجزت أن أعبر لها، وسبق أن أخذت مني موقفًا وفُهِم خطأ.

استغربت زينب وخجلت من حديثه وقالت:

أخي بندر وما المطلوب مني بالضبط لو سمحت؟

- جاوبها سريعًا: أنتِ زميلتها وأرجو منك أن تخبريها عن القصد.

قاطعته وقالت:

- هي زميلة فقط لا أكثر، ولا أتواصل معها خارج نطاق الدراسة، ويا حبذا أن تبادر أنت بالحديث معها لا الاتصال بي.

ولأنه عجز عن إقناعها طلب منها أن تهدأ وقال: لحظة لحظة يا زينب والله إن القصد شريف، أرجوكِ اسمعيني...

- قالت: تفضل وبدأ في سرد قصته وشعوره، وحين انتهى أجابته:

لا أريد أن أكرر كلامي فأنا زميلة فقط لا غير، ولربما يكون ردها لي لا شأن لك، والأهم من ذلك كله لا أريد أن تهتز نظرتها عني وتفهم أني على تواصل معك لذلك أعتذر منك.

وبعد إنهاء المكالمة قرر بندر أن يصارح أماني في الصباح...

وعند الساعة الحادية عشرة كانت سارة تنهك نفسها في الرسم، أضاء هاتفها ومعه تنبيه الرسالة ولم تعد تهتم لهاتفها فقد أثر موقف طلال على اهتماماتها، ولأنها محدودة العلاقات كانت ريم هي الأقرب لقلبها وتثق في طريقة تفكيرها، وكأن حديثها جعل سارة تهدأ وتبدأ بالتفكير بشكل جدي، لذا كانت ترسم وتفكر.

وكعادتها فهي لا تطيل السهر ومع أطفاء النور في غرفتها، استسلمت لنوم عميق بعد جهد التفكير.

كان الحديث مطولًا بين فهد وابنه زياد حتى تناول الحديث عن العمل، ولأن فهد بدأ يفكر في حديث صديقه خالد قرر أن يترك زياد مع هوايته وأن يستغلها في إنشاء عمل جديد له مثل افتتاح مكتب سياحي هو من يديره، فإما أن يطوره أو يصبح مطالبًا بإعادة نصف المبلغ لشركة أبيه فهد.

أسعد الخبر زياد وقَبّل جبين والده ويده، ثم قال له فهد:

هما عامان وتفصل لي ما أنجزته والآن يا بني هناك أمر آخر، أنت على مشارف الثلاثين من عمرك ولابد أن نبحث لك عن زوجة، فهل في بالك واحدة؟

رد زياد: لم أفكر أبدًا وأنا تحت أمرك، أنت ووالدتي فأنا سعيد بأن عملي ارتبط بهوايتي أخيرًا.

لم يكن زياد مهتمًا أو على قدر من استيعاب للحياة الزوجية.

قال فهد:

- إذن ما رأيك في ابنة صديقي خالد أعتقد أن ابنته تناسبك؟

- حقيقة لا أعلم، أعتقد أنك تقصد سارة، تلك التي صادفنها ووالدتها أشواق عندما كنا في بيت خالد.

ضحك والده فهد وقال:

- إذن أنت تعرفهم جيدًا ما رأيك؟ وهذا زواج ولا ترد على الآن بل فكر جيدًا، وفي الغد تخبرني.

وقف فهد وهَمّ بالخروج ليقول زياد: يا والدي أنا أريدها وهي مناسبة لي، وأنا أحب صديقك خالد.

قال فهد:

- لا أريدك أن تحب خالد، إنما قدّر وأسعد ابنته، وأرجو بعد الموافقة لك التوفيق.

الساعة الآن السادسة صباحًا وطلال كعادته يستعد للخروج لتناول طعام الفطور، تبقى أسبوعًا واحدًا على تخرجه، يخرج ليجد والدته قد جهزت له الطعام، لكنه في عجلة من أمره، لذلك أخذ من كل صنف قطعة وخرج مسرعًا بعد أن قَبّل جبين والدته.

ولأن والده سعد يخرج بعد صلاة الفجر مع صديقه لممارسة رياضة المشي فلا يصادفه.

ركب مركبته المتواضعة والقديمة في موديلها، وسار في طريقه.

وللمرة الأولى كان بندر أول الحضور، جلس في إحدى مقاهي المستشفى، ومن حسن حظه أول الوصول كانت الأنيقة أماني ليقف، سلمت عليه وجلست إلى طاولة بالقرب منه، استغل

الفرصة وذهب إليها يناديها أماني لو سمحت لي، رفعت عينيها ليرتبك ويقول وهو يضرب الطاولة يا بندر إلى متى ولم تفهمك أماني؟

- قالت: ماذا تريد؟ تفضل أسمعك

سحب الكرسي وجلس ردت لم أطلب جلوسك إنما ماذا تريد؟ وهي تفتح اللاب توب...

- قال: يا أماني أنا أقدرك كثيرًا وحاولت جاهدًا أن أوضح لك هدفي...

قاطعته: هدفك هو أن أهاتفك وأصبح صديقة لك، ألا تعلم أنا ابنة مَنْ أم تحتاج أن أخبرك؟!

- رد عليها: لا...لا... لا أرجوك لا افهمي أنا مستعد بعد موافقتك أتقدم لخطبتك.

- قالت: لا تخاف نظرتك كبيرة ولا تبرر في الزواج.

- رد عليها: أقسم لك هو هدفي.

شعرت أماني بالخجل، وقالت:

- لماذا لا توضح؟ بينما لا أجد منك سوى اهتمام وقهوة ونظرات لا أقبلها.

- رد عليها: أعجز عن الصد، فأنا أتشرف بك وأنا كذلك أبي معروف وأعتقد أننا نكتمل صحيح نكتمل؟

قالت:

- جميل... قررت وارتبطنا ما تلك الثقة يا بندر، غير ذلك أنا مخطوبة ولا تكرر هذا الموضوع، وأنت قريبًا جدًا تصبح دكتورًا، وستجد الأنسب لك، ولو سمحت لا تتجاوز أكثر من ذلك، وأرجو أن يدوم الاحترام بيننا.

حضر طلال وما زال بندر لا يستوعب قائلًا:

- عفوًا يا أماني أنتِ مخطوبة؟

وعند حضور طلال قالت أماني:

- يا زميلي انتهى النقاش، ولا تجعلني أفهمك خطأ.

وقفت لطلال ورحبت به وعيونها تتلألأ من شدة الإعجاب.

شعر بندر في عيونها الإعجاب لطلال ولم يعلق، إذ جاء كلامها وكأنه وضع النقاط على الحروف.

اكتملت المجموعة بعد حضور زينب، ولأن طلال محب لعمله بدأ في الحديث عن آخر تطبيق في هذا الأسبوع وتأمل أن يمضي على خير، وأن تنتهي تلك الأعوام بالتميز.

قالت أماني:

- أمس عمي الدكتور سألني عنك فأنت مرشح لمرتبة الشرف ومؤهل للبعثات الخارجية بعد ثلاثة أشهر، وأعتقد أن المدة عام واحد، هل سمعت بذلك؟

تفاجأ طلال بحديث أماني وقال: لا لم أسمع عن ذلك.

قالت أماني: وإن حصل هل تقبل ذلك؟

أجاب طلال وهو يرتشف قهوته بعد أن وضعها: طبعًا سأوافق وهي فرصة للمعلومة والسفر، آمل ذلك.

- تكلمت زينب: نثق فيك يا طلال، وأنت لسنوات متفوق ومجتهد. ونظرت إلى بندر وقد شعرت في ملامحه انزعاجًا كبيرًا.

وعند الساعة الثامنة ذهب الجميع للقسم المحدد، لإكمال عملهم.

كان بندر يخلع القفازات من يده، استغل طلال تلك الدقائق قائلًا: كيف الأمور، أجابه بندر: عن ماذا؟

- قال طلال: عن حديثك مع أماني.

- رد بندر: بعد اليوم لن أفكر فيها أبدًا، هي يا رجل عاشقة وعشقها ظاهر من عينيها.

- ضحك طلال: صرت يا بندر محللًا لحديث العيون أف... أف... أف... خطير جدًا كيف ذلك؟

- قال: وأنت يا طلال الذكي وقدوة الكثيرين هنا هل معقول أنك لم تفهم؟!

رد طلال: أفهم؟! أفهم ماذا؟ حقيقة لا أفهمك هيا اجلس ووضح لي أكثر.

جلس بندر وقال:

- يا طلال من اهتمام ونظرات وتغير صوت ومحاولة لفت الانتباه سأقول بكل ثقة، أنت حبيب أماني، نعم أنت حبيب أماني.

وقف طلال وقال: يا واثق ويا محلل، أيها الدكتور القادم لنذهب وانتبه من تخيلاتك وأعتقد أنك في الغد محبًا لزينب.

استفز بندر طلال وتابع كلامه: تريد مني أن أصدقك أنك لا تعلم بمشاعر أماني تجاهك، لا تستغبيني يا طلال.

رغم انزعاج طلال من كلام بندر لكنه قال له بهدوء: يا بندر لديك مشكلة، لدينا أسبوع معًا ونفترق، أسبوع وستكون طبيبًا، وما تتحدث عنه لا يليق وأنت تستوعب ذلك، والآن تقديرًا لك سأتجاهل أوهامك ولنذهب الآن.

انحرج بندر وبدأ التطبيق الأخير، وفي تلك الأثناء وعند الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد اتصل فهد على صديقه خالد

ودار بينهما سلام وسؤال عن الحال، وسأله فهد عن وقته قبل صلاة العشاء، أجابه خالد: في البيت لا أعتقد أنني سأخرج، رد فهد:

- إذن الأجواء جميلة، رتب لنا لقاء في الحديقة رحب به خالد وقال:

في الانتظار وقبل إنهاء المكالمة وضح له وسيكون بصحبتي زياد.

- رد خالد: أهلًا بكما وفي الانتظار.

وعند الواحدة ظهرًا خرج طلال ومَنْ معه بعد نهاية الدوام، وزامن ذلك خروج سارة من الكلية وهي فترة صمت لسارة وحيرة والتي ما زالت والدتها أشواق لا تكلمها إلا قليلًا... قررت يجب أن ترضي والدتها بأي وسيلة، وقبل وصولها إلى المنزل طلبت من السائق أن يتوقف عند محل كبير لبيع الورد بأنواعها، وكانت تفكر في حديث صديقتها ريم عن المناسبات وهل طلال سيأمن ما تحتاج إليه؟

نزلت وتجولت بين الورد والأزهار وقررت أن تأخذ تشكيلة جميلة منها، مع كرت لتكتب عليه الإهداء...

آنذاك تذكرت حبيبها طلال الكاتب، لكنها حاولت ألّا تعطي المجال لاسترسال أفكارها مع حبيبها...

وحين قدم لها البائع باقة الورد خرجت وأكملت طريقها، وما إن وصلت، وجدت والدتها مع العاملة ترتب الحديقة، سلمت سارة، ترد أمها عليها السلام دون التفاتة.

- تنادي: أمي.

تجيبها: نعم أنا مشغولة الآن.

- أرجوك وأعطت الورد العاملة وضعت كفيها على كتفي والدتها وقبلت جبينها وأخذت الورد وقدمته لها لتقول: أمي أنا أخطأت ولن تتكرر وزعلك مني أفقدني جمال أيامي، كما أفقدني نوم الهادئ لتبكي ورأسها على صدر أمها.

ولأن أشواق الأم الحنون مسحت على شعرها ومسحت دموعها لتقول: أنتِ سارة بنت خالد، وتصرفك قد يكون عائقًا لافتخار والدك.

- قالت سارة: أفهمك ولن تتكرر وأنا أحتاج إلى رضاك.

ابتسمت أشواق وطلبت منها أن تذهب لتبدل ملابسها وتنزل للغداء، دقائق ويكون جاهزًا.

سألت سارة عن ترتيبات اليوم، أجابت: والدك سيزوره صديقه فهد وأعتقد ابنه زياد سيكون معه.

- قالت سارة: أهلًا وسهلًا بهما... أستأذنك الآن أمي الجميلة.

صعدت سارة باتجاه غرفتها وكانت في طريقها ترسل لصديقتها ريم رسائل عبر تطبيق الواتس اب: اليوم تصالحت مع أمي ولأني أثق بك نفذت ما كنا نتحدث عنه.

فتحت باب غرفتها الكبيرة وتذكرت شقتهم القديمة وكلام والدها أن غرفتها أكبر من الشقة الصغيرة، وأسرعت في تغيير ملابس الكلية وارتدت المناسب لتعود إلى أمها.

في تلك اللحظات وصل خالد في موعد الغداء، لتسعده سارة بابتسامتها وتقبل يده وجبينه وتعتذر وتضع رأسها على صدره.

ولأنه يحبها كثيرًا قال: أثق في تفكيرك، وقريبًا لطفلتي سارة موعد على العشاء، ولها الحق في اختبار أي مكان تريده.

كانت أشواق تستمع لترد:

- عرض جميل وأنتظر الدعوة، وهي تشير إلى الطاولة الغداء جاهز.

وبعد انقطاع اجتمعوا على مائدة واحدة ودارت بينهم الأحاديث.

وفي المقابل كانت عائشة تفكر مع سعد عن مناسبة تخرج طلال والبحث عن حلول تناسب القدرة المادية والمشاورات مستمرة...

كان طلال في غرفته وحين خرج أحس سعد بقدومه، غيّر الموضوع ليرحب به:

أهلا بالدكتور طلال.

ذهبت عائشة إلى المطبخ لتحضر الشاي بعد الغداء، وتطلب من طلال أن ينتظر، يهز رأسه أنتظرك.

وكان الحديث مع والده عن أي المستشفيات ممكن أن ينتسب إليها ويرجو من الله أن تكون في نفس المدينة، وما إن وصلت عائشة سمعت طلال يقول:

- ربما بعد التخرج هناك بعثة لأني متفوق وأعتقد مدتها عام.

تضع عائشة الشاي وتقول:

- بعثة لم أفهم، شرح لوالديه ما المقصود.

وتلتفت إلى طلال قائلة:

- لا لا أنا لا أتحمل غيابك يجب ألا توافق وناقشها سعد وكانت تردد الكلام نفسه، توجهت إلى طلال لا توافق أبدًا.

ولأن طلال طبعه الهدوء طلب منها الشاي ومازحها أنتظرك وتحرميني يا أمي!

قدمت له الشاي وأخذ رشفة وقال:

- الآن يا والدتي اسمعيني جيدًا البعثة مهمة لأنني اختار المناسب لي ومدتها عام أو أقل، وستكون زيارتي لك مستمرة إذن لن

تشعري بغيابي، وهي مركزة تقول أنا لا أفهم إلا شيئًا واحدًا أني لا أتحمل غيابك ولو ليوم واحد.

ضحك سعد وقال:

- إذن لتذهب معك ولكن هل ستشتاق لي!

ضحك طلال وأمسك بيد والدته لا تقلقي أبدًا يا أمي وأتفهم حرصك وحبك لي ولن يحدث إلا الخير... والآن سأذهب إلى غرفتي.

وما إن دخل غرفته وقعت عينه على عطر ما زال هو اختياره لأنه من توأم روحه سارة تذكر صوتها وكيف تسعده في خوفها عليه وغيرتها.

وعاد للماضي واللعب، وتلك اللحظات بعثرت شعوره، يبحث عن اسمها في هاتفه ويجدها قد ألغت آخر ظهور لها وينتظرها حتى يظهر في حسابها إشعار متصل الآن.

لكنه تردد، فهو يجهل مصيرها بعد آخر مكالمة لهما وكان يتمنى أن يعرف ماذا حدث معها، حاول أن يبعد الهاتف عن يده حتى لا يتهور ويكتب.

في تلك الأثناء كانت سارة في محادثة مع صديقتها ريم وهي تؤيد تصرفها وأنه الأنسب، وكانت ردود سارة بين أتفق وأحيانًا اشتقت لطلال وهكذا، لكنها من داخلها مقتنعة بكلام ريم، وفي المقابل لا ترى غيره حبيبًا.

كان وقت العصر هو موعد سارة مع موهبتها وعادة ما ترسم حتى غروب الشمس، أما والدتها تتابع ترتيبات الحديقة لأن موعد زيارة فهد وابنه زياد قد اقترب، وبالفعل ركبا السيارة ولم يتأخرا لأن فيلا خالد قريبة منهم، قبل الوصول بدقائق اتصل فهد وأخبره نحن وصلنا الآن.

رحب خالد بهما وعانق زياد وهمس له كيف أمورك؟

- أجابه: أشكرك يا عمي والوضع جيد.

كانت الحديقة جميلة، وفي طريقه لمكان الجلوس سأل خالد: ما رأيك يا زياد في الحديقة؟ رد عليه: جميلة جدًا وأنيقة.

توقف خالد وقال:

- هي قبل مدة هدية من والدك فهد وله مواقف كثيرة منها ما أنا عليه الآن.

- قال زياد: تستحق يا عمي خالد الأكثر وزيادة.

قال فهد:

- صحيح وأنت يا خالد مجتهد.

جلسوا ليبدأ العامل في تقديم القهوة وكان أمامهم كثير من الحلوى والفواكه والعصائر، تحدثوا عن تفاصيل كثيرة، اعتدل فهد في جلسته وقال:

- يا أبا سارة أتذكر بداية المعرفة؟ أجابه خالد: نعم، سنوات مضت وما زلت أذكر ذلك المكتب البسيط ونصائحك القيمة.

- قال فهد: صحيح، ولله الحمد على ما نحن عليه.

والآن يجب أن نوطد العلاقة واسمح لي أن نتقدم بطلب كريمتكم ابنتكم سارة للزواج من زياد، وقبل نهاية كلامي أتفهم أي قرار وزياد يحبك وهو ابنك.

ابتسم خالد وقال:

- بالنسبة لي لا أجد أفضل من زياد، ولكن أريد مهلة من الوقت فسارة صاحبة الشأن نأخذ رأيها... وبداخله يقول:

كيف أقنعها بزياد وطلال حاضر في قلبها؟!

ومع ارتفاع صوت الحق أذان العشاء، قال فهد:

الآن نستأذنك وخذ الوقت الكافي ولكن لا تتأخر علينا، هما يومان فقط لا غير، طلب منه خالد أن ينتظر لتناول طعام العشاء ولكن فهد اعتذر لانشغاله، وقف ومعه زياد وخرجا.

قام خالد بإيصالهما عند الباب وعاد لمكانه وأمسك هاتفه ليتصل بأشواق وترد عليه ليطلب منها أن تخرج إلى الحديقة ويخبرها بخروجهما.

وصلت أشواق وكان خالد يأكل من صحن العنب، تسأله عن سر الزيارة ووقتها القصير، وبعد جلوسها قال: فهد تقدم لخطبة سارة لابنه زياد، والحقيقة أنا معجب جدًا به، أجده شابًا مناسبًا لها ما رأيك؟

قالت أشواق:

- أتفق معك وهو الأنسب والقادر على استمرار ما تعتاد عليه من معيشة، لكن ابنتك عنيدة جدًا، ولا أعرف ردها، وما مصير حبها لطلال، هي كالمراهقة لا تفهم مصلحتها، وبعد اكتشاف تواصلها مع طلال أخشى من الوعود بالزواج... لا تخبرها الآن.

- قاطعها خالد: هما يومان فقط وبعد ذلك يكون الرد.

اسمعيني جيدًا لابد أن أتكلم مع سارة... وفكر قليلًا ثم قال:

- أو مَنْ برأيك قادر على التأثير عليها؟

قالت أشواق:

- بالنسبة لي لا أعتقد، فأنا كثيرًا ما أدخل معها في جدال لا جدوى منه، ولكن صديقتها ريم قريبة منها، وأنا على علاقة مع والدتها، أعتقد أنها طريقنا لأني سبق وتكلمت مع ريم ووالدتها وبيننا علاقة جيدة.

قال خالد:

- إذن أخبري ريم عن خطوبتها وهي بعد العصر عادة تكمل الرسم فلتأتي لزيارتها وتحادثها في الأمر.

رن هاتف خالد وانشغل بالمكالمة، وقف وبدأ في المشي وباله مع موظف كان يناقشه عن العمل.

ولأن أشواق متحمسة أرسلت لأم ريم إن كانت متفرغة ستتصل بها للضرورة.

وما إن قرأت الرسالة حتى هاتفتها وبعد الترحيب سألتها عن ريم وصحتها، ثم بدأت في الحديث عن خطوبة سارة وأن المتقدم لها شاب يناسبها، وطلبت من صديقتها ريم أن تقنعها بذلك.

تفهمت الأمر أم ريم وطلبت منها عدم القلق وأنها ستبدأ في الحديث مع ريم قبل نومها وانتهت المكالمة.

كانت الليلة إيذانًا ببداية الشتاء، وارتفعت معها راية قطيعة العاشقين.

بدأ صباح اليوم الجديد وكان الأسبوع الأخير لطلال وزملائه في التطبيق واليوم ليس لديه أي عمل، خرج ويملؤه الشوق كان ينتظر سارة، ولأن سيارته متواضعة أمام هذا الحي الفاخر كانت النظرات تستغرب توقفه وأحيانًا تحركاته وهو ينتظر خروج سارة مع السائق.

شاهده حارس في الفيلا المقابلة تكرر توقفه لذا شك به وقام بإخبار صاحب الفيلا والتي كانت جديدة قيد الإنشاء، الذي اعتقد أنه ينوي السرقة، في تلك الأثناء كان صاحب الفيلا الجديدة قادمًا في الطريق، وطلب من الحارس أن يدون رقم اللوحة.

لكن طلال لم ينتبه للحارس وكانت عينه على السائق الخاص بسارة، لأنها كانت تستعد للخروج، وبدون أن يشعر وقف أمامه الحارس وسأله عن سبب توقفه وتلفظ عليه بكلام غير لائق واستفزه بجملة هل تنوي السرقة؟

تعجب طلال من جرأته وسأله سرقة ماذا؟؟ أنا أبحث عن صديق لي.

طلب الحارس منه التحرك فورًا وضرب بكفه باب سيارة طلال، غضب طلال ونزل سريعًا ليدفعه ويسقط على الأرض.

صادف سقوطه وصول صاحب الفيلا الجديدة ونزل سريعًا وهو يرفع يده قائلًا: خيرًا، خيرًا...

ولأن صاحب الفيلا متزنًا طلب من الحارس الابتعاد وتوجه بالسؤال إلى طلال، ماذا تريد يا أخي؟

رد عليه طلال:

- ليس هناك أمر مزعج، وقوفي ليس في منزلكم، وما كنت سببًا في تعطيل حركة السير.

أجابه صاحب الفيلا:

- أتفهم ذلك، لكن هنا مواد للبناء وأنا لا أعرفك، تفضل الآن بالذهاب لا أريد أن أدخل معك في جدال، وتذكر أن هناك كاميرات...

ضرب برفق بيده كتف طلال وقال: تحرك... تحرك.

دفعه طلال لست طفلًا، وبدأ الصوت يرتفع وتطور الأمر حتى تدخل شخص عابر وكبير بالعمر.

أما سائق سارة فكان يعرف طلال، فذهب مسرعًا لفك الاشتباك.

وتقديرًا لكبير السن ابتعد طلال مع السائق، في تلك الأثناء خرجت سارة وشاهدت ما يحدث عن بعد، اتصلت على السائق وطلبت منه أن يعطي الهاتف لصاحب الفيلا الجديدة حتى تكلمه وتعرفه بنفسها وتطلب منه التحلي بالهدوء لأن الشخص الذي اشتبك معه هو الدكتور طلال ابن عمها.

وتعجب الرجل وشعر بالحرج، وهو يحادثها وكانت عيناه على طلال، ليغلق الخط ويعيد الهاتف إلى السائق ويعتذر من طلال ويقول أنت ابن عمها؟!

قال طلال:

- لا علاقة لك بهذا ركب سيارته، كانت سارة واقفة وفي تلك اللحظة خرج خالد.

الفصل السادس

كان خالد عادة ما يخرج بعد سارة، وفي هذه المرة تفاجأ بأن سيارة السائق موجودة، جاره الجديد واقف وسيارة طلال موجودة وهو واقف أمامها.

التفت إلى سارة وسألها ماذا يجري هنا؟

يتكلم طلال ويرفع طلال يده ليتكلم، ليرد خالد: لو سمحت السؤال لابنتي. ولك الحق في الوقوف في الشارع، كان وقع الكلمة قاسيًا على طلال.

أجابته سارة هذا موعد خروجها، وشاهدت طلال واقفًا وكاد أن ينشب خلاف بينه وبين جارنا الجديد.

طلب منها أن تذهب إلى الجامعة حتى لا تتأخر، ويرفع يده للسلام على جاره الجديد، ثم يوجه الكلام لطلال أنا محرج كثيرًا بسببك ماذا تريد؟

لم يجد طلال ردًا مقنعًا، طلب منه خالد عدم العودة، ووجب عليك أن تخجل من اتصالك مع أختك سارة.

قال طلال:

- هي ابنة عمي وأنا قصدي شريف.

وأنتظر حتى تهدأ الأوضاع، وأستغرب من تلك القطيعة غير المبررة منك يا عمي.

قال خالد:

- أنا أحبك يا طلال لكن والدك أحرجني كثيرًا مع ضيوفي وفكره لا يتطور.

قال طلال: لا يتطور!

ذهب خالد إلى سيارته، وقال:

- لا تضيع الموضوع، فالخطأ كبير في اتصالك وموقفك الآن، اذهب إلى منزلك ولا تعود هنا إلا لطلب الحاجة للمساعدة، فلن أتأخر عنك أو عن والدك.

كان الرد قاسيًا جدًا من عمه خالد ولأول مرة يرفع طلال صوته وقال:

- عمي... أنت ناكر المعروف ونرجسي للأسف.

كان خالد ينتظر هذا الخطأ وهو يفتح باب سيارته

قال:

- اذهب يا دكتور وهو يضحك دكتور ولا يعرف الاحترام.

تحرك طلال إلى منزله، وخالد إلى عمله، اتصل على ابنته سارة وردت

- سألها: هل وصلتِ.

- قالت: لست بعيدة.

وحدثها عن الموقف وأخبرها أنه من المفروض أن تتصل بوالدها لا أن تتدخل، وذكر موقف طلال في وصفه أبيها ناكر للمعروف ونرجسي وهذا أحزنها كثيرًا والتزمت الصمت ثم قالت:

- قد وصلت يا أبي أستأذنك وأغلقت الخط.

وصل طلال منزله وهو بين التفكير في تخرجه وموقف عمه وحبه لسارة والأفكار المتداخلة أزعجته كثيرًا...

دخل منزله ومن حسن حظه لم يصادف والدته ولا والده، وبمجرد فتحه باب غرفته اتصل عليه زميله بندر مباركًا له قرار ابتعاثه.

- قاطعه طلال: ابتعاث!؟

- لم أفهمك يا بندر كيف ذلك؟

أخبره أن أخاه قرأ اسمه ضمن المرشحين في الشهر القادم لدورة مدتها سنة وغالبًا ما تكون تطبيقية، وتختصر عليه كثيرًا في المساهمة في خبرته.

- سأله طلال: هل عرفت مكان الابتعاث؟

- أجابه بندر: لا.

ليضحك طلال قائلًا: دائمًا يا بندر أنت مثير للجدل، لكن ماذا عن أخبار حبك لأماني ما جديدك؟

أخبره بندر بأنه حجب عنها الاتصال فمعشوقها بحجم كل الرجال!

- أكمل طلال متسائلًا: ومعشوقها أنا صحيح؟

- رد بندر: نعم نعم صحيح.

- ضحك طلال وقال:

- ثق تماما أنك متوهم، وأنا على علاقة جيدة بوالدها وهي زميلة وأخت لا غير.

واسترسل طلال بقوله: سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً.

ولأن بندر محبوب عند طلال ضحك كثيرًا وقال: لنا لقاء.

أكمل طلال وقته في غرفته وبداخله حيرة كبيرة وأفكار كثيرة.

ويبدو أنها النهاية الحتمية بعد مكالمة ريم مع سارة وإقناعها أن زياد هو الرجل المناسب لها، وأن انتظار الوهم صعب، وطلال لا يواكب ما تحتاج إليه في المستقبل.

أخيرًا وبعد معاناة رضخت سارة للأمر، نزلت من غرفتها لتعلن عن وأد أحلامها بقرارها أنها وبعد مواقف صعّبت ارتباطها بحبيبها، وأرهقها صد والدتها وخجلت من والدها.

وما إن فاتحتها والدتها مرة أخرى، أجابتها: أنها موافقة.

ابتسمت أشواق ثم وضعت رأس سارة على صدرها وقالت:

أثق بفكر ابنتي، وهذا هو القرار السليم.

كانت سارة لا تتمالك نفسها، سقطت دمعتها لتمسحها سريعًا

- وتقول: أخبري والدي عن القرار ولكن الزواج بعد سنة، أي بعد التخرج.

- قالت والدتها: نعم، هذا المناسب والآن فقط عقد القرآن.

كتمت سارة مشاعرها وتركت القرار لوالدها، وداخلها يبكي على طفولتها ومحبوب لا تنساه.

سارة ما زالت على صدر أمها، رفعت رأسها وقالت: أمي هناك طلب.

- قالت أشواق: طلبات، قولي فأنا أسمعك.

- قالت: عمي سعد لا أنسى اهتمامه وحبه لي وذكريات الطفولة والمدرسة، اقنعي والدي بالتصالح معه، وهذا أهم طلب عندي وهدية زواجي.

- قالت أشواق: لا أعدك في موافقة والدك ولكن سأخبره.

وبدأ اليوم الجديد ولسنوات طويلة قادمة...

وسريعًا كعادته طلال تناول ما أمامه من وجبة الفطور، وخرج لأهم يوم في مسيرته التعليمية، كان والده قد استعد لصحبته ليحضر الاحتفال، ويفخر بأن ابنه طلال سيحصل على بكالوريوس الطب، وقبل خروجه قَبّل كفي والدته وقالت:

- اليوم لن أنام، أنتظرك، اتصل أرجوك.

- قال: أتذكرين كلمة الطفولة؟

- ضحكت وقالت: كنت تقول: قسم... قسم.

ابتسم وقال: سأقسم لكِ بالله أول شخص أخبره أنتِ.

دعت له، وخرج إلى جامعته لحضور الاحتفال، وما إن وصل شاهد بندر وزينب وأماني، وكل زميل معه أسرته.

عانق بندر وقال طلال: أخيرًا.

بندر: ولكن ألا تلاحظ أن أماني ابتسمت بعد حضورك؟ كنت أخشى على أناقتي من ردة فعلها.

سحبه طلال وقال: متى تترك عنك جنونك؟ وكيف أتمالك نفسي من الضحك، أرجوك ابتعد يا مجنون.

وما إن دفعه التفت وصادف مشاري.

أسرع إليه وسلم عليه وقَبّل جبينه وقال: أهلًا وسهلًا وأشعر بالخجل لتقصيري، ولكن كيف حضرت؟

- قال: يا دكتور أنسيت أنا والد زميلتك أماني، وأشار لها أن تقف بجواره.

- قال طلال: نعم صحيح، وبادر بتحيتها.

لترد وتمتلئ عيناها بالإعجاب وتبارك له التخرج.

طلب من مشاري الذهاب معه إلى الكراسي القريبة فهناك يجلس والده. وقال مشاري: جميل، أين؟

أشار طلال بيده هناك. رافقه مشاري، وكان سعد منشغلًا بهاتفه، وقف أمامه طلال وقال:

- أبي رفع سعد رأسه: أهلًا بالدكتور.

- قال: أعرفك على السيد مشاري صاحب الشركة التي كنت أعمل بها.

وقف سعد ولأنه على فطرته ردد: يا أهلًا بالأخ مشاري.

وبارك له تخرج ابنه وشكره سعد على ما قدمه لطلال خلال أعوام عمله عنده، ليسأل: هل لك ابن أو قريب؟

- قال مشاري: نعم ابنتي زميلة طلال واسمها أماني.

- ردد سعد التبريكات...

بدأ المذيع: السادة الحضور سنبدأ الآن ونرجو من الجميع الجلوس.

جلس الجميع وبدأت مراسم الاحتفال، حتى بدأ تكريم المتفوقين وتسليم الشهادات.

وكان الحاصل على المركز الأول هو طلال سعد.

صفق الحضور ليقف طلال ويذهب ليستلم شهادته ويبارك عميد الجامعة له التفوق، ويطلب من طلال كلمة، شكر فيها الجميع والزملاء، وسأل الله تعالى التوفيق وأن يحفظ هذا البلد.

وما إن انتهى طلال، عاد العميد ليكرم بقية المتفوقين.

ويشير أنه قد تم اختيار المراكز الثلاثة الأولى من المتفوقين في البعثات الدراسية الخارجية والتي تساهم في تطوير مهاراتهم وذلك قبل مباشراتهم أعمالهم سيكون التحاقهم بها.

لم يستوعب سعد هذا الكلام، وسأل من هو بجواره ليبدأ بالشرح له وقال: جميل.

وللأسف أماني لم تكن من المتفوقات، ولكنها ذهبت إلى طلال وعبرت له عن سرورها بتفوقه، أنه يستحق ذلك.

ليشكرها...

ذهب إلى والده سعد وقدم له الشهادة وعانقه، اتصل بوالدته عائشة، ردت سريعًا أخبرها بتفوقه وبتكريمه، سعدت كثيرًا وحمدت الله.

في تلك الأثناء كان خالد في نقاش مع أشواق، أسعده خبر موافقة سارة على الزواج من زياد.

ولكن عن طلب سارة في صلحه مع عمها قال: البيت يرحب به وقرار الاتصال لاحقًا أفكر فيه.

أمسك هاتفه واتصل على فهد وأخبره بالموافقة، وأنه بإمكانهم عقد القران، ولكن موعده بعد أشهر أي بعد تخرجها.

أحداث غيرت مسار الأمنية والتوقعات التي بقيت حبيسة الأحباب.

ولأن فهد مسرور بالخبر أتفق مع زوجته وابنه زياد على موعد الزيارة، والتي ستكون مساء هذا اليوم.

وبالفعل كانت والدة سارة على علم وبدأت تستعد، تتظاهر سارة بالسرور وداخلها حزين.

وفي الجهة الأخرى كان استقبال عائشة لابنها في قمة السعادة

فقد اجتهدت بترتيبات بسيطة جدًا للتعبير عن سرورها، وعجزت عن الحديث عندما عانقته، ولم تستطع كتم صوتها في البكاء.

قَبّل جبينها طلال، وجلست على الكرسي، وجلس بجوارها

وطلب منها أن تشاركه في تقطيع الكيكة فشاركته، وبدأ طلال في أكل جزء منها، فقالت له:

- متى نحدد الاحتفال بك؟

ابتسم لها وقال:

- هناك حلم كبير وبعده سنحتفل.

- قالت: لم أفهم كيف؟

بدأ يشرح لها قصة سفره للخارج للدراسة والمدة عام واحد.

- قالت: لا لا غيابك لا أتخيله.

- تكلم سعد قائلًا: هو مدرك الصواب، المدة ليست طويلة، ويعود، كما أن الأولوية له في الاختيار، إلا إذا قمنا في صده ربما تعيينه يكون خارج المدينة.

- قالت: ماذا؟

قاطعها قائلًا:

- سفره يحدد الاختيار، هنا أدركت عائشة أنه الحل الأنسب.

وهناك في منزل خالد حان وصول فهد وزوجته والعريس زياد ومعهم الهدايا وعقدًا سيزين به زياد رقبة سارة.

وهو الإعلان الحقيقي لقطيعة العاشقين.

دعت سارة صديقتها ريم ووالدتها لحضور احتفال عقد القران.

وما إن وصل فهد رحب به صديقه خالد، وقَبّل زياد جبين عمه الجديد، وبادلت نوف زوجة فهد التحية إذ كانت أشواق ووالدة ريم في استقبالها.

وفي أثناء حديث فهد مع خالد كان العامل يضيف القهوة، والجميع في انتظار المأذون الشرعي.

في تلك اللحظة نفسها كان طلال يفكر في سارة، ولا يدري كيف يُعلمها بخبر تخرجه.

ولأن العاشق عاطفته تغلب على تفكيره أمسك هاتفه وغامر وأرسل:

السلام عليكم، اليوم تم بحمد الله تخرجي مع مرتبة الشرف، وتم ترشيحي إلى بعثة خارجية مدتها عام... أرجو أنكِ بخير.

كانت سارة أمام المرآة وأضاء الهاتف وجذب انتباهها وتحرك داخلها أنه طلال... تقرأ وتحجب الرؤية دمعة نزلت على خدها وردت:

مبارك، وفقك الله يا طلال وأرجو لك الخير...

اليوم موعد عقد زواجي من ابن صديق أبي...

أرجو لك السعادة وأنا فخورة بك... اهتم بنفسك...

لن أنساك.

أرسلتها، وحين وصله التنبيه أمسك هاتفه وهو يقرأ، لا يصدق ويقول: لا لا!

اتصل سريعًا وردت بانشغال الخط، ثم الجهاز مغلق.

لا يستوعب يخرج سريعًا دون تفكير ووالدته تلحظ سرعته تناديه ويرد: لا تقلقي سأعود.

ولأن والده نائم توقعت أنه ذاهب إلى صديقه.

وبدون شعور طوال الطريق إلى منزل عمه خالد كان يردد لا لا هي غير صادقة.

وفي تلك الأثناء وصل عم زياد وصديق والده للشهادة على الزواج. وحتى يتم تجهيز العقد والإجراءات، وقف زياد ومعه خالد وهما في طريقهما إلى سارة.

دخل طلال المنزل وشاهد الضيوف وحينها صدق الخبر وأدرك أنه وقع في خطأ كبير.

استغرب زياد الأمر والتفت لعمه خالد سائلًا:

- من هذا يا عمي.

- تكلم طلال قائلا: المعذرة يبدو أنني قد أخطأت المنزل، وخرج.

- وبداخله يقول خالد: كيف عرف الأمر يا ترى؟

أمر الحارس أن يغلق البوابة، وطلب منه مراقبة طلال أيضًا

هل سيغادر أم يبقى في الخارج؟

لحظة لقاء زياد بسارة، عبر لها عن سعادته بالارتباط بها، وأثنى على جمالها، وقلدها العقد الجميل، خجلت سارة من كلام زياد مما جعلها صامتة وتمت الأمور على ما يحبّ جميع الحاضرين.

وقبل مغادرتهم الحفل، كان طلال يقود مركبته وتملؤه الحيرة.

حتى توجه إلى مقهى جلس فيه ليستوعب ما حدث، خطر بباله صديقه فيصل اتصل وما إن رد سأله:

- هل أنت متفرغ؟

- قال فيصل: ما بك

- رد عليه هل أنت متفرغ؟

- قال: نعم نعم.

- قال طلال: إذن انتظرك في مكاننا المعروف في المقهى.

لم يتأخر فيصل كثيرًا، وما إن وصل، وقف طلال.

فقال فيصل: لقد أصبحت دكتورًا ويجب أن تكون أكثر هدوءًا.

جلسا وطلب له طلال قهوته المعتادة

أخبره بالقصة وقاطعه فيصل: تقول إنك ذهبت إليهم؟

- قال: نعم ولا أدري كيف؟!

ولكن تداركت وتظاهرت للزوج وللضيوف أنني أخطأت ولم يرد عمي خالد.

- قال فيصل: لعلها خيرة وهذا نصيب، وأنت ناجح وطموح، كثير يرغب بقربك.

قال طلال: قربي! لكن أنا أحببت سارة وهي لا تغيب عن بالي

وكيف استوعب أنها صارت زوجة لغيري؟!

طال النقاش...

ورفع فيصل صوته حتى انتبه كل مَنْ في المقهى:

يا مجنون أخرجها من فكرك.. انتهى الأمر.

شعر طلال وفيصل باحتدام النقاش لذا غيرا مسار الحديث وقال طلال: لا أريد أن أفكر الآن...

بعد دقائق انتهى اللقاء، وما زال طلال في حيرته، وما إن عاد إلى المنزل، فرحت أمه عائشة بعودته وقالت:

اتفقنا على الاحتفال بك، رد طلال:

- احتفال! بماذا؟

وضعت عائشة يدها على خدها وقالت:

- ما بك مشغول البال، هو احتفال تخرجك.

سحب الكرسي في الحديقة وجلس وطلب من والدته الجلوس، قالت:

- لا اتبعني للعشاء

- رد عليها: أريدك في موضوع اجلسي.

جلست وقبل اعتدال جلستها قالت: خيرًا يا بني؟

- قال: عمي خالد يا أمي...

سألته قبل أن يكمل حديثه: ما به أصابه مكروه؟!

- قال: لا لا، الحقيقة أنا تسرعت وحكى لها قصته لحظة خروجه، وأن خبر زواج سارة أفقده صوابه.

- قالت: لم أتمنَ أن تذهب.

- رد طلال: من غير شعور يا أمي.

- قالت: أنت الآن أصبحت دكتورًا وتصرفاتك محسوبة عليك أكثر من أي شخص عادي، وبالنسبة لسارة هذا نصيبها، وهي لا تصلح لك فقد اعتادت على الدلال، ويجب أن تفكر في مصلحتك... والآن والدك ينتظرنا على العشاء، هل تريد أن أخبره عن سارة؟

- قال طلال: لا يا أمي.

مضت الليلة في صراع أضمره طلال وسط أعماقه.

وفي تلك الأثناء تردد خالد بمعرفة من أخبر طلال، لأنه شعر بسعادة زوجته أشواق وخجل سارة.

فلم يرد تنغيص الليلة وفرحتها عليهما، ولكن بداخله تساؤلات كثيرة، وبعد ساعتين استغل عدم وجود سارة وتحدث مع زوجته عن قصة حضور طلال واستغرابه من الموقف، فلا يدري من أخبره واستغرب من جرأته. قالت أشواق:

طلال هذا متهور وأستغرب كيف تخرج وأخذ المرتبة الأولى!؟

قال خالد: أي مرتبة وأخبرته بأن سارة طلبت أن أخبرك بأنه تخرج من كلية الطب مع مرتبة الشرف.

رفع خالد يده: نعم الآن فهمت.

إذن أخبرته سارة وهذا يعني أنه مازال التواصل مستمرًا، غضب خالد وأمسك هاتفه واتصل على أخيه سعد

الذي رد سريعًا ورحب به وبكل برود شكره خالد وقال:

- يا أخي أرجوك... أرجوك تحدث مع ابنك أن يبتعد عن سارة

وحاول أن يرد سعد لكنه قاطعه وقال:

- اسمعني... وقف خالد وخرج إلى الحديقة وحكى له قصته مع جاره، وقبلها الاتصال.

كانت عائشة تشير بيدها ماذا يقول!؟

وسعد يطلب منها السكوت... حتى انتهى...

- قال سعد: الأهم ثق أن طلال لا يقصد، وهذا لا يمنعني من قول إنه على خطأ، وسأتحدث معه الآن.

- قال خالد: يا أبا طلال هي الآن متزوجة، والتواصل لا يجوز، ولا أريد أن ندخل في مشاكل نحن في غنى عنها.

- رد سعد: وفقها الله وانتهى الأمر لا تقلق... والأهم كيف أخبارك؟

- رد سريعًا خالد: بخير وفي أمان الله.

وأغلق الهاتف رغم أن سعد مازال يتكلم.

التفت سعد إلى زوجته ووضع هاتفه، ورغم سؤالها لا يرد، حتى انفجر غضبًا

- وقال بصوت عالٍ: ابنك طلال لا يستوعب أن عمه لا يريده وهو على تواصل مع سارة.

- قالت عائشة: هي ابنة عمه...

قاطعها... هذا خطأ، وتهجم على جارهم واقتحم منزلهم عند عقد زواجها... يا الله كل هذا من طلال!

أمسك هاتفه واتصل على طلال وحتى رد قال له: تعال سريعًا أنا في الصالة.

خرج طلال مسرعًا من غرفته، وما إن وصل كانت أمه صامتة ووالده متجهمًا

- قال: خيرًا يا أبي ماذا حصل؟

حاولت عائشة أن تتكلم...

رفع سعد يده فسكتت ثم قال:

- يا دكتور لماذا فعلت كل ذلك؟

بدأ يعيد له المواقف وطلال صامت لا يتكلم.

- قال: أنا لا أصدق أن كل تلك التصرفات تصدر منك!

- لماذا فعلت كل هذا؟

- قال طلال: لا أعلم يا أبي، وطأطأ رأسه.

وأكمل: لم أتخيل هذا التبدل، وسارة منذ طفولتنا لا أعرف غيرها، وما أردت غيرها زوجة، ولكنني أعترف أنني أخطأت التصرف.

- رد عليه والده: مهما حصل سمعتها واستقرارها تهمك قبل نفسك، ومهما حصل ستبقى أختك وأنت كثير يرغب أن يزوجك، وعمك سيتجاوز هذه الأمور لكن يطلب منك ألّا تمر أمام منزله، وأن تحذف رقم سارة، فهي الآن متزوجة.

يا صعوبة الأحداث على طلال وتلك القطيعة التي دعمها والده والحياد وعدم التعليق من والدته.

بعد أقل من أسبوع، كان فهد وزياد قد حددا موعد الزواج بعد شهر، تم قبول الموعد والاتفاق.

كما تم ترشيح طلال لدورة مدتها عام في مدينة لوس أنجلس.

تقبلت عائشة سفر طلال، ووالده ما زال متضايقًا من موقفه مع سارة، ولكن كان الاتصال من أصلح الأمور.

تحدث سعد مع طلال بأنه أصبح دكتورًا ويأمل منه أن يستفيد من الموقف الذي مر به.

طلب طلال من والده بعد تقبيل جبينه أن يؤخر الاحتفال بعد عودته لأنه لا يملك الوقت الكافي، وتفهم والده ذلك الأمر.

في المقابل هناك في القصر الكبير سارة على اتصال مع ريم، والحديث عن الزواج والترتيبات، استفز ريم برود سارة، التي كانت تتحدث لها وهي ترسم.

وسألتها منشغلة بماذا؟

- قالت سارة: أرسم الآن.

- ردت ريم: هو طلب من دكتورة في الكلية؟

- قالت سارة: لا، لكن أحب الرسم، وهو آخر ما تبقى في داخلي وأخشى أن أخسره كذلك.

- ردت ريم: ما هذا البرود أتحدث معك عن زواجك وبالك مشغول بالرسم، لماذا لا تستوعبين؟

- قالت سارة: أنا أحب طلال، وسيبقى في داخلي، وكل فرحة من بعده تأدية واجب ومع الوقت نتعايش.

- ردت ريم: أنتِ بالنسبة له صديقة الطفولة والماضي انتهى.

- قالت سارة: إلّا الحب الصادق لا يموت، ولكن أتفهم حديثك وأعدك أن أسعى لتكوين أسرة، فلا تقلقي وغدًا أحتاج إليك للذهاب إلى السوق.

- ردت ريم: هذا الخبر الجيد وأنا في انتظارك...

مضت الأيام وسارة تستعد لزواجها وطلال لسفره...

من حظ طلال أنه سافر قبل زواج حبيبته بثلاثة أيام، انتظر سعد اتصال أخيه خالد لدعوته لزواج ابنته، ولكنه لم يتصل...

ففقد الأمل عند الغروب، وسأل عائشة: هل أذهب؟

طلبت منه ألّا يحرج نفسه وعدم اتصال أخيه خالد يوجب له العذر.

وبالفعل قرر سعد عدم الذهاب.

عند التاسعة مساء، كانت الساعة تشير إلى الثانية ظهرًا

عند طلال في لوس أنجلس.

هذا موعد زواج ابنة عمه، وهو في عمله يجاهد شعوره.

عند الحادية عشرة كان زياد في طريقه إلى زوجته سارة

تلك الجميلة المبتسمة والتي بداخلها حزن كبير.

كانت ليلة حالِكة في وطن العاشقين.

لكنه النصيب!

يحكم عليك يا طلال أن تكون عن حبيبتك غريب.

في المقابل كانت الأيام جميلة لزياد، وكثرة الهدايا ضيّق زوايا الغرفة، كانت سارة خجولة جدًا من زياد.

وبعد يومين من الزواج جاء موعد السفر لشهر العسل.

الفصل السابع

تقرر موعد السفر بعد عشرين يومًا، ولم تتجاوز رحلتهما بعض دول أوروبا، خبرة زياد جيدة، لذلك لم يكن بحاجة إلى مرشد سياحي.

وصلا إلى المطار، وبعد الانتهاء من إجراءات السفر، وقف زياد ينتظر قهوتهما، بينما جلست سارة على كراسي الانتظار تتأمل وجوه العابرين.

تلفتت في أرجاء المطار، تتساءل عن أي البوابات كان يجلس طلال، وكيف أحواله في الغربة، خصوصًا أنه يسافر لأول مرة، وكان حزنه ظاهرًا مع حقائبه.

أثناء انشغالها بخيالها، حضر زياد ومعه القهوة، فأخذتها وشكرته، وجلس بقربها، طلب منها أن تترك الخجل ويخططا للاستمتاع برحلتهما، فكانت أول محطاتهما في سويسرا، وتحديدًا في بحيرة لوسيرن، الواقعة في وسط سويسرا وتعد من أجمل بحيرات أوروبا.

بعد أيام، زارا بحيرة جنيف، الواقعة بين سويسرا وفرنسا، واصل زياد الحديث عن رحلاته ومغامراته، وكانت سارة تنصت جيدًا وتشاركه الحديث، قائلة: أنا أحب الطبيعة، والتأمل مميز لموهبة الرسم.

لحظات بعد ذلك، انطلق النداء الأول للرحلة المتجهة إلى زيورخ، صعدا الطائرة، وكان زياد سعيدًا جدًا، بينما ربطت سارة حزام الأمان. مدة الرحلة ست ساعات، زياد المعتاد على السفر ما إن تقلع الطائرة يغمض عينه مستسلمًا للنوم، وهكذا كانت طقوسه في أغلب رحلاته، بينما كانت سارة تقرأ رواية رمزية عن الرحلة الداخلية للبحث عن الذات.

عند الساعة ٩:٣٥ صباحًا، كانت الطائرة على وشك الإقلاع مع الخطوط السعودية، الملتزمة دائمًا بمواعيدها المحددة، وكان الوصول مقررًا عند ١٤:٤٥.

نظرًا لاختلاف الأجواء، كان زياد وسارة على علم بذلك، وأعلن قائد الطائرة الاستعداد للهبوط، أغلقت سارة هاتفها وبخجل

لمست يد زياد، تحاول أن توقظه من نومه، والمضيفة تراقب النوافذ والكراسي وأحزمة الأمان.

أمّا زياد النائم فما زالت نافذته مغلقة وكرسيه على وضعه الممدد دون تعديل ولا حزام أمان يتحزم به، فتوقفت المضيفة عندهما مبتسمةً وطلبت منه تعديل الوضع، فأجابها برأسه: حسنًا، وغادرت. شعرت سارة بالحرج وهمست لزياد: استيقظ!، فقال بصوت مرتفع: سمعتك، شعرت سارة بالحرج فتركته على حاله.

مر المضيف ونادى مرتين، واضطر للمس كتف زياد، فعدل الكرسي بسرعة، وقال: سمعتك.

- المضيف: لا تبقِ النافذة مغلقة من فضلك.

فتحها زياد سريعًا، التفت إليه المضيف مبتسمًا وقال: لك شكرًا. خجلت سارة وسألته: يا زياد، لماذا تعاملت هكذا؟ فأجاب: هذا طبعي إذا كنت نائمًا.

هبطت الطائرة أخيرًا، وأعلن كابتن الطائرة:

الحمد لله على سلامة الوصول، وأهلاً بكم في مطار زيورخ. درجة الحرارة حاليًا ٢٠°مئوية.

استعد زياد للنزول ومعه سارة بعد أن وضعت هاتفها في حقيبتها، وكانت الأجواء جميلة نوعًا ما، ولأن المسافة ليست بعيدة وصلا إلى فندق شفايزرهوف زيورخ، وسارة عادة تحب التأمل فلفت انتباهها المحافظة على المباني التاريخية في المدينة القديمة.

كانت الساعة ٣:٣٠ م في زيورخ وهذا موعد الراحة لسارة وزياد، بينما كانت الساعة في لوس أنجلس تقريبًا ٦:٣٠ص موعد استيقاظ طلال واستعداده لعمله، الأجواء نوعًا ما حارة، واعتاد تكون بداية الصباح في رسالة صوتية من هاتفه لوالدته، التي لا تشعر أن يومها بدأ إلا بعد هذه الرسالة، لتبادله الترحيب والدعوات وهما يتبادلان الابتسامة لحظة الاستماع إلى بعضيهما.

ثم يخرج إلى مركز الصحة العالمية في جامعة كاليفورنيا.

كان قليل الخروج رغم أنه وجد ترحيبًا من بعض الزملاء، وهكذا كانت حياته، من الخامسة مساء ينشغل في دراسته، لم ينقطع عن صديقه فيصل، والسؤال عن بندر، رسائل محدودة من أماني تصله تباعًا، وكذلك من والدها مشاري، رغم انشغاله بالدراسة وبعد المسافات لم يكن خاليًا من المحبة وإنما يملأ داخله سارة.

الساعة ٦:٠٠ مساء وما زالت سارة مستيقظة، منعها من النوم عشقها للتأمل، سمعت صوت زياد يفتح باب الغرفة، وعلى كتفه منشفة، متجهًا إلى حمام السباحة، ويشير بيده إلى سارة، التي اعتادت على مزاجه السيئ بعد استيقاظه، وتخاف من صوته العالي.

وبعد أن تناول قهوته، وكانت الوجهة إلى بحيرة زيورخ، ثم حديقة الصينوزن، قضيا ساعتين في البحرية، ثم كان وصولها إلى الحديقة موافقًا لحظة إغلاقها ممّا جعل زياد ينفعل على السائق ويرفع صوته: لماذا لم تخبرني بالمواعيد؟

أرادت سارة رفع يدها لتلمس كتف زياد لتطلب منه الهدوء، إلا أنها أنزلتها سريعًا خشية انفعاله أكثر.

ثم طلب من السائق الذهاب إلى مطعم صالة التاج المتخصص في مأكولات سويسرية كلاسيكية، ولأن المسافة لا تتجاوز ٤ كيلومتر بينه حديقة الصينوزن كان الوصول سريعًا، وكانت سارة منزعجة من تصرفات وتعالي زياد.

أرهقت سعد الرتابة وبدأ يميل للسهر كثيرًا، بدأ يفكر في العمل ويبحث عمّا يشغل به وقته، فهو ما زال يشعر بقدرته على العطاء، وكان ضمن الخيارات رجل الأعمال مشاري، فقرر بعد تفكير الذهاب إليه وعرض خبرته.

ثم قرر الذهاب بعد الساعة ٩:٠٠ صباحًا، وفي تلك الأثناء كانت عائشة تبتسم وهي تحادث صديقتها نورة، وكان التفكير في لقاء قريب.

كانت الأمور هادئة في منزل سعد، وكذلك هناك في فيلا خالد الذي شعر بالاشتياق لسارة، وكان يجلس مسترخيًا على الكرسي

المتحرك وصوت نافورة الماء يدفع للاسترخاء، أخذ يفكر أيضًا في طفولته وقسوة والده وعدم اعترافه في قدراته، ودلاله لسعد وأنه المميز ومن ينجز ويراعي، ثم انزعج وضرب في الكرسي وقال: ماضٍ بايخ.

أمسك هاتفه وكان يطلع على رسالة من ابنته سارة التي أجابت عن سؤاله لمَ لا تصور؟ وتعذرت أنها نسيت هاتفها في الفندق، وكتب لها: لابد أن تحرصي فهاتفك ضروري معك.

أمّا أشواق فكانت نائمة، لأنها متعبة من التسوق مع أختها نوف القادمة من المدينة المنورة والتي قضت برفقتها وقتًا ممتعًا.

نوف أخصائية أمراض القلب والشرايين، وهي محبة لعائشة زوجة سعد، لذا حرصت على زيارتها، رغم احترامها تلك القطيعة، فقررت زيارتها في الصباح وقد رتبت الموعد مع عائشة التي أسعدها تواصل نوف معها.

هدأت مدينة الرياض الساحرة وحان موعد نوم أغلب أهلها، ما زال سعد محافظًا على صلاة الفجر، وما زالت عائشة على

عادتها تجهز له الفطور ثم تأخذ غفوة بسيطة لا تتجاوز الساعة، لتعود بعدها إلى ترتيب المنزل وما يحتاج إليه.

موعد خروج سعد إلى شركة مدير الأعمال مشاري، يتوافق مع وصول الحنونة والطيبة نوف إلى عائشة، كان العناق حارًا، فالمحبّة بينهما كبيرة، اعتادت نوف أن تقبل جبين عائشة لأنها تقدرها كثيرًا، كما حملت إليها الهدايا والعجوة، وهو أشهر أنواع التمر في المدينة المنوّرة.

قالت عائشة: يا سلام الخير لا يأتي إلّا بالخير.

انتبهت نوف إلى عائشة ولاحظتها تفصل بين كلماتها، فسألتها إن كانت مجهدة أو تعاني من مشكلة صحيّة.

أجابتها عائشة: لا تقلقي ضيقة في داخلي بعد فراق طلال، وتعالي الآن إلى الداخل، وما إن دخلت فتحت التكييف، وقالت: نسيته فأنا أشعر أحيانًا بالبرد، وهي تضع يدها على خد نوف لا تقولي بخلًا.

ضحكت نوف وتوقعت من أجل ابنها ولكن لاحظتها تتعب من الحديث فطلبت منها ألّا ترهق نفسها.

وقبل نهوض عائشة وقفت نوف وقالت: أساعدك؟

أشارت لها: لا لا لا أنتِ ضيفتي.

فقالت: أها... إذن لا تحبينني

أجابتها عائشة: بما إن قياس المحبة أنكِ تساعدينني، إذن أمامي إلى المطبخ. وهي تدفعها وتضحك نوف.

ثم أكملتا الحديث في المطبخ وسألتها عن خالد وسعد وقالت: الوضع غير جيد، خالد لا يزور أخاه، سعد حاول مرتين.

سألتها: وأختي أشواق ماذا عنها؟ وهي تتأملها.

أنزلت عائشة ما بيدها من إناء، وقالت: القطيعة طالت حتى أشواق لا تسأل، لكن لا تنزعجي الخطأ أيضًا مني فأنا لا أبادر.

قالت نوف: الحق لك فأنتِ بمنزلة الأخت الكبيرة، وكان يجمعكما منزل واحد.

قالت عائشة: يوه... لا تعكري سعادتي بك وأخبريني كيف زوجك وابنك الصغير وعملك؟

وهما في الطريق إلى الصالة كان الحديث يطول، قالت نوف:

هل تحبينني يا عيوش؟

قالت: من طفولتك وأنا أحبك كثيرًا

قالت: أريدك أن تخرجي معي فالرياض مبهرة كثيرًا.

قالت عائشة: لكن سعد يعود باكرًا ولا بد أن يكون الغداء جاهزًا.

قالت: اتصلي والقرار بيده.

أمسكت هاتفها واتصلت على سعد لحظة وقوفه عند شركة مشاري.

• سعد: أهلًا عائشة ما بك؟

• عائشة: وهي تناظر نوف وتقول عندي نوف وأصرت أن أخرج معها.

• سعد: هي ضيفتنا وكيف يكون هذا الأمر؟

وكانت نوف تؤشر: لا لا لا.

• عائشة: أفهم ذلك لكنها أصرت.

• سعد: استمتعي ولا تقلقي فأنا ربما أتأخر.

انبهر سعد من فخامة شركة مشاري، وأول من صادف رؤيته حارس الأمن ليسأله: ماذا ما تريد؟

أخبره: أريد مشاري.

هز رأسه الموظف: مشاري؟! هكذا؟! وتهكم عليه: يبدو كان معك البارحة في نزهة.

ثم نادى عليه بصوت عالٍ: هل تعرف من يكون مشاري؟

رد عليه سعد: من الأدب يا بني أن تتلطف وتحترم الأكبر منك.

أجابه الموظف بعد أن أدار له ظهر الكرسي: اذهب لن تدخل، وأقسم بذلك.

سكت سعد وتلتفت ثم تراجع قليلًا، فكانت لحظة وصول عماد زميل طلال الذي كان يمشي ويقرأ في هاتفه.

ناداه: يا علي أو عماد؟!

سمعه وقال: تقصدني؟ قال: نعم.

ذهب إليه ومدّ يده سعد وصافحه وهو مبتسم

وقال: أنا أبو طلال زميلكم.

وقال عماد: طلال سعد؟ وحصل موقف مضحك بعدما قال سعد: أنا سعد وعانقه.

ردّ عليه عماد: أيوه يعني مثلا أخ طلال الصغير.

وتعالت أصوات الضحك فخجل موظف الأمن وتقدم ليعتذر،

فقال سعد حتى لا يحرجه: عندما كنت في عمرك كنت عنيدًا، ولكن لن تتغلب عليّ، والآن ممكن أن ندخل؟

أفسح المجال ودخلا للشركة، أخذ عماد يسأله عن طلال ويخبره أنه تواصل معه قبل سفره ويسأله عن أموره وأحواله.

وخلال الحديث أشار عماد هنا مكتب المدير مشاري ولكن لا تنسى أن تطلب من السكرتير أذن الدخول. هزّ رأسه سعد: نعم نعم.

ابتسم بعد طرق الباب وطلب الأذن في الدخول إلى مكتب الأستاذ مشاري فقال السكرتير: من نقول له؟ قال: سعد.

وعندما ذهب إلى مكتب المدير مشاري تبعه سعد،

فالتفت إليه وقال: اجلس هنا ربما يكون مشغولًا، رفع يده يمنعه من متابعة السير.

اعتذر سعد وجلس في الكرسي المقابل لباب المدير، كان مشاري مشغولًا في مكالمة وكاد أن يغلق الباب إلّا أنه أشار إلى الموظف أن يدخل. وفعلا دخل وبقي واقفًا أمامه حتى أنهى المكالمة فذكر له اسم سعد الذي ينتظر الدخول إليه، ولم يعرفه مشاري وقال: سعد؟!

هل هو موظف عندنا؟

فقال السكرتير: لا ولكن يظهر أيضًا أنّه كبير في عمره.

أجابه: حسنًا ليدخل الآن.

خرج من المكتب، مد يده السكرتير تفضل هو في انتظارك.

وفعلًا استعد سعد بالدخول وهو مبتسم وحين لمحه مشاري تذكره ووقف سريعًا وقال: أهلًا بالعزيز أبي طلال كم أسعدني حضورك. خرج من مكتبه مشاري يسلّم عليه سلامًا يعبّر عن تقديره له واحترامه له، وجلس معه في الركن الأمامي.

اتصل على الموظف وقبل أن يطلبه سأله: أبا طلال ما قهوتك؟

فقال: لالا يكفي استقبالك وأقدر انشغالك موضوعي بسيط ولا أريد أن آخذ من وقتك كثيرًا.

أجابه مشاري: لا بد أن نطلب لك قهوة سوداء.

قال سعد: أريد شايًا فقط.

طلب القهوة والشاي وبدأ الحديث عن الأحوال وعن طلال وأخبره أنه مبتعث في الخارج. ابتسم مشاري وقال: ابنك مميز جدًا، والآن كيف أحوالك أنت؟

أجابه سعد: تقاعدت قبل أشهر وهذا سبب قدومي، فأنا أشعر بفراغ كبير، وما زلت قادرًا على العمل، وإن كان هناك مجال أريد العمل عندكم فأنا امتلك خبرة في الإدارة.

قال مشاري: من دواعي سروري، سأطلب من إدارة الموارد البشرية تقييم الاحتياج، اترك لنا رقمك وبنفسي سأتصل بك.

ابتسم سعد وقال: جزاك الله خيرًا. دخل موظف تقديم المشروبات وبهدوء أشار مشاري ضع الشاي هنا، كان الحديث ممتعًا لسعد امتد نصف ساعة، ثم استأذن بالخروج وسريعًا ما ركب مركبته القديمة وذهب إلى صديقه محمد لأنه اتفق معه على الغداء.

وفي تلك الأثناء كانت نوف تنتظر عائشة مع سائق أختها أشواق وخرجت إليها وحين ركبت طلبت نوف من السائق يتجه لواجهة روشن ذلك المكان الجميل والملهم في الرياض.

وكانت تتحدث نوف وهي ممسكة بيد عائشة، وعند وصولهما المكان تجولتا فيه، حتى اختارت نوف مطعمًا من هذه المطاعم الكثيرة المتنوعة في فخامتها وأناقتها، ورغم حرارة الجو في الخارج إلّا أنّ المطاعم والمقاهي لها أجواؤها الخاصة.

في تلك الأثناء كان بندر يعيش لحظاته الجميلة بعد أن باشر عمله في مستشفى حكومي بعد استيفاء الشهادات، اجتياز الاختبارات المهنية، والقدرة العملية على أداء المهام وكانت معه أماني، بينما زينب نجحت في تحديد مستشفى في مدينتها جدة، واستقرت هناك.

وبعدما أمضى ثلاثة أسابيع كان حريصًا في عمله، والذي كان في قسم قريب من قسم عمل أماني، والتي كانت تلمحه كثيرًا وتستغرب منه كيف لا يتلفت، وفي المقابل إن صادفها يسقط منه قلم ثم يحاول أخذه وعيناه تتأملها فتأشر له القلم هناك ثم تهز رأسها وتغادر.

كانت تعمل بجدٍ وتحاول أن تقدم المساعدات، وفي يوم واجهت مضايقة من شابين كان سؤالهما خارج العمل عن مدة عملها وأنها جميلة، ثمّ أمسك أحدهما يدها. فرفعت صوتها: لو سمحت!!!

كان بندر قريبًا استفزه الموقف ودون شعور وقف بين أماني والشاب وسأله: ماذا تريد؟؟؟ ألا تخجل؟؟؟

فدفعه الشاب قائلًا: ماذا تريد هل هي صديقتك؟

استغل بندر وجود الكاميرا فلم يمد يده، لكنه قال: هنا عمل ولو سمحت ابتعد.

فدفعه الشاب مرة أخرى، وكذلك صديق الشاب كان متهورًا فدفعه هو الآخر.

سقط بندر ثم وقف ودفع الشاب، حاول بعض الموجودين فك الاشتباك دون جدوى، كان خلف بندر الدرج المتحرك ومع التدافع سقط بندر وتلقفه من كان على السلم، فكان الضرر كبيرًا، وسرعان ما قبض أمن المستشفى على الشابين، وتم إسعاف بندر سريعًا، لحقته أماني.

أكثر من نصف ساعة وبندر في قسم الطوارئ، خرج الطبيب ودخلت أماني، وجدت جبيرة مؤقتة وبخجل قالت: أنا تسببت لك بذلك يا بندر وهي تمسك في كرسي مقابل بندر الذي ابتسم رغم تألمه، وقال: لا عليك أنا بخير.

والدها مشاري يتصل عليها، ردت سريعًا وقبل أن تتكلم ابتعدت قليلًا عن بندر قائلة: أهلًا بابا.

سألها: تأخرت؟! فذكرت له الموقف. وقال لها: لا تتحركي أنا قادم. عادت إلى بندر

تسأله عن مشكلات في الدورة الدموية أو الأعصاب، وأجابها أنه جيد والأمور بخير.

استأذنته للمغادرة وقبل أن تنصرف ناداها بسرعة: أماني!!!

توقفت وقالت: تفضل يا أخي بندر؟

قال: أخيك؟! لا شيء لا أريد شيئًا. فتحت الباب للمغادرة، فرفع صوته: أقول لكِ يا أماني.

توقفت باستغراب: نعم يا بندر!

قال: لا شيء! أو ما رأيك أذهب لأخذ لك قهوة؟

تكتّفتْ، ثمّ سألتْ بهدوءٍ: كيف يا بندر وأنت لا تمشي؟

هل تعاني في التركيز، أنادي لك الطبيب؟

قال: لا شكرًا.

خرجت وغضب بندر وضرب قدمه فصرخ من ألمه، عادت سريعًا أماني وسألته: ماذا حصل لك؟

أجابها: لا عليك واذهبي إلى منزلك أنا بخير. قالت: بالطبع سأذهب. فقاطعها: لا... أنا أحبذ بقاءك هنا.

استغربت من التناقض وقالت: يا بندر

أعتقد أنك تعاني من التعب، استرح لا تجلس، والدي قادم فأستأذنك أنا في الخارج.

فقال: اذهبي أما أنا فأستحق ما حصل لي؟

قالت: عفوًا وضح قصدك!!!

قال: لا شيء، وقتًا ممتعًا.

ردت: وقتًا ممتعًا أين هنا في المستشفى؟

هزت رأسها، وقالت: استرح وأنا انتظر أبي.

خرجت وهو أمسك هاتفه واتصل على والدته، يخبرها بحالته وأنه بخير، لكنه سيتأخر عن موعد عودته، فلا تقلق عليه.

كانت الساعة في زيورخ ١:٢٠ مساء

وكان موعد استيقاظ طلال، وقد سبقته سارة التي كانت تتحدث مع والدها خالد وأمها أشواق تخبرهما أنها بخير وبعد أربعة أيام الوجهة تكون لإيطاليا وتحديدًا ميلانو القريبة من حدود سويسرا.

اعتادت سارة على مزاج زياد حال استيقاظه من النوم، اضطرت إنهاء المكالمة مع والدتها ولم تسأل أو تكلم زياد، لأنه جلس على الكرسي الهزاز، وكانت منشفتُه على كتفه. كانت تطالع فيه.

أمسكَ الهاتفَ وطلبَ قهوةً، ثم سألها: أتريدين؟

فقالت: لا. ورفعت الكوبَ قائلةً: معي.

الوقت في لوس أنجلس ٤:٣٠ صباحًا وجد رسالة من زينب زميلته السابقة، تعتذر عن فارق التوقيت، وتسأل عن أحواله، وتذكر له عرضًا مميزًا بعد عودته في مستشفى خاص، لكنه معروف جدًا، ويقدّم رواتبَ عالية. وقد قبلت العرض، لكنها ستباشر العمل في مدينة جدة لكثرة فروعه هناك.

كان طلال يستمع وهو مبتسم، ثم شكرها على حرصها والفكرة مميزة جدًا، أمّا عن عودته فلن تكون قبل سبعة أشهر وهناك احتمالية التمديد، لكنه يشعر بملل كبير، وأثناء مكالمتها كاد أن يسقط سمعت زينب صوت الكرسي سقط وقالت: عسى أن تكون بخير ونادت طلال... طلال؟!

ردَّ: لا تقلقي فقط اصطدمت بالكرسي وسقطت

فقالت: الحمد لله. وسألها عن أجواء جدة

فقالت: تعتقد أن أنتقد أجواءها صح؟

ردَّ عليها: ممكن فالرطوبة صعبة.

قالت: لا فأنا أعشق جدة ويكفي أنها عروس البحر الأحمر، ولا نشتكي من الازدحام. وتذكر أيام الجامعة والمواقف.

فقال: اشتقت إلى الرياض وصدقيني لم تعد الدول الأخرى تبهرنا وما نجده في وطننا أكمل وأجمل.

ردت قائلة: تلك حقيقة.

ثم قاطعها: لا يعني ذلك جدة أجمل من الرياض.

قالت: اسمح لي العكس هو الصحيح، ولكن أعتقد أن الوقت متأخر عندك الآن، لذا أعتذر لك، كما أرجو أن تكون بخير. وتم انهاء المكالمة.

وفي تلك الأثناء وصلت نوف منزل أختها أشواق بعدما أوصلت عائشة إلى منزلها ونزلت سريعًا، ثم رن هاتفها، ابنها من المدينة المنورة كان يسألها عن عودتها. قالت: في الغد موعد رحلتي.

فقال: سمعت خالتي أشواق كانت تتصل على جدتي وسمعت جدتي تعاتبها لماذا لم تذهبي إلى عائشة مع نوف وطال النقاش.

ردت نوف: وماذا حصل؟

قال: يا أمي لهذا السبب اتصلت.

قالت نوف: ماذا حصل أسمعك ولن أخبر أحدًا.

قال: زوج خالتي أشواق تقول هو من منعها كما لأنه منزعج منكِ لإلحاحكِ وأنكِ خرجت مع السائق إلى عائشة.

شعرت بالخجل نوف ودخلت، وجدت أشواق تتابع فيلم ومعها كوب القهوة وأخذت جهاز التحكم لتخفض صوت التلفزيون وتنزل حقيبة يدها إلى الطاولة، لاحظت أشواق وكأن نوف منزعجة.

فقالت: ما بك يا نوف؟ وإن شاء الله أمورك بخير!

ابتسمت نوف ابتسامة صفراء وقالت: لا أبدًا فقط الجو حار.

فقالت أشواق: المركبة مكيفها ممتاز، فأرجو أن تقولي ماذا حصل

هل عائشة أمورها جيدة؟

قالت: أمورها بخير وهي ترسل لكِ السلام، لا تقلقي.

وكي تغير الحديث جلست نوف وقالت: أشغلتك عن الفيلم

ما اسمه؟ ولأن أشواق متابعة جيدة قالت: هذا فيلم مميز يتكلم عن الكبرياء، الحب، والنظرة الإنسانية الراقية، الفيلم مقتبس من رواية جين أوستن الكلاسيكية. لكن ما زلت في بدايته.

فقالت نوف: سأذهب إلى غرفتي وأعود إليك عند الخامسة.

وقالت أشواق: موعدنا في الحديقة فهي مكيفة والأجواء جيدة.

ردت نوف: إن شاء الله.

وفي تلك اللحظات كانت عودة سعد إلى منزله وقف أمام تلك الشجرة الكبيرة بقرب سيارة طلال ودائمًا ما يدعو: حفظك الله يا طلال.

ثم نزل إلى منزله، فوجد عائشة تتابع مسلسلًا خليجيًّا قديمًا، وأمامها قهوتها السعوديّة وصِنفان من التمر: الإخلاص وعَجوة المدينة، أنزل حذاءه عند عتبة الباب وسحب شماغه من على رأسه وقال: يوجد أحد؟!

قالت عائشة: لا، تفضل. دخل الصالة ورمى شماغه على الزاوية.

قالت عائشة: يدخل وقت المغرب ويا عائشة أين شماغي؟ لماذا لا تضعه مرتبًا؟

عاد أخذه ثم رماه للزاوية القريبة منها وقال: هنا أفضل حتى لا تبحثي. وهو يضحك ثم جلس وانتبه إلى عجوة المدينة، وقال من نوف صحيح؟

قالت: نعم ولم تقصر وقت خروجنا، ولم يطل الحديث حتى ذهب سعد إلى غرفته.

وعندما وصلت الساعة الخامسة مساء في الرياض كانت تشير إلى الثالثة مساء في سويسرا

كان زياد يستعد للخروج مع سارة وهذه المرة الذهاب إلى لوسيرن التي تبعد عن زيورخ حوالي ٥٠ كيلومترًا وهي مدينة شاعرية تقع على ضفاف بحيرة لوسيرن وهكذا كانت رحلات مرتبة ومميزة وما زال للسفر رحلات كثيرة والمدة كانت ٢٧ يومًا.

وفي تلك الأثناء كان وصول مشاري والد أماني إلى المستشفى واتجه سريعًا إلى الطوارئ فوجد أماني جالسة التي لم تنتبه لقدومه لأنها منشغلة في هاتفها.

اقترب منها وقال: حبيبتي أماني ما الذي حصل؟

وقفت وقالت: أهلًا بابا، مثل ما ذكرت لك.

ثم قال: وزميلك كيف أحواله؟ قالت: هناك في القسم A الثاني.

فقال: حسنًا لنذهب وقبل الدخول تنحنح مشاري والتفت إلى أماني ما اسمه؟ قالت: بندر.

فقال: دكتور بندر.

لم يرد بندر، ثم بهدوء دخل وجده نائمًا، رجع إلى أماني قائلًا: نائم. قالت: لا تقلق ارفع صوتك الآن كنت عنده.

اقترب منه وردد: ابني بندر يا بندر.

سحب كفوفه بندر على وجهه، وقال: ابتعد ماذا تريد تكسر يدي مثلاً!!!

رجع مشاري خطوة ثم قال: بسم الله عليك، تعوذ من الشيطان.

عاد إلى بندر تركيزه، بعدما شاهد أماني، وقال: عذرًا يا عمي. وحاول أن يقبل جبينه مشاري لكن بندر رفض وقبل يد مشاري، فمسح على راسه مشاري وشكره كثيرًا على موقفه.

فقال بندر: يا حبيبتي أقصد يا حبيبي يا عمي هذا واجب، وخفض صوته فأماني لها مكانة كبيرة واحترمها. وصحح له مشاري: هي أختك. همس في داخله بندر: لا والله.

وقال مشاري: يبدو أنك تحتاج إلى الراحة، وأشكرك مرة أخرى، وأماني أيضًا تشكرك وإن سمحت لي أقدم لك هدية بسيطة سأكون ممنونًا لك.

قال بندر: لا أبدًا لكن يا عمي أنا والدي اسمه سالم البدر

وأعتقد أنك تعرفه هو سبق أن تكلم عنك.

قال مشاري: صحيح أعرفه جيدًا ونعم الرجل.

ابتسم بندر وهو يحدق في أماني نعم نعرف بعض ويا رب يزود القرب يا عمي. قال مشاري: بحول الله وأتشرف.

- بندر: إذن أنت موافق؟
- مشاري: على ماذا؟
- بندر: القرب.

• مشاري: نتشرف بك لكن ماذا ببالك؟

• بندر: نتشرف في زيارتكم؟

• مشاري: بكل وقت أهلًا بكم ولا بد أن نقدم الواجب.

• أماني: شكرًا يا بندر ولم تقصر.

• بندر: شكرًا يا عمي أقصد أماني.

• مشاري: يا ولدي أنت متردد ماذا لديك يا بندر، وإن كنت محرجًا استأذنك يا بنتي بالخروج، وانتظاري في الخارج.

• أماني: تأمرني بابا.

• مشاري: تفضل وهو ممسك في كتف بندر ولا تنحرج ماذا ببالك؟

• بندر: يا عمي الحقيقة أنا خجول ولا أعرف كيف أعبر، وأتفهم أن الطلب مكانه غير مناسب ولكن أريد أماني زوجة لي على سنة الله ورسوله، ومد يده، لا تنتقدني أعرف الواجب أن نزوركم، لكني شعرت أن أماني قد فهمت اهتمامي خطأ، وما شاء الله تبارك الله على تربيتها، وأعتذر لك ولها لو كنت غير مناسبًا.

• مشاري: يا بني نحن لدينا عادات وتقاليد وقبل ذلك دين والزواج قسمة ونصيب، بلغ والدك وإن كانت أماني من نصيبك سيكتب الله عز وجل ذلك والمهم بلغ والدك سلامي، كما أنني فخور بمعرفتك واسمح لي أن انتظر معك وأماني تذهب مع السائق إلى المنزل.

• بندر: أبدًا والله أنا بخير وأنتظر أخي قادم في الطريق، شكرًا لكرمك وغدا نزوركم.

• مشاري: لاحظتك مستعجلًا أليس الأفضل تتحسن! وكتب الله لنا ولك الخير.

• بندر: إن شاء الله.

خرج مشاري ومد يده إلى حبيبته أماني وخرج من المستشفى، لم يفاتحها بالموضوع وبدأ في الحديث عن موضوع آخر.

وسألها: أما تعزميني على الغداء أم أنتِ معزومة؟

ابتسمت ثم قالت: اختر المطعم الذي تحبه. فقال: جميل جدًا.

ثم قالت: طبعًا على حسابك وضرب كفيه ببعضهما قائلًا: لا هذا ظلم لكن المدللة لها الحق في الاستثناء.

ولم يفاتحها في موضوع بندر قبل الحديث مع والدتها.

وعند الساعة ٦:٠٠ مساء خرج بندر مع أخيه إلى منزله.

أمّا أشواق ونوف ففي الحديقة معًا والحديث كان عن أماكن جميلة جديدة في الرياض من ضمنها بوليفارد رياض سيتي الذي يُعد أحد أبرز وأجمل الوجهات الترفيهية في المملكة العربية السعودية، ويُعدّ من أهم مناطق موسم الرياض.

فيه مزيج من الفخامة، والمطاعم العالمية، والمقاهي الراقية، والعروض الفنية، والمسارح، بالإضافة إلى النافورة الراقصة التي تُعدّ من أشهر معالمه.

وكما هو حال عائشة كانت مع صديقتها نورة بحكم قرب المنازل وبشكل يومي وكانت معجبة نورة في تمر العجوة وعائشة تقص لها أنه من نوف أخت أشواق وهي تذكرها بها زوجة خالد شقيق سعد التي كانت تسكن في الدور العلوي وكانت نورة تهز رأسها: نعم نعم تذكرتها وكيف أخبارهم؟

قالت عائشة: سبق وأن قلت لك ماذا حصل ولهذا السبب لا يوجد تواصل ولكن أحيانًا أشواق ترسل وتسأل وأنا ابادلها السؤال.

كانت عائشة حالتها تزداد سوءًا، حتى أخذت تتمهل في الحديث لصعوبة استكمال النطق عندها.

مع بداية الصباح عند طلال الساعة ٨:٣٠ ص وبداية الدوام، كان يستمتع لأنه بدأ التعرف على زملاء جدد ضمنهم فتاة اسمها خلود التي كانت تتنافس مع طلال في استعراض المعلومة وبدأت كأنها تستغرب وتعجب بشاب تميز في الهدوء والانضباط الأخلاقي رغم أنه يتمنى أن يمر الوقت سريعًا.

وفي تلك اللحظات كان زياد مع سارة في جولتهما وكان قد حرص كثيرًا أن يكونا قبل غروب الشمس في لوسيرن.

وفعلًا كانت هادئة وساحرة والمحببة لسارة لأنها تعشق التأمل، زياد طلب القهوة، وسارة تضع ساقًا على الأخرى يستند خدّها إلى كفّها، تستنشق بعمق، تبدو مرتاحةً ومستمتعة.

ثم قررا الذهاب إلى مطعم قريب وفخم وفاخر يقدم أكثر ما يقدمه اللحوم البحرية واللحوم الأخرى والمميزة.

كانت سارة ترفض أن تضيع وقتها في الأسواق لأنها تريد التركيز على الطبيعة، كما أنها أخبرت زياد بأن مدة ١٥ يومًا كافية للسفر. مع أن زياد كان شغوفًا في السفر وكان يحب التنقل أكثر لكن احترم رغبة سارة ولم يتبقَ إلا نصف المدة، لذا قرر في الغد الاتجاه إلى ميلانو وكان الخياران بين البر حوالي ٤ ساعات أو الطائرة مدتها ساعة، اختارت سارة البر حتى تستمتع أكثر في المشاهد وعند الصباح الباكر تقرر السفر والتركيز على (كاتدرائية ميلانو).

وحين وصلت الساعة العاشرة مساء خرج زياد وسارة من المطعم ولم يجد السائق، التفت يسارًا ويمينًا وهو يحدث نفسه أين ذهب هذا؟ وذهب إلى زاوية المطعم ولم يجده والأخرى ثم وجده جالسًا على الرصيف وكان السائق يتحدث العربية ثم رفع صوته أين هاتفك لماذا لا ترد؟

فتش في جيبه وقال: أعتذر نسيته في المركبة.

فأشار له: تعال. وكانت سارة تمشي وتنادي زياد... زياد أنا قادمة. أجابها زياد وهو منفعل: ما رأيك نجلس بجانبه بصوت عالٍ؟! تلعثمت ثم توقفت ودمعت عينها، حاولت مسحها سريعًا، ركب سريعًا وأكملت سارة تقدمها، ثم ركبت.

استقبل زياد اتصالًا من صديقه منصور ودار الحديث المرح بينهما، مما جعل غضب زياد يختفي، وتشعر سارة أنّ زياد سريع الانفعال دون قصد الإساءة منه.

كانت الساعة تشير إلى ١:٠٠ ظهرا في لوس أنجلس

وكان طلال يتناول وجبة الغداء وبجانبه خلود مع صديقتها ثم صارت لوحدها وأخذت كوب القهوة وذهبت إلى طلال واستأذنته بالجلوس، أشار إليها: تفضلي. وحاول الوقوف وقال: سأحضر لكِ وجبة فطلبت منه الجلوس وأشارت: قهوتي معي وأنا لا آكل في هذا الوقت ثم بدأ الحديث والتعرف أكثر

وأخبرته أنها تسكن في مدينة الشرقية وتحديدًا الدمام وسألته من أين أنت؟ أخبرها أنه من الرياض وقدومه للدراسة لأنه متفوق.

قالت: جميل الآن فهمت أنك متفوق والحقيقة أنا أدرس على حسابي الخاص.

كان الحديث يغلب عليه طابع الرسمية، سألته عن اهتماماته، عندما ذكر الأدب ابتسمت. قال لها: وأنتِ؟ قالت: أعشق الرسم. ضم كفوفه ثم قال: موهبة جميلة وأحبها، ابتسم وكأن سارة أمامه. خجلت من نظراته وقالت: حدثني عن أسرتك؟ ثم قال بعد أن فتح هاتفه: تلاحظينني أسمع بين المحاضرات وأبتسم؟

قالت: صحيح لاحظت ذلك هل هي زوجتك المرسلة؟

قال: لا لست متزوجًا إنها أمي عائشة ما زالت تعاملني كأنني طفل فأنا ابنها الوحيد، كان لي أخ وأخت توفيا وأنا صغير لقد تألمت كثيرًا، لذلك أنا حريص ألّا تشعر بالحنين والفقد.

تأثرت خلود ثم قالت: يا الله يا الله أحببت والدتك جدًا أرجوك انتبه إلى هاتفك دائمًا. فقال: أنا دائم الحرص، بداية اليوم أول رسالة لها ونهاية اليوم لا بد أن يكون معها.

طال الحديث أكثر من ساعتين ثم انتبه طلال للوقت وقال: أستاذة خلود تعتقدين كم الوقت؟ قالت: أي وقت؟ قال: أقصد الساعة الآن كم؟

ثم انتبهت وقالت: عجيب نتكلم منذ ساعتين وأنا نسيت نفسي.

قال: أنا أيضًا من مدة طويلة لم اتحدث هكذا.

وقالت: أنا أيضًا... وأنت يا طلال لطيف جدًا. أخرجت بطاقتها من حقيبتها أشارت: هذا رقمي في دولتنا الحبيبة السعودية، والواتس اب يعمل فيه، وإن أحببت أي خدمة، فلا تتردد.

شكرها ثم ذهبا إلى موعد آخر محاضرة وهما بالطريق ما زال الحديث مستمرًا وكأن ذلك اللقاء شرارة بداية إعجاب قادم مما سيغير شعور الغربة عند طلال.

جلست خلود جنب طلال، سأل الدكتور المحاضر سؤالًا مهمًا ويحتاج إلى إجابة دقيقة، فجاءت الإجابات متفاوتة، حتى همس طلال إلى خلود بالجواب، رفعت يدها وأجابت، صفق الدكتور وأشار لها جيد، وبصوت هادئ وابتسامة قال: حتى التنافس يهدأ.

قالت: هل الإجابة رشوة؟! أنا أعرف الإجابة لكنك سبقتني وهمستها في أذني.

استمرت المحاضرة حتى نهايتها فذهبت خلود إلى مكان إقامتها وكذلك طلال، وكل منهما يحمل في قلبه شعورًا جميلًا لهما.

الساعة ٢:٠٠ ص لاحظ سعد اضطراب عائشة فأستيقظ لأنها كانت تبحث عن بخاخ الأكسجين، وسألها سعد: عمّا تبحثين الآن؟ قالت: البخاخ وسقطت فنهض سريعًا وهو ينادي: عائشة يا عائشة. سقوطها سبب له الخوف والارتباك حملها إلى السرير وأحضر الماء، بدأ يرشه على وجهها، اتصل على زوج صديقتها نورة لكنه لا يرد، فانطلق سريعًا إلى بيتهم وأخذ يرن الجرس كثيرًا، أخيرًا فتح الباب واستغرب من ارتباك سعد سأله: خيرًا؟!

ذكر له إغماء عائشة، وسريعًا بدأ ينادي زوجته ويخبرها عن عائشة، عاد سعد إلى المنزل ودخل سريعًا محاولًا حمل عائشة إلا أنه تذكر السيارة مغلقة، فانطلق يفتح باب المركبة، ثم عاد ليحملها وهو يضعها كانت نورة قدمت، وهي تصرح: عائشة!!!

وركبت معهما، انطلق سعد سريعًا إلى الطوارئ ولأن المنزل نوعًا بعيد، وصل عند الساعة ٣:٢٠ صباحًا استقبلوا عائشة وأدخلوها إلى قسم الطوارئ.

الفصل الثامن

كانت حالة عائشة خطيرة جدًا. خضعت لمحاولات الإنعاش القلبي الرئوي، تلاها الصدمات الكهربائية لحظات مرت قبل أن يعلن الطبيب الخبر الذي جعل سعد يركع على ركبتيه ونورة تصرخ بحرقة، لقد ماتت عائشة!

كارثة كبيرة اضطرت نورة أن تتصل على زوجها إبراهيم

الذي لم يفهم منها من شدة بكائها. فقال: أعطيني سعد. مدت هاتفها إلى سعد، أخذه ورد: هلا

ثم قال إبراهيم خيرًا ما الذي حصل؟

قال: عائشة انتقلت إلى رحمة الله.

قال: إبراهيم إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أنا قادم إليكم.

جلس سعد وأخرج المسبحة، وضع عقاله على الكرسي جانبه، وهو مذهول وما زال صامتًا حتى جلس بقربه الدكتور وقال: هذا أمر الله وتلك سنة الله في الحياة.

وبعد التأكيد الطبي حالة الوفاة تم إصدار شهادة الوفاة لسيدة كانت حنونة وصبورة ومحبوبة ولأن الوفاة طبيعية كانت الإجراءات سريعة.

لكن سعد حرص على إبلاغ المستشفى رسميًا بأن الاستلام سيُؤجل، حضر إبراهيم وقبّل جبين سعد وقال: غفر الله لها والحمد لله على كل حال.

كانت الساعة السادسة صباحًا وتم إنهاء الإجراءات كافة، كان برفقة إبراهيم ابنه، فطلب منه أن يأخذ أمه نورة ويعودان إلى البيت، وهو سيقود مركبة سعد، سأله كم يكون التوقيت في الولايات المتحدة الأمريكية؟ قال إبراهيم: أعتقد ربما السابعة أو الثامنة مساء.

اتصل وكان طلال يكتب في اللاب توب، انتبه إلى هاتفه وردّ سريعًا، وكان معتادًا أن تراسله والدته قبل ساعة من هذا التوقيت، وأن يسابقها في رسالة صوتية.

• سعد: صباح الخير يا طلال.

• طلال: مساء الخير في توقيتنا يا الغالي وأهلًا بك.

• سعد بصوت حزين: كيف حالك يا طلال؟

• طلال: صوتك لا يعجبني هل أنت بخير؟ وأمي كيف حالها؟

• سعد: يجب أن تعود حالًا إلى الرياض والدتك تعبت قليلًا، أنا أنتظرك وإن احتجت أي مبلغ الآن يصلك لكن استعجل بارك الله بك.

• طلال: يا أبي ماذا حصل هل أمي بخير أريد أن أسمعها أعطني أمي.

• سعد: يا بني صل على محمد وابحث عن رحلة، أنا في انتظارك؟

بحث طلال سريعًا عن الرحلات المتجهة إلى الرياض، وجد

أقرب رحلة في ٢٣:٣٠ مساءً من لوس أنجلس تقريبًا، أكد الحجز ورتب أموره سريعًا، أرسل إلى خلود رسالة يخبرها بسفره المفاجئ وسببه، وسريعًا ما اتصلت به وكان الحديث سريعًا وهو يرتب أموره وقال: لا أعلم لكن يبدو الأمر غير جيد.

انطلق سريعًا إلى المطار، وشغله التفكير الطويل الذي زاد عليه بسبب طول مدة الرحلة التي تصل إلى ١٧ ساعة، وبسبب الإرهاق نام ساعات بسيطة وعندما وصلت الطائرة مطار الملك خالد في الرياض، استغرب الذي بجواره كثرة وقوفه ولأنه كبير قال وهو مبتسم: وصلنا وأرجو لك الخير. مسح رأسه طلال وقال: اللهم آمين...

نزل سريعًا متجهًا مركبات المطار، وصل منزل والده ودخل سريعًا وجد والده أخذه النوم وهو جالس وبصوت هادئ ناداه: أبي!!! استيقظ وقبل وقوفه قبّل كفوفه طلال وجبينه وجلس أمامه ما الذي حصل يا أبي؟

دمعت عين سعد وقال: تعال، ووضع رأس طلال على صدره وقال: يا بني يا حبيبي لا أحد مخلدًا في هذا الكون وأمك عائشة انتقلت إلى الرحيم.

رفع رأسه طلال: ماذا تقول؟ أين أمي؟ كنت تقول إنها متعبة قليلًا. ذهب سريعًا إلى غرفتها، لحقه سعد، وهو ينادي بصوت عالٍ يا أمي!!! فتح باب الغرفة، وأول ما لفت انتباهه صورتها معه، خرج سريعًا إلى المطبخ وهو ينادي: يا أمي.

يحاول سعد إمساك كتفه حتى سقط بقوة على ركبتيه وبدأ في بكاء هستيري مما أربك سعد، وقد سمع الصوت إبراهيم وذهب سريعًا إلى بيت سعد، وكان الباب غير مغلق، دخل سريعًا وجد سعد واقفًا خلف طلال وهو يبكي، تقدم نحو طلال وجثا على ركبتيه حتى صار أمامه، وكان سعد يبكي، عانقه وقال: يا بني هذا قدرها.

كان طلال في حالة غير جيدة، لم ينم ولم يأكل مما جعله يغمى عليه فزاد ارتباك سعد، أشار إليه إبراهيم: لا تقلق ساعدني نذهب به إلى غرفته، وفعلًا حملاه بهدوء إلى غرفته. قال إبراهيم: لا

داعي للذهاب إلى المستشفى، ابن أخي دكتور سأتصل به ولن يتأخر.

وفعلًا اتصل وطلب منه القدوم حالًا. أغلق الخط وقال يا سعد: شد حيلك خصوصًا أمام طلال.

أقل من ٢٠ دقيقة حضر الدكتور تركي ابن أخ إبراهيم واستقبله إبراهيم وهو في طريقه شرح له الموقف، صادف سعد فقال: أحسن الله عزاءكم. وذهب به إلى طلال وأول إجراء رفع اطرافه قليلًا وتحقق من التنفس والنبض وضغط الدم فورًا ثم طمّن والده، حالته جيدة لكنه مرهق ويحتاج إلى الراحة. قال إبراهيم: طمنك الله وماذا نفعل الآن؟

استعاد طلال وعيه، فقال الدكتور تركي: لا يحتاج إلى شيء، وبحول الله يتحسن، لكن السفر والخبر كانا السبب.

قال سعد: بارك الله بك، ولا نعطلك لم تقصر يا ولدي، وكان طلال يبكي، جلس جنبه سعد وقال: يا ولدي استهدي بالله، تلك سنة الله في الحياة ولا بد أن تعود عافيتك إليك، فحضورك مهم في العزاء، ففي الصباح الدفن.

وضع سعد حالة عبر الواتس اب يعلن فيها خبر الوفاة ويطلب الحضور للصلاة في المسجد، ثم العزاء في المنزل.

وكثيرون شاهدوا الحالة، كما حرص سعد أن يرسل إلى الأقارب من ضمنهم أخيه خالد، أمّا طلال فما زال يعيش صدمة قوية وانكسار كبير، دون أن يتكلم وما عاد سعد يسمع صوته، حتى اضطر أن يرسل إلى صديقه فيصل رسالة مختصرة:

(طلال موجود في الرياض وأمس انتقلت إلى رحمة الله والدته عائشة وأرجو حضورك إن استطعت)

وبينما سعد واقف عند طلال سمع صوت الباب ودخل أولاد عمومة سعد وثلاثة من أقاربهم ومعهم خال طلال الأكبر عبد الله الذي بدوره اتصل على باقي أخوته للحضور من جدة والجنوب نظرًا لأعمالهم.

امتلأت غرفة طلال جلس وما زل يجهش في البكاء وقد وصل كثير من أقارب سعد، وأحد كبار السن طلب من الجميع أن يجلسوا وأمر بعض الشباب أن يتكفلوا في عمل القهوة السعودية

بعد أن صلّى الجميع صلاة الفجر، وما إن وصل الوقت إلى الساعة ٩:٠٠ ص خرج سعد وطلال إلى مراسم الدفن ومعهم كثير من الأقارب

وقد علم خالد بالخبر ونقل الخبر إلى أشواق التي حزنت كثيرًا، وبدأت بالبكاء، شغلت ببكائها نوف فسألتها ماذا حصل وهل سارة بخير؟ قالت: بخير. وهي تمسح دموعها ورفعت رأسها إلى نوف وقالت: توفيت عائشة.

وضعت نوف يدها على فمها وقالت: لا لا لا.

قامت أشواق وعانقتها وبكت كثيرًا، لم تستطع أن تتوقف عن البكاء، ثم غادرت إلى غرفتها ولحقتها أشواق.

كان يومًا حزينًا، لحق خالد الصلاة وبعد صلاة الجنازة قام خالد وقبّل رأس أخيه ثم وقف طلال وسلم عليه وهو حزين للخبر ومن ثم اتجه الجميع إلى المقبرة، وما إن تم دفنها اتجه الجميع إلى بيت سعد، وخال طلال اهتم بالموضوع وتكفل بالقهوة، وأحد أقاربه أحضر الغداء وما زال طلال بين صمته والبكاء ولا يرد على ما يصله من اتصالات لأن هاتفه في غرفته.

حضرت أشواق ومعها نوف وحزنهما كبير جدًا، بدأت أشواق تتذكر اللقاءات وكذلك نوف تتذكر آخر لقاء كانت برفقة عائشة، والدموع هي التي تتحدث في العزاء.

وكان فيصل جالس بجوار طلال وكثيرًا ما يتكلم معه عن إرادة الله وأنه أمر مكتوب وأكثر من تحتاج إليه الآن أمه هو الصدقة والدعاء، أما طلال فكان لا يتكلم ولا يرد جوابًا.

مر اليوم حتى تقلص الحضور عند الساعة العاشرة مساء، وكان خالد أغلب وقته في منزل سعد رغم كثرة الاتصالات وكان كثيرا ما يخرج حتى استفز أحد كبار السن لأن خالد كان يضحك في مكالمة مع صديقه فهد، ثم رفع صوته كبير السن قائلًا: اقفل جهازك ولا تضحك ألا تستحي...

أحرج الموقف خالد، فخرج بهدوء ثم عاد واتجه إلى أخيه سعد وطلب منه أن يستقبل الغداء ويحدد الوقت تقديرًا للموقف ولكن سعد قال: سبقك جارنا إبراهيم، أشكرك يا أخي.

خرج خالد وانتهى هذا اليوم الحزين، بقي فيصل مع طلال لم يغادر، وعادة يذهب طلال إلى غرفته ويبكي كثيرًا وفي كل زوايا المنزل يتخيل أمه واهتمامها به وحرصها عليه، ويتذكر كثيرًا من المواقف التي لا تغيب ولا تموت في داخله.

عند الواحدة والنصف غادر فيصل وبقي خال طلال وأيضًا خالته مها التي تعد عائشة والدتها فقد كانت أصغر الأخوة وهي اليوم أم لطفلين، وكذلك الأخت الثانية لعائشة سحر كانت أصغر من عائشة بسنتين وكانت مع زوجها في المنطقة الشمالية وقليلًا ما تزور الرياض. الجميع يحاول ألّا يترك طلال وحيدًا، وكانت المحاولات مثمرة إذ بدأ يتوازن ويستوعب فقدها.

عرض خاله الذهاب بعد العزاء إلى مكة المكرمة، بل لا بد أن يذهب، وفعلًا هز رأسه طلال وقال: غفر الله لها، إن شاء الله نذهب إلى مكة.

عند الثالثة ذهب الجميع إلى النوم، وما زال طلال يعجز عن صد حزنه ولكن غلبه النوم من الرابعة حتى الثامنة ثم سمع خالته مها تطرق الباب: هيا يا طلال لا بد أن تفطر قبل حضور المعزين.

خرج وأخذ بعد إصرارها قطعتين من الفطائر، ثم ذهب إلى مجلس الرجال وبدأ الناس بالحضور.

اليوم طلال جيد رغم حزنه الذي أثر على طاقته، بدأ يشعر في الخمول والإرهاق، فالفقد جعل الحياة بائسة وغير مهمة لدرجة أنه لا يهتم في مظهره، لاحظ خاله عبد الله هذا الأمر تحدث إليه وهو ممسك بيده ويقول: المصيبة يا ولدي على الجميع فهي أختي وبحول الله أنها في جنة عرضها السماوات والأرض فالجميع يحب عائشة ودورك الآن أن تدعو وتتصدق، وفي الغد تذكرتك جاهزة إلى جدة ومعنا والدك سعد وكذلك أحببت أن أشيد بصديقك فيصل فهو لم يفارقك وعندما علم بسفرنا قرر أن يرافقنا.

قال طلال: فيصل أخي قبل أن يكون صديقي.

حضر خالد بعد صلاة العصر ومعه صديقه فهد وما إن سلم وقدم التعازي وقف طلال وتذكره أنه أبو زياد، بينما فهد لم يذكر الموقف ولم يعلق، ثم إن سعد يعرف فهد ويعرفه جيدًا فشكره

وسأله بعد أن قال: أخبار نسيبنا ابنك زيد؟ وصحح له فهد وقال: زياد. ثم هز رأسه: نعم نعم تذكرت...

قال فهد: بخير وهو مسافر مع زوجته سارة. ولأن طلال حزين لم يتأثر وكان فيصل يركز على تعابير طلال ولاحظ أنه لم يتغير واعتقد أنه لم يسمع.

وكان العزاء مستمرًا حتى انتهى اليوم الثالث، وبدأ طلال يستعيد اتزانه، وجد هاتفه قد نفد شحنه وضعه على الطاولة ووصله بالكهرباء ثم خرج إلى خالته ووالده، وكانت زوجة خاله عبد الله وسحر كذلك معهم في الصالة، ألقى السلام، ثم ذهب إلى والده وتحدثوا عن تحضيرات السفر إلى جدة، فالرحلة عند الثانية ظهرًا والخروج إلى المطار عند الحادية عشر صباحًا.

عاد طلال إلى غرفته ووجد كثيرًا من الرسائل ضمنها سبع رسائل من زميلته خلود وآخرها: أرجو أن تتحمل الازعاج وتطمئنني عن أخبارك. كتب إليها: السلام عليكم خلود أشكرك على حرصك ولكنني انشغلت كثيرًا، كتب الله أن أعود وأحضر عزاء والدتي عائشة قد توفيت... والحمد لله على كل حال.

كانت خلود تقرأ كتابًا ولمحت إضاءة هاتفها وقالت طلال أخيرًا ثم فتحت الرسالة، ولأنها تتذكر ملامحه في الجامعة وهو يبتسم في حديثه عن أمه، وكيف بين المحاضرات يحادثها لم تتمالك نفسها وأنزلت هاتفها وسقطت دمعتها.

كانت أمامها زميلتها هند وكانت مشغولة بهاتفها ولم تنتبه إلا بعد صوت بكاء خلود ثم قالت بعد أن اعتدلت في جلوسها وأنزلت هاتفها إلى الطاولة أمامها: يا ساتر!!!! ماذا حصل؟؟؟

قالت خلود: تتذكرين طلال من كان يستفزني في سرعة إجاباته؟ قالت هند: تذكرت وقد عبرتِ عن إعجابك به في آخر لقاء، ثم قالت: ماذا حدث؟

قالت خلود: سبب سفره وفاة والدته، هو ابنها الوحيد وهو متعلق بها كثيرًا.

قالت هند: يا الله... يا الله...

جلست جنب خلود وقالت: وما مصير استمراره معنا بعد سفره دون استئذان وهل تؤثر المخالفة على سجله كمبتعث؟

قالت خلود: لا أعلم لكن لديه ما يثبت، كتب الله له الخير.

وفي تلك الأثناء وبعد ساعتين كان موعد صلاة الفجر في الرياض وكانت نوف حزينة لوفاة عائشة ولأنها حريصة على نومها باكرًا، استيقظت قبل الفجر حرصت أن تدعو لعائشة، كانت تردد الدعاء:

(اللهم اغفر لها وارحمها وعافها واعف عنها، وأكرم نزلها، ووسع مدخلها واغسلها بالماء والثلج والبرد، ونقّها من الخطايا كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدنس)

ودموعها ترافق دعواتها، وكذلك أشواق كانت تدعو لها، وتقدم لها الصدقات، بينما خالد انشغل كثيرًا في مشروعه الجديد مع صديقه فهد الذي اعتمد عليه كثيرًا.

كان موعد انطلاق سعد ومن يرافقه إلى المطار هو موعد اتصال مشاري على هاتف سعد، الذي عرف بالخبر من بندر حين كان يطمئن على صحته وأخبره بما حصل لزميلهم طلال، وكان بندر كثيرًا ما يتواصل مع فيصل صديق طلال لأن هاتف طلال مغلق، ويتفهم حالته، فيحاول فيصل أن يرسم الابتسامة على وجه طلال

لأنه دائمًا إن تذكر مواقف بندر يضحك، ويهز رأسه طلال ويقول: مجنون بندر.

وفي نهاية اتصال مشاري قدم التعازي لسعد وقال: أعطني طلال. التفت سعد إلى الخلف ومدّ الهاتف لطلال فأخذه ورحب به مشاري وكذلك طلال الذي اعتذر عن تقصيره بسبب سفره.

وقال: أعلم ذلك وكتب الله لوالدتك الأجر، هي لم تخسر تركت شابًا صالحًا يدعو لها، ولها مني صدقة مستمرة وهذا حال الدنيا.

شكره طلال وقال: جزاك الله خيرًا ودائمًا أنت تحرص على الخير.

وبعد نهاية المكالمة أعاد طلال الهاتف إلى والده سعد.

خرجت أماني من غرفتها، وذهبت إلى والدها مشاري وكان يقول: غفر الله لها وأشهد بالله لها ابن صالح.

وهي تجلس أمامه وتأخذ مخدة بجانبها وتضمها، قالت: خيرًا يا بابا لمن تدعو؟

قال: زميلك طلال. اندهشت وقالت بصوت عالٍ: ماذا حصل بابا؟ انتبه لردة فعلها ابتسم وقال: يا عمري هو أمر الله قبل يومين توفيت والدته الله يرحمها.

ثم قالت أماني: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أذكره كان متعلقًا بها كثيرًا، وماذا حصل له؟

قال والده سعد متجهين إلى المطار في مدينة جدة، لأداء العمرة في مكة المكرمة، صوت طلال جيد رغم الحزن، أعانهم الله، والآن يا حبيبتي أنا خارج، وتركت لك موضوعًا مع والدتك بهدوء تناقشا به والقرار لك، أستودعك الله.

قالت: حفظك الله يا بابا. ما إن خرج ذهبت أماني إلى والدتها رهف وتوقفت عند باب غرفتها ثم أخذت نفسًا عميقًا وطرقت الباب بهدوء، سمعت والدتها تقول تفضل، فتحت الباب وكانت تكلم في هاتفها صديقتها وأشارت إلى أماني اجلسي وما إن جلست أنهت والدتها المكالمة ثم وضعت هاتفها بجانبها، مدت يدها إلى أماني وقالت: متى استيقظت؟

قالت أماني: قبل ساعة لأني سأخرج إلى العمل هذا المساء عند الساعة ٨:٠٠ مساء لكن والدي كان مستعجلًا وقال: ترك لي موضوعًا معك، خيرًا ما الموضوع ماما؟

قالت: أولًا تعالي في قربي ثم اقتربت أكثر أماني وضعت رأسها على صدر والدتها رهف، وقالت: أتذكرين طفولتك والقصص قبل النوم؟ ضحكت أماني: كنت أحب قصة سندريلا.

ثم قالت والدتها: وماذا بعد؟

قالت أماني: تذكرت ليلى والذئب والأميرة النائمة.

قالت: وغيرها كثير والآن أماني ابنتي كبرت وأصبحت دكتورة ومحبوبة وأنا فخورة بها والآن عروس.

قالت أماني: ماذا يعني هذا... الأمر طبيعي أن أكبر وأن أصبح دكتورة ثم عروس

قالت والدتها: صحيح... لكن يوجد شخص تقدم لخطبتك حقًا.

رفعت رأسها أماني ونظرت إلى وجه والدتها: من هو ماما؟

قالت والدتها: قبل يومين حضر شخص اسمه سالم ومعه زوجته بدرية كانت لطيفة جدًا، هما والدا زميلك بندر الذي تقدم لخطبتك. قالت أماني و: هي تضم كفيها يا ماما لا تعرفين بندر جيدًا؟

قاطعتها والدتها: هل أخلاقه غير جيدة؟

قالت أماني: هو محترم وخلوق لكن يا ماما مندفع ومستعجل ويحرجني كثيرًا، لا أدري هو اهتمام أو ماذا لا أفهم تصرفاته؟ ضحكت والدة أماني وذكرت موقفه مع والدها وهذا دليل أنه صاحب سريرة نقية وأكد لها صدقه.

قالت أماني: كيف وأنتِ لا تعرفينه؟

قالت والدتها: من حديث أمه كم كان يتكلم عنكِ كثيرًا في كل سنوات الدراسة، وكم هو معجب بكِ ويأمل الزواج منك، وبما أنه زميلك فأكيد تعرفين أخلاقه جيدًا.

قالت أماني: صحيح لكن لا أملك له أي شعور؟

ردت عليها والدتها بصوت هادئ: لستِ صغيرة وانظري لصديقاتك ولا بد أن تقرري وأجده زوجًا مناسبًا، لا ترددي فالرجل مناسب أن يكون زوجًا ووالده معروف وهو من عائلة جيدة.

سكتت أماني ثم قالت: يكون خيرًا... سأذهب الآن.

وقبل أن تقف قالت أمها: اليوم لا بد أن تردي الجواب وأنصحك بالموافقة لأني أعرف مصلحتك جيدًا.

الوقت قريب من الساعة ٤:٠٠ مساء في الرياض، ويوافق موعد استيقاظ زياد عند ٢:٠٠ مساء، اليوم كانت الخطة الانتقال إلى ميلانو والتي تبعد تقريبًا ٣ ساعات عن مقر الإقامة الأصلي زيورخ وكان الاتفاق أن تكون الرحلة بالقطار، وسارة ما زالت تعاني من مزاج زياد المتقلب وتخاف من انفعاله وكانت تتحدث معه بهدوء، إذ تعلمت أنه يحتاج ساعة بعد استيقاظه حتى يصلح مزاجه.

تجلس في الشرفة تتأمل المشاهد الرائعة ولساعتين كانت ترسم منظرًا أمامها، توقفت بعدما شعرت بصوت زياد قادم وابتسمت له

الذي لم يبادلها الابتسامة، اتصل طلب قهوة ولأن سارة تحمل كوبها معها طلب له فقط.

هي لا تتحدث معه، وهو يشاهد رسائل هاتفه وبيده كأس ماء يشرب ببطء وسرعان ما رد على والدته وأخبرها أنه جيد وسارة كذلك، ثم طلب من سارة أن تستعد للوجهة القادمة وهي الأخيرة لأنه شعر أن سارة تشعر في الملل.

كانت رحلة القطار ممتعة لأنه يمر من بحيرة لوغانو، ثم يعبر الحدود الإيطالية وصولًا إلى ميلانو. مضت الساعات الثلاثة، كان الوصول مساء فقررا الذهاب إلى مطعم ثم جولة سريعة لا تتجاوز ١٠:٠٠ مساء، وفي الغد كانت الخطة الذهاب إلى مسرح لا سكالا الذي يعد أشهر مسارح الأوبرا في العالم وجولة كذلك للتسوق في أقدم سوق فاخر اسمه غاليريا فيتوريو، وهكذا مضت الرحلة،

أمّا الختام فكان في بحيرة كومو شمال ميلانو وقد حرص خالد وبعد ما أكد على أشواق ألّا تضع حالة في هاتفها عن عزاء عائشة

وطلب أن تخبر أختها حتى لا تنزعج سارة، كان التصرف غير مرحب به عند أشواق لذلك اضطرت ألّا تتحدث مع سارة إنما تكتفي بالرسائل.

وفي تلك الأثناء كان طلال مرهقًا من أداء العمرة، وبعدما استحم غط في نوم عميق بينما والده سعد خرج إلى صلاة العشاء في الحرم برفقة خاله عبد الله وصديقه فيصل، وكان من مدة لم ينم طلال خمس ساعات متواصلة.

عاد سعد وخاله وفيصل إلى الفندق وكان فيصل يحمل وجبة العشاء ويساعده سعد بحمل بعض المشروبات الغازية والماء بينما خاله كان منشغلًا في مكالمة مع أحد الأصدقاء يقدم له التعازي، وكان صوت سعد عالٍ وهو يتحدث مع فيصل وقبل مروره من أحد الغرف فتح الباب شخص وأشار بيده لو سمحت ابنك في جانبك لا داعي لأن تصارخ في حديثك. هكذا ابتسم سعد ثم وضع يده على رأسه وقال: أعتذر وأكمل طريقه.

لاحظ فيصل أن عبد الله أخطأ في الغرفة ودخل التي قبلها فأسرع إليه، وللأسف دخل عبد الله، فالتفت فيصل خلفه وقال: يا عمي سعد صاحبنا دخل هنا.

أغلق عبد الله هاتفه، وهو يقول: صح النوم يا طلال.

وجد الغرفة مظلمة، فقال: غريب ما زال نائمًا وأشعل النور. ففزّ شابٌ من نومه واندهش من أنت؟ وأين أخي؟ قال عبد الله: أنت كيف دخلت هنا وأين طلال؟ الشاب توقع أن أخاه خرج ولم يغلق الباب، فقال: يا رجل أنت غلطان. وسمع عبد الله صوت سعد يناديه، فعاد ووجده واقفًا وقال: أنت غلطان.

فقال عبد الله: الغرف تتشابه وكان الشاب واقفًا أمام باب غرفته وأعتذر يا ولدي أزعجتك.

ضحك الشاب وقال: لا أبدًا، وتفضلوا بالدخول.

شكره سعد وعبد الله، وخرجا متجهين إلى جناحهم، وكان فيصل أول من دخل الجناح وضع العشاء في الصالة، فأخبر عبد الله سعد أن أخته مها تعتذر منه لقد عادت إلى شمال المملكة فلديها ابنة صغيرة تدرس.

قال سعد: أعانها الله وأرجو لها الصبر كانت متأثرة كثيرًا، ثم فتح الثلاجة في المطبخ وأخذ ماء وأعطى عبد الله وجلس يشرب وتوقف لأنه شاهد عبد الله يشرب واقفًا وقال: يا أخي اجلس واشرب...

قال عبد الله: المرة القادمة ابشر وأين فيصل وهل طلال استيقظ.

قال سعد: أعتقد ذهب إلى الصالة، أرجو أن يرتاح طلال في نومه. ردّ عليه عبد الله: لكنه أمضى وقتًا طويلًا دون أن يأكل ولابد أن اذهب إليه...

وقف سعد وقال: لو استيقظ لن يأكل ولكن ننتظر ساعتين وأنظر هنا الميكروويف يسخن الأكل.

الساعة ١٠:٠٠ مساء في مكة، وكانت الساعة ٨:٠٠ مساء في ميلانو، استمتعت سارة بالمشاهد، وكانت تضع صور الطبيعة حالة في الواتس اب، وأول من شاهد تلك الحالة سحر التي تغار كثيرًا من سارة وتنزعج من محبة طلال لها والتقطت صورة من الحالة حتى تثبت لطلال أنها غير مهتمة بوفاة والدته.

أرسلت الصورة لطلال وقالت: لا ترهق نفسك يا طلال فمستقبلك أهم، انظر إلى حالة سارة في الواتس اب مستمتعة مع زوجها.

وفي تلك الأثناء كانت أماني منشغلة في عملها وما إن وجدت فرصة اتصلت على زينب وأخبرتها وفاة والدة طلال.

فقالت زينب: قبل أسبوع كان في لوس أنجلس وكنت أتحدث معه عبر الواتس اب.

أماني: ما المناسبة؟

زينب استفزها السؤال وقالت: نعم!!! أكيد موضوع وأنتِ تعرفين أسلوبي مع الجميع.

أماني: لا عذرًا أنا لم أسمعك جيدًا، وشعرت بالخجل وفاتحتها في موضوع آخر، ثم انتهت المكالمة.

وبعثت أماني رسالة تعزية إلى زميلها طلال وأخبرته بحزنها ودعواتها.

وعند الساعة ١١:٢٠ مساءً، استيقظ طلال بعد نوم عميق جدًا، فتفاجأ بالوقت وكمية الرسائل، فلم يرد أو يقرأها. ولأنه حريص على الصلاة، ذهب ليتوضأ، وما إن انتهى من الصلاة خرج ثم وجد والده وخاله وصديقه في حديث توقف بعدما رحب خاله عبد الله وقال: يا أهلًا بالغالي تعال.

جلس طلال وقدم له فيصل القهوة السعودية أخذ الفنجان والتفت إلى والده سعد وسأله عن حالته بعد العمرة.

قال: الأمور جيدة واسأل خالك فأنا ما زالت شبابًا، أمّا خالك فكاد أن يقوم بكارثة. كان فيصل يشرب فنجان القهوة فضحك بصوتٍ عالٍ. قال خاله عبد الله: لو كنت في مكاني، لكانت الكارثة فأنا لطيف، ويكفي أن ابنك طلال أخذ من صفاتي، وكما نسمع عند حبايبنا من شعب سوريا الأصيل: ثلثا الولد لخاله.

ابتسم طلال وقال: الله لا يحرمني منك يا خالي. وحتى لا يحرجه فيصل قال: تعال يا طلال، يوجد عشاء إلا إذا كنت تفضل أن نخرج. قال طلال: لا الوقت متأخر.

قال فيصل: إذن استرح هنا وأنا سأسخن لك العشاء.

قال طلال: لا أساعدك وفعلًا تم تسخين العشاء وكان طلال يأكل ويتحدث مع فيصل واعتاد سعد أن ينام قبل الواحدة صباحًا، فموعد العودة إلى الرياض عند العاشرة صباحًا.

أكمل طلال السهر مع فيصل الذي شعر بالإرهاق فدخل غرفته مع طلال، والجميع نام، أخذ هاتفه طلال ليقرأ الرسائل وبدأ في الرد على أماني وشكرها، ثم زينب، والرسالة الأخيرة كأنها أكدت قطيعة العاشقين أنه أمر محتم ولكن سيبدأ من طلال الذي انزعج من تصرف سارة وقال في داخله على الأقل هي زوجة عمك وشاركت في تربيتك، أطال النظر في الصورة ثم أغلق هاتفه، وقال بصوت مسموع: يا حسافة!!!

كانت سارة تستعد للعودة إلى الرياض فالرحلة ستكون ٦:٥٠ صباحًا من ميلانو، وتصل ١:٢٠ ظهرًا بتوقيت الرياض.

سارة تحب الطبيعة كثيرًا، لذلك وثقت كثيرًا من الصور وهذا التوثيق تسبب في فهم طلال الخطأ، بعدما أشعرته خالته سحر بالخبر، كانت صور سارة تُظهِر سعادتها التي لم تكن تعلم شيئًا عن وفاة عائشة.

مرّت أيام الرحلة، وزياد على الوتيرة نفسها، حتى إنه صار يخرج إلى الشرفة ليبدأ يومه بقهوته، ويُشعِل سيجارته التي كانت رائحتها تُزعج سارة التي تخاف من ردة فعله وصوته إن انفعل.

كان آخر يوم بعد تقليص مدة السفر إلى ١٦ يوما

وقبل موعد الذهاب إلى مطار ميلانو مالبينسا كان زياد وسارة ينتظران السائق عند ٤:٠٠ صباحًا فالمسافة ليست بعيدة، كانت الممرات طويلة وأعجب سارة ذلك السقف المرتفع والإضاءة القوية، كانت تتأمل الواجهات الزجاجية والمعدنية التي تعطيه طابعًا عصريًا.

كانت مدة الرحلة ستة ساعات تقريبًا الوصول إلى مطار الملك خالد في الرياض سيكون ظهرًا، وما إن حلقت الطائرة غط في نوم عميق زياد، أما سارة فقضت وقت الرحلة وهي تقرأ رواية.

وحين أعلن الكابتن الاستعداد للهبوط أعادت سارة المقعد وفتحت النافذة وأغلقت الطاولة التي أمامها وبهدوء تحاول أن توقظ زياد وكانت توجه التعليمات المضيفة وتوقفت عند زياد ونادت في لطف وهي تبتسم لسارة وتتحدث إليها:

(Is he with you) هل هو معك. وأجابتها: (Yes) نعم.

انصرفت المضيفة، وكررت سارة عليه حتى سمعته يقول: خلاص... خلاص يا الله...

عدل جلسته وربط الحزام وما إن هبطت الطائرة أعلن الكابتن الوصول وما هي إلا دقائق حتى خرج زياد وسارة من المطار ثم وجدا السائق في انتظارهما وانطلقوا إلى فيلا فهد.

قال زياد وهو في الطريق: مهما أسافر فالشوق إلى الرياض كبير ولله الحمد على هذا التقدم والأمان.

ثم ردت سارة: نعيش في فضل كبير، أدام الله هذا الخير.

لم يكن بيت فهد بعيدًا عن المطار، وحين فتحت بوابة الفيلا وجد والده واقفًا ومدّ كفيه، كانت سارة تشعر بالخجل، عانق زياد والده وقبّل جبينه ثم عانق والدته وقبّل كفيها، ثم قبّلت جبينه سارة وكذلك جواهر أم زياد، ودخلت القصر ثم ذهبت سارة إلى جناحها الأنيق، كانت مرهقة فأرسلت رسالة إلى والدتها أشواق تخبرها بوصولها وأنها تنتظرهم في المساء ولم تنتظر طويلًا حتى أخذها النوم.

بقي زياد مع والدته جواهر ووالده فهد، أحيانًا يتحدث معهما وأحيانًا ينشغل في هاتفه مع صديقه، امتدّ الحديث لأكثر من ساعتين.

وفي تلك اللحظات كان وصول سعد وعبد الله وكانت المقاعد قريبة، لذلك عند الخروج لم يتأخر أحد، ثم اجتمعوا في جانب المطار، وقد طلب طلال سيارة أجرة وما إن وصلت ركب سعد في الأمام، وكان طلال وفيصل يضعان الحقائب في الخلف وما إن انتهوا ركب طلال في الوسط وفيصل عند الباب الأيمن وعبد الله في الجانب الأيسر، ودائمًا صوت سعد مرتفع، كان يحادث عبد

الله وقال: يا رجل أسمعك لماذا صوتك مرتفع؟ كان يحاول أن يجعل طلال يبتسم وهو ملتفت إليه ويهمس له والده سعد لا يوجد لديه حل وسط دائمًا صوته مرتفع

قال طلال: دائمًا واعتدنا على ذلك، وأمي عائشة رحمها الله كانت دائمًا تعاتبه، حفظه الله وحفظ صوته العالي.

كرر كلامه سعد وقال: عبد الله سمعتك ويبدو كل من في المطار سمع ما تتحدث به

لم يكترث سعد وقال: تعجز عن استفزازي. كان الحديث مستمر حتى وصلوا المنزل بعد ٤٥ دقيقة.

وما إن نزلوا التفت سعد إلى فيصل وقال: لا تذهب وكان طلال ينزل الحقائب ومعه فيصل الذي قال: يا عمي متفق مع طلال نذهب إلى مكان قريب ومن ثم إلى منزلي لأني مشغول وتعرف طبيعة عملي. قبّل جبين سعد وعبد الله اللذين قدما له الشكر على مواقفه النبيلة.

انطلق طلال وفيصل، ودخل المنزل عبد الله وسعد. أعطى طلال مفتاح المركبة فيصل، وقال: ليس لي مزاج أقود، أخذه فيصل، وما إن ركب طلال سيارته شاهد نظارة والدته عائشة الطبية القديمة، أخذها وقبّلها، ثم بكى وكان صوته يرتفع تدريجيًا مما جعل فيصل يحاول تهدئته قبل أن يحرك السيارة، وقال طلال وهو يبكي: تحرك لا يشعر والدي ويعود. وفعلًا تحرك فيصل وكان طلال ممسكًا في النظارة بيده ويده الثانية مستند إلى نافذة المركبة، ووضعها على خده وقال: يا شين الحياة من دونك يا روحي يا أمي.

حاول فيصل أن يكتم حزنه ولم يتحدث حتى لا يتأثر، ثم بدأ فيصل يذكر مواقفًا قديمة وهدأ السرعة حتى وصل المقهى وقال: سبحان الله هذا المكان من عبق الماضي. والتفت إلى طلال، ما رأيك نتوقف؟ وأشار طلال وقال بصوت هادئ: نعم توقف.

كان المقهى متواضعًا لكنه يحمل ذكرياتهما، اعتاد فيصل وطلال الجلوس في الزاوية وكان الحديث عن خطة طلال القادمة وكيف أنه قدم أوراقه واعتذر عن إكمال الابتعاث وينتظر تعيينه في

مستشفى حكومي، امتدّ اللقاء ساعة ونصف ثم ذهبا إلى منزل فيصل، وكان طلال يقود المركبة ثم عاد إلى منزله، وكان يشعر باللامبالاة، لا في صحته أو شغفه أو أفكاره في طموحاته.

الساعة السابعة مساء، كانت سارة تستعد لحضور أمها أشواق ووالدها خالد وقد اتصلت على صديقتها ريم، وما إن صارت الساعة الثامنة والنصف حتى وصل خالد وكان في استقباله زياد في الخارج وقبّل جبينه ورحب بعمته أشواق وطلب ألّا يغلق مركبته وأشار إلى السائق خذها وأوقفها هناك وكان يمشي بين أشواق وخالد ويتحدث عن الرحلة، سألته أشواق عن سارة وقال زياد: كنت عندها قبل دقائق وهي تستعد لقدومكما ومعها والدتي جواهر.

وكان فهد واقفًا عند باب المجلس الكبير، رحب بصديقه خالد وبعد السلام أشار بيده تفضل أهلًا وسهلًا. وكانت سارة تعانق والدتها أشواق لحظات مليئة بالشوق، ابتسمت جواهر وسلمت عليها ثم قالت تفضلي وكانت الطاولة مليئة بأصناف الحلا وجميع أنواع العصائر.

جلست أشواق ثم جلست جواهر وسارة وكان دخول ريم، سمعت صوتها سارة وقالت: يا الله ريم حبيبتي. وعانقتها وقالت أشواق: تعبنا من الوقوف. خجلت ريم وأكملت السلام على أشواق وجواهر ثم جلس الجميع وقدمت العاملة القهوة.

وفي تلك الأثناء كان خالد يتحدث مع فهد عن مشروعه الجديد وكان مستمعًا له بينما زياد كان منشغلًا في هاتفه.

وهناك كان سعد يتحدث مع عبد الله وكان طلال في غرفته، استأذنت سحر من زوجة عبد الله وذهبت إلى غرفة طلال، طرقت الباب، كان طلال جالسًا وقال: تفضل.

دخلت سحر وسألته عن أحواله، أجابها وهو يهز رأسه والله لست بخير وبكى، ثمّ قال: غير مستوعب حتى الآن أني فارقت الحبيبة أمي صوتها يا خالتي سحر أسمعه إلى الآن لا يغيب أبدًا.

ثم وقف ووضع يده على الدرج وقال وهو يفتح الدرج: كانت تتفقد ملابسي، حتى المكيف كانت تخفض درجات برودته لأنه تخاف عليّ من البرد، انظري الآن التكييف درجة حرارته ١٨

والملابس غير مرتبة، يا خالتي حتى أقلامي تجمعهم، كانت تقول كل يوم في سفري متى تعود؟؟؟ أنا عدت ولكن هي غير موجودة للأبد.

كانت سحر تبكي وتقول: تكفى يا طلال خلاص، هذا أمر الله.

جلس وقال: الحمد لله... والله يغفر لها.

مسح دموعه وقال: أعتذر... كيف أولادك؟

كانت تبكي سكتت ثم قالت: كلهم بخير، أنا موجودة هنا لأجلك، وخالتك وزوجة عبد الله واليوم أخبرني زوجي صدر قرار نقله إلى الرياض إذن سأكون دائمًا حولك، رغم أني أكبر منك بخمسة أعوام إلا أنك ستكون أصغر أطفالي في الاهتمام، وأمامهم أفخر بك، فأنت من نتباهى بسمعته والخير قادم وبعد فترة لا بد أن تتزوج، أنت الكثير يتمنى قربك.

قال صحيح وقد أنهكت فكري فيمن لا يستحق.

• سحر: تقصد سارة صحيح؟

• طلال: نعم وأستغرب من تصرفها وكأنها تأثرت من عمي خالد، ونسيت من تربيها وتخاف عليها والحقيقة الموقف غيّر نظرتي، ما عدتُ أحترمها أبدًا.

• سحر: هي لا تستحق احترامك... لا تهتم

يملأ قلب سحر الحقد على سارة لأنها كانت محبوبة عائشة في طفولتها، وكانت أفضل منها كما أن سحر لم تكمل دراستها.

كانت ردود طلال مختصرة، في حين سحر تكثر من لوم سارة.

الوقت في لوس أنجلس ١١ صباحًا وما زال طلال لا يغيب عن بال خلود استغلت وقت الراحة وبعد أن طلبت قهوة، أرسلت إلى طلال: أسعد الله أوقاتك، كيف صحتك أرجو لك الخير...

ومع خروج خالته سحر كان يقرأ رسالة خلود وفضل أن يتصل، ابتسمت للاتصال وقالت بلا شعور: يا أهلا بهذا الصوت... وقبل أن يجاوبها، قالت: أعتذر فأنت زميل وأقدّرك.

قال: أتفهم ذلك وأشكر اهتمامك... أنا بخير رغم الحزن كبير يا خلود والحمد لله.

قالت: لا نملك إلا الدعاء وجميعنا راحلون.

سألها عن أخبارها، قالت: تبقى ٣ أشهر وقد كّلمت والدتي عنك وهي دكتورة في جراحة الكبد والجهاز الصفراوي وزراعة الأعضاء، اسمها سوسن، هي تعرفك جيدًا ولك اسم مع المتفوقين ورغبت بأن يكون تعيينك عندهم وأنا أدعو لك بالتوفيق.

دار الحديث لأكثر من ٢٠ دقيقة حتى انتهت المكالمة.

كان الحديث ممتع بين سارة وريم لكنها انتبهت إلى جواهر وهي تحادث أشواق عن وفاة قريبتهم وكانت ناسية الاسم وارتبكت أشواق وهي تلتفت إلى سارة التي انتبهت، وانتظرت أمها تخبرهم بالاسم

وقالت لجواهر: صحيح توفت قبل أسبوع. وقالت جواهر: كانت أختك نوف متأثرة كثيرًا. فقالت سارة: من الذي توفى يا ماما؟

قالت أشواق وهي مترددة: الحقيقة لم نجد فرصة لنخبرك.

قامت سارة لتجلس جنب والدتها وقالت: من الذي توفى؟ قالت أشواق وقد مسكت كفيها: عمتك عائشة انتقلت إلى رحمة الله. سقطت دمعة سارة وقالت: يا ماما لماذا لم تخبروني، هي أمي أيضًا وارتمت بحضن أشواق وهي تبكي، الموقف جعل جواهر تصمت وريم تقترب من سارة وتمسح على ظهرها، التفت إلى ريم وقالت: لماذا لم تخبريني؟ قالت أشواق: هي لا تعلم.

عانقت ريم وصوت بكائها ارتفع، حتى جعل الخادمة تقف خائفة، والأخرى تحاول أن تعطيها كأس ماء.

اضطرت أشواق أن ترسل إلى خالد وتخبره بما حصل وتطلب منه أن يخبر زياد عن سارة وأنها ستذهب معهم لترتاح قليلًا، وكان خالد اعتاد ألّا يتأخر والتفت إلى زياد وأخبره وتفهم زياد الموقف وأن هذا القرار السليم، غادر خالد ومعه سارة وأشواق.

في الفجر موعد سفر عبد الله خال طلال، ولأن صالح زوج سحر له مكانة كبيرة عند سعد وقد علم في قرار انتقاله إلى الرياض، اتفق معه أن يسكن في شقة خالد القديمة مقابل أجار بسيط.

الفصل التاسع

بـدأت أمـاني تفكـر وهـي في غرفتهـا جالسـة أمـام مرآتهـا وتتأمـل ملامحهـا وتفكـر في حـديث أمهـا رهـف وأنهـا كـبرت وصـديقاته جميعهن قد تزوجن وبداخلها تقول لـو كـان طـلال مهتمًا لجاءت منه المبادرة ولكان سأل عني، إذ كان ردّه على رسالة التعزية جملة قصيرة ولم يسأل عن أخباري.

وبدأت تعود في ذاكرتها إلى مواقف بندر وردّات فعله، هزّت رأسها ثـم ضـحكت مـن آخـر موقـف لحظـة أن جعلهـا تنفعـل في جملتـه: (أرجو لك وقتًا ممتعًا). وكأن فكرتهـا تغيّـرت وبـدأت تـتفهم حـبّ بندر لهـا، ولأن عملهـا سيكون في الصـباح البـاكر، أطفـأت الأنـوار ونامت.

ما زالت سارة تبكي في غرفتها، وكانت أشواق تـتردد إليهـا وتركتهـا تعـبر لأنهـا تعلـم جيـدًا أنهـا تحـب عائشـة كثيـرًا، كانـت مـترددة في الاتصال بعمها، ومنحرجة منه ومن طلال، ولأن السـاعة قريبـة مـن الواحـدة صـباحًا لـم ترسـل، وبـدأت تبحـث عـن اسـم طـلال واستغربت لا توجد صورة عرض لا تظهر الحالة السابقة التي من كتاباته عنه أمه (لأنَّ عائشةَ في الحياة فأنا أعيشُ الأمل)

اعتقدت أنه ألغى كل ظهوره إكرامًا لوفاة والدته.

الرسائل في هاتفها كثيرة ومن ضمنها زميلاتها في الكلية، فهي ما زالت تنتظر التعيين، في مدرسة تربية فنية أو فنون بصرية.

كانت سحر ذكية فقد خصصت سارة في حالة الواتس اب، وحجبت متابعة الجميع، وبدأت تضع لها دردشة مع طلال عن مواساته في وفاة أمه وتكتب له لا أحد يستحق تضحياتك، وكان ردّه: صحيح لا أحد يستحق.

عادت سارة إلى اسم طلال ولم تجد له ظهورًا أو حالة وفهمت أنها حالة حظر لرقمها وتفهمت أنه منزعج، فخرجت إلى حديقة المنزل وأثناء مرورها وجدت هاتف والدتها أشواق فسجلت رقم طلال ووجدت الحالة وقد غيرها لدعوات المغفرة، وضعت هاتفها وجلست تتأمل السماء وتحجب الرؤية الواضحة دموعها، ثم عادت إلى غرفتها سريعًا وأخرجت أدوات الرسم وقررت ترسم حزنها ودموعها على هيئة خيبة كبيرة.

هذا اليوم في لوس أنجلس هو آخر يوم في دراسة خلود التي تفتقد إلى والدها منذ طفولتها، لذا كانت والدتها سوسن توفر لها كل ما تحتاج إليه، وهي الآن تشتاق لأخيها صقر وأمها سوسن في مدينة الدمام.

كانت سوسن تتردد كثيرًا في مستشفيات حكومية لأهمية تخصصها حسب جدول منظم ومحدد، ولأن خلود لا تبالي كان مستواها الدراسي منخفض نوعًا ما تكره الروتين والنظام، عكس أخيها صقر المنظم جدًا.

حجزت رحلتها على الخطوط القطرية ١٩ ساعة، توقف واحد في الدوحة، لمدة ساعتين.

في الصباح كانت الدكتورة سوسن في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث، فهي بارعة وقدوة للكثير من أصحاب الطموح في التخصص، وشخصيتها عملية، تمتاز في دقة مواعيدها.

على عكس بندر وفوضويته، بندر الذي يربك والدته بدرية في اللحاق به في المنزل وهو يحاول أن يخلص ١٠ أمور في نفس اللحظة

يتناول الفطور ويتذكر أين قلمه وفي المجلس ترك شماغه ويجب أن يأخذ أوراقه، اعتادت بدرية أن ترفع يدها وترفع صوتها: يا بندر أكمل فطورك.

أنا والعاملة نجمع كل ما تريده ويقول: لا يا أمي أين بر الوالدين ويمشي وبيده الفطائر ويترك العصير فوق طاولة التلفاز، يدخل غرفته ويجد أمه مع القلم والعاملة بيدها الأوراق ثم يجلس ويسأل يا أمي أين العصير؟ يقف مرة أخرى ويقول تذكرت على طاولة التلفاز. يذهب يأخذه... وهكذا يبدأ بندر يومه، اعتادت عليه أمه ولا يعلق سالم.

وما إن يخرج تقف خلفه وتدعو له: الله يحفظك من اندفاعك وعجلتك. ثم تذهب إلى غرفتها.

كان طلال ينتظر التعيين وأحزنه فقدانه بعض الامتيازات، قرر أن يتواصل مع مستشفى كبير أهلي ويعرض شهادته ويتوظف لأنه لا يعلم متى تعيينه، ولأنَّ التطور كبير، والمملكة العربية السعودية أصبحت رائدةً في التواصل الرقمي والتقنية، فقد أنهى طلال المطلوب خلال دقائق وهو الآن في انتظار الرد.

ولأن بندر مندفع قد تقرر تم الحاقه في دورة برامج تطوير مهارات التواصل والإدارة، وما إن وصل عمله وجد الإيميل وانزعج نوعًا ما، لكنه مضطر للحضور وكان زميله يضحك وهو يقرأ، التفت إليه بندر: وبصوت عالٍ لماذا تضحك؟

قال: أنت بشهادة الجميع روحك جميلة لكنك مندفع وعملك يحتاج هدوء والدورات لن تنقطع ما دمت لا تطور وتغيّر سلوكك.

أخذت أماني قرراها واقتنعت بقبول زواجها من بندر، لكن تنزعج من اندفاعه وبدأت تتأكد من صدق مشاعره.

وخلال فترة بسيطة استطاعت أماني أن تحقق سمعة جيدة وخصوصًا عند النساء من تتجاوز أعمارهن الستين عامًا لأنها مشرفة على مراجعاتهن وتتعاون بشكل كبير وأصبحت بعفوية النساء الكبار تتحدثن إلى موظفات الاستقبال أريد الدكتورة أماني من تستقبل حالتي، وكانت سعيدة أماني بهذا الإطراء.

بينما بندر إن تحدث معه المريض عن حالته كان يعدل الكرسي ويقوم يبحث عن هاتفه ويجلس، كثير من المراجعين يتجاوزون هذه الفوضى لأنه مريح ونصائحه لطيفة لكن كان يحتاج لثقافة التعامل أكثر والهدوء.

اقترب الوقت من الساعة الثالثة مساء وكانت الدكتورة سوسن ما زالت تنهك نفسها في البحث وتحقق ما تتطلع له من انتشار وسمعة لها وزنها وقيمتها التي تواكب ما تتطلع من تطوّر المملكة العربية السعودية في الطب لأنه أصبح اليوم مثالًا بارزًا على

التحوّل النوعي السريع والمدروس. وعادة ما تتأخر في الخروج من عملها وتنهي أكثر من المطلوب وتحاول أن تنقل خبرتها، وكانت تنزعج من ابنتها خلود لأنها تحاول أن تطورها.

خلود التي كانت تنتظر في مطار لوس أنجلس الدولي، الساعة كانت الخامسة صباحًا ورحلتها عند السادسة والنصف، كانت سعيدة رغم طول الرحلة، واصلت السهر في هذه الليلة، حتى تتغلب على الممل والرحلة الطويلة بالنوم لذا حرصت على القهوة حتى تقاوم النعاس.

وهناك في منزل سعد كانت سحر مع طلال في أحاديث واضطرب لارتداء حجابها بعدما سمعت صوت سعد الذي طلب من طلال أن يذهب بخالته سحر للشقة في الدور العلوي حتى تراها، والتفت إلى سحر وقال: يبدو أن صالح الآن وصل إلى الرياض.

قالت: يا طلال لا تنسى أن تحجز العشاء وأن تتصل على صديقك وجارنا وليته يصطحب زوجته نورة.

خرج سعد وكان ممسكًا شماغه وعاد إلى مجلسه ولأنه يحب أن يحضر قهوته السعودية، قال: انتظركما لنشرب القهوة معًا، وأين أولادك يا سحر؟

قالت: يلعبون في الغرفة. فقال: حفظهم الله.

صعد الدرج طلال وسحر حتى وصلا الدور العلوي، قالت سحر: تصدق يا طلال كان عمك خالد متغطرس في العزاء.

لم ينتظر طويلًا وردّ عليها لا أعترف به عمًّا، وإن صادفته لن أبادله السلام هذا رجل مريض ومتعالٍ.

قالت سحر: حتى زوجته أشواق وسارة لم تُبادرا بتقديم التعازي، وخشيت أن يسأل والده. وقالت: وحدها أشواق حضرت، وبرفقتها أختها نوف، وبكامل الزينة.

ما إن فتح طلال الباب حتى شاهد المطبخ والمجلس، تذكر اللعب والظرف صد وجهه وخرج قائلًا: متى ما انتهيت اغلقي الباب.

استغربت سحر وقالت: لا يا طلال لا تتركني فأنا أخاف وحدي.

قال: سأنتظرك. وبدأت تتجول وتتحدث هنا مكان الجلوس وهنا غرفة الأولاد أوهناك... ثم قالت: لا الغرفة هذي أكبر، دقائق ثم خرجا، أغلق طلال الباب وقدم المفتاح لسحر فأخذته، نزل سريعًا وغسل يديه ثم ذهب إلى والده وكان سعد يعشق القهوة، رحب بطلال وقال: تعال يا ولدي. وقبل أن يقدم له الفنجان، قال طلال: لا يا أبي...أخذ الفنجان وخدم نفسه وبدأ يشرب القهوة وتحدث سعد عن وظيفة طلال وقال: أنتظر، أمس قدمت الطلب على وظيفة في مستشفى خاص وأنتظر التعيين.

قال سعد: كتب الله لك الأصلح والأنفع يا ولدي. وأثناء الحديث سمع صوت الباب وصوت صالح، وقف سعد ورحب بصوت عالٍ: يا أهلًا بالغالي وهو يمشي ليستقبله، ابتسم صالح وتقدم إليه وقبّل جبينه، ثم قدم له التعازي، وقال: يا أبا طلال هذا أمر الله.

ردّ عليه سعد: ونعم بالله. ثم صافح طلال وتبادلا التحية والسلام، قال سعد: تفضل أهلًا وسهلًا... ومبارك قرار النقل.

كان صالح قريبًا من طول طلال، لكنه يعاني من السمنة المفرطة ولأن سعد يحب صالح التفت إليه وهو يمشي وقال: أشعر كأنك نحفت يا صالح!

ضحك صالح والتفت خلفه إلى طلال وقال: والدك تهكمه لا ينتهي وأصرّ أن أسكن في البيت كيف أواجه هذا التنمر؟

وقبل الجلوس قال سعد: من معزتك والله اتجرأ. قال صالح: أفهم ذلك ثم قدم له طلال التمر والقهوة، وطال الحديث حتى أذان المغرب، قام صالح يتوضأ ثم خرج مع سعد إلى المسجد،

واعتذر فيصل عن الحضور لانشغاله وحضر فقط إبراهيم وابنه ناصر واعتذرت زوجته نورة لأنها تتضايق لفقد جارتها وصديقتها عائشة.

وحين انتهى الجميع من العشاء، خرج صالح مع زوجته سحر وأبنائه سعود ومها، ودخل سعد غرفته، بينما طلال استلقى في مجلس والده وكان يتأمل السقف، ما زال حزينًا ومهملًا أناقته، ولم يكتب من فترة طويلة، بقي في المجلس حتى الساعة الثانية

صباحًا عاد صالح وكان طلال في غرفته والبيت سكونه مؤشر على نوم الجميع.

كان نوم خلود متقطعًا في الطائرة حتى هبطت الطائرة في مطار الملك فهد الدولي ورغم الرطوبة المرتفعة نوعًا ما، كانت خلود سعيدة وقبل النزول اتصلت على السائق وفعلًا كان ينتظرها وسألته: هل ماما عادت من الرياض؟ أخبرها: ستعود اليوم عند الساعة ٤ مساء.

رغم مساحته الكبيرة، يتميّز المطار بانسيابية الحركة وقلة الازدحام، استلمت خلود حقائبها، وخرجت كانت تتصل على السائق وتلتفت وتنظر إلى المكان وتخبره عن موقعها.

توقف عندها السائق، ورحب بها، ركبت في الخلف، وحين انتهى من وضع الحقائب في المركبة انطلق إلى منزلها الواقع في حي ضاحية الملك فهد رحمه الله القريب من المطار، لم تتجاوز المسافة ٢٠ دقيقة حتى وصلت خلود المنزل، كان في انتظارها أخوها صقر وحين سمع صوت السيارة، وقف عند باب المنزل،

نزلت وهي تبتسم له ولأنه أكبر منها وهو بحبها كثيرًا قبّلت جبينه وعانقها مرحبًا بها وقال: تفضلي.

سألته عن زوجته وطفلته الصغيرة نجود، قال: الجميع بخير. كان يمشي بجانبها ويخبرها عن والدتهم سوسن تعود عند الرابعة. قالت: سألت السائق وأخبرني.

قال: إن كنتِ جائعة أطلب لك عشاء؟

قالت: لا أريد النوم يا أخي. وهو يفتح لها باب غرفتها، قال: تفضلي والتكييف حسب توصيات أمنا من قبل ساعة يعمل والغرفة تشجعك للنوم، أحلامك سعيدة.

ذهب إلى شقته التي كانت بجانب غرف نوم والدته وأخته خلود.

وصل الوقت إلى الساعة السابعة، ما زال طلال نائمًا، ولم يغلق هاتفه تحسبًا لأي اتصال أو رسالة من إدارة المستشفى الأهلي، إذ أنه شعر بالملل ولا يريد أن ينتظر طويلًا، خصوصًا أن العقد ممتاز في المستشفى الأهلي المعروف في إدارته الجيدة، وما لديه من تفوق في البنية الطبية والسمعة الموثوق، ما شجع طلال بعد

حديث زميلته، وفعلًا بينما طلال يحتضن وسادته وهاتفه وسط السرير كان يره بصوت عالٍ عند الساعة ٨:٣٥ صباحًا، وبدأ طلال يتحسس بيده مكان هاتفه وردّ سريعًا:

• طلال: أهلًا.

• الموظفة: الدكتور طلال سعد

• طلال: صحيح من أنتِ؟

• الموظفة: معك الموظفة في مستشفى الرحاب من قسم إدارة الموارد البشرية لك طلب وتمت الموافقة عليه.

• طلال مبتسمًا: ما الإجراءات؟

• الموظفة: لك خياران إما اليوم عند الواحدة ظهرًا أو في الغد الساعة التاسعة صباحًا.

شكرها طلال وأنهى المكالمة.

نهض سريعًا وحين انتهى من الاستحمام خرج من غرفته وكان الصوت عاليًا في الخارج وصادف خالته سحر وهي تعاتب ابنها

سعود لأنه كثير العبث، ولأن طلال يحبه انتهز الفرصة سعود وذهب إلى طلال، فمسح على رأسه وقال: هذا خليفة ابن خالته في فضول الطفولة كلما صادفته ذكرني بتصرفاتي. وهو يضمه تابع قوله: لا تقيديه وأي ضرر ضرب على صدره قائلًا طلال يتكفل به. يملأ قلب سعود حب ابن خالته طلال، فقال: كفو...

ضحك طلال وقال بعدما جلس وأخذه بجانبه: زمان لم ابتسم إلا اليوم وصلتني الموافقة على طلب العمل ومشاكسة سعود.

قالت سحر: مبارك لك العمل يا طلال لكن ما هي إلا أيام وأجدك تلاحق سعود لأنه لا يتوب عن الفوضى ثم ذهبت تحضر الفطور لطلال ثم قال: قبل أن تذهبي...

التفتت سحر وقالت: ماذا تريد؟

قال: نحتاج في المنزل إلى خادمة، هل تعرفين مكاتب استقدام جيدة؟

قالت: سحر الحقيقة لا أعرف لكن سأبحث لك.

قال طلال: وأنا سأبحث وسألها عن أبيه وزوجها صالح.

قالت: في المجلس ولكن لا تذهب سأحضر لك وجبة الفطور.

قال: حسنًا...

وبدأ في حديثه مع سعود، لم تتأخر سحر، التي أشرت إلى سعود بعينيها ابتعد! انتبه طلال وقال: لا... وأعطاه قطعة من الخبز وكانت نظرات سعود باتجاه والدته وقال: لا أريد...

أصر عليه وقالت شارك ابن خالتك وذهبت إلى غرفتها وبدأ طلال في شرب الشاي وإكمال الفطور.

وفي تلك اللحظات كانت سارة جالسة مع والدتها، بنفس هادئة مطمئنة، سألتها عن زياد، وعن حياتهما معًا، بدأت سارة تشتكي لها من انفعال زياد. تقول لها والدتها: أشواق لكنه صاحب قلب كبير. قالت سارة: صحيح لكنه سريع الانفعال جدًا، ضمّت أشواق بكفيها وجه سارة، وقالت: مع الوقت تتعودين ويكون هذا الأمر غير مهم، فالعلاقة تحتاج تعوّد وانسجام وإن شاء الله بعد مدة بسيطة تفهمين حديثي وأيضًا بعد الأطفال الحياة تكون أجمل لكِ ولنا...

قالت سارة: إن شاء الله... كيف أحوال خالتي نوف ولماذا لم تجلس أكثر؟

قالت أشواق: أولادها وعملها تطلب سرعة عودتها، لكن قريبًا ستعود، لقد تأثرت كثيرًا من وفاة عائشة...

تنهدت سارة وقالت: رحمها الله، ونظرت إلى أمها ثم قالت: وكيف عمي سعد وطلال؟

قالت أشواق بعد أن وقفت: طبيعي التأثر ولكن سعد مؤمن وأعتقد أن طلال تعب في أيام العزاء الأولى، لكن صحته جيدة.

قالت سارة: عند العصر سأذهب إلى عمي وأرجو أن يوافق والدي ونذهب إليه جميعًا؟

قبل خروجها قالت أشواق: تكلمي معه ربما يوافق أن يذهب معك. أمسكت هاتفها سارة واتصلت على والدها خالد، كان في مكتبه وواقف أمامه موظف ينتظره يوقع معاملات عاجلة، ردّ على الاتصال ورحب بها

• خالد: هلا حبيبتي...

• سارة: أهلًا بابا، كيف حالك؟

• خالد: ما دمتِ بخير أنا سعيد، أنهى توقيع المعاملات وخرج الموظف فقال: تتدللي؟

• سارة: لعمي حق أن أعزيه وأرجو أن تذهب معي فأنا محرجة كيف أبرر له عدم معرفتي بالخبر.

• خالد: حسنًا لكن بعد صلاة المغرب.

• سارة: ممتاز، أنتظرك والآن لا أعطلك وأستودعك الله.

ولقرب صلاة الظهر كان موعد استراحة الغذاء، وكان بندر قد التحق في الدورة وهي في نفس المستشفى ومواعيدها ٣ ساعات مع العودة إلى عمله، وجاءت فرصته بعدما صادف أماني لوحدها، تجرأ وقدم لها تحية بهدوء: مرحبًا أماني.

أجابته: أهلًا وسهلًا. مع ابتسامة لطيفة، ابتسم ثم قال: هل ممكن أن أجلس؟

• أماني: تفضل.

أمّا بندر ما إن جلس عدل الكرسي ثلاث مرات!

• أماني: هل توجد مشكلة في الكرسي؟

• بندر: لا والله المشكلة عند بندر.

• أماني ضحكت وضمت كفيها وقالت: سلامات.

• بندر: الله يسلمك... لا أعرف كيف أعبر! وأنا يا أماني أقدرك، سنوات وأنا أتعثر، وأنت لا تفهميني، أعتقد وصلك خبر الخطبة وأرجو أن توافقي.

• أماني: الحقيقة كنت لا أفهمك وأعتذر منك إن أخطأت.

• بندر: يأشر بيديه لا لا لا الخطأ مني.

• أماني: تبتسم أشكرك على لطفك.

• بندر: ابتسامتك تجعلني أقول موافقة؟

• أماني: نحن في مكان عمل والرد يصلك من والدي، والآن اسمح لي فزميلتي قادمة.

• بندر: أسعدني تفهمك وكتب الله لنا الخير.

• أماني: يا رب... حفظك الله.

بندر نهض سريعًا فسقطت نظارة أماني وانكسرت، فقال: يا ساتر!!! واعتذر وشعر بالإحراج كثيرًا.

• أماني: لا عليك هي بالأساس قديمة وليتك لا تستعجل، الأمر بسيط.

غادرها وهي بدأت تستوعب أنه مناسب ليكون زوجها ومع الوقت يتطور ويكون متزنًا في استعجاله.

وكان طلال قد أنهى موعد المقابلة، والدوام بداية الأسبوع، تمّ توقيع العقد والاتفاق على الشروط، وقد أسعده المكان والنظام الجيد.

عاد سريعًا إلى منزله حتى يوافق موعد الغداء مع والده سعد وزوج خالته صالح.

وأيضًا كانت اللحظات جميلة بين الدكتورة سوسن وخلود التي سعدت بعودة والدتها، ولأن سوسن حازمة كانت تسألها عن الدراسة وماذا تعلمت؟ كانت تجاوبها، وقالت: هناك زميل أذهلنا بذكائه واجتهاده وهو أيضًا سعودي.

قاطعتها سوسن: لم اسألك عن أحد، سؤالي واضح ماذا تعلمت؟ اعتذرت خلود وبدأت تذكر لها الفوائد وتطور المهارات، وكان أمام سوسن قهوتها وقالت بعد أول رشفة: جميل وتقولين هناك شاب متفوق تحدثي الآن عنه.

ابتسمت خلود: نعم صحيح، هو تخرج دكتور ولديه معلومات كثيرة وأعتقد أنه من عائلة بسيطة، كان منظمًا، لقد استفدنا منه لأنه يشرح لنا ويساعدنا في فهم ما يصعب علينا، كان قليل الكلام ولكن...

قالت سوسن: ماذا حصل؟ وأكملت قهوتها

قالت خلود: انتقلت إلى رحمة الله والدته، كان يحبها كثيرًا وبين المحاضرات يرسل لها، سبق وأن تحدث عنها كثيرًا، لقد تأثرت

كثيرًا فهو ابنها الوحيد وتحبه كثيرًا، أعتقد أنه في مدينة الرياض ولا أعلم ماذا حصل له.

قالت سوسن: هذا حال الدنيا... غفر الله لها وبحول الله مرحلة يتجاوزها، والآن أخبريني هل تقبلين عرض مقدم لكِ من مستشفى في الرياض؟ مستشفى جيد وأهلي، اسمه الرحاب، فأنا لا أوافق على وقت فراغ طويل.

قالت خلود: أنتِ تعرفين مصلحتي جيدًا وأعتقد مع الوثيقة الجديدة ستساعدني في أن أكون اخصائي أول.

قالت سوسن: كم تمنيت أن تتفوقي أكثر! ولكن إن شاء الله تبدعين في عملك وتخدمين وطنك العظيم.

والآن سأرفع لكِ الطلب وأعتقد الرد سيصل هاتفك، أخبريني عنه وانتبهي إلى هاتفك.

- خلود: إن شاء الله يا ماما.
- سوسن: سأذهب إلى مكتبي ونلتقي لاحقًا.
- خلود: حفظك الله.

كان طلال يجلس مع والده سعد وزوج خالته صالح والحديث عن موقف حدث لصالح في عمله وكان طلال منشغلًا في هاتفه، ثم رن هاتف صالح فوقف سريعًا وأعاد فنجان القهوة إلى الصينية المخصصة لفناجين القهوة السعودية، رفع رأسه سعد وبيده فنجان القهوة وأشار بيده إلى صالح خيرًا ماذا حصل؟

قال الأمور: جيدة فقط الأثاث وصل. وخرج لاستقبالهم واستأذن طلال والده للذهاب إلى صديقه فيصل.

ولقرب وقت المغرب كانت سارة تنتظر والدها خالد حتى تخرج إلى منزل عمها سعد وعند الساعة السادسة والنصف عاد والدها وخرجت معه.

أنهى صالح ترتيب الأثاث، وكانت سحر في شقّتها مع ابنيها سعود ومها.

واعتاد سعد أن يعود ليجهز القهوة السعودية مرة أخرى وأثناء حديثه مع صالح رن هاتفه، كان الاتصال من عماد رحب به، ورحب به سعد وقال من أنت؟

• عماد: كيف حالك يا عم سعد، أنا عماد أعمل في شركة مشاري وزميل طلال.

• سعد: أهلًا وسهلًا عماد، أسعدني اتصالك، كيف أحوالك؟ وكان سعد بيده المسبحة.

• عماد: لله الحمد... كيف طلال؟ قبل يومين تواصلت معه، أرجو أنه بخير.

• سعد: أموره جيدة، أشكرك، وآمل زيارتك في أقرب فرصة لك.

• عماد: ربنا يكرمك... وقريبًا تكون زميلنا فاليوم صدر قرار تعيينك مشرف موظفين.

• سعد: صحيح... صحيح تذكرت... أشكرك ومتى أباشر؟

• عماد: لو حابب من بكرة، دوامك من الساعة الثامنة صباحًا حتى الثالثة مساء والجمعة لك إجازة

• سعد: اليوم الخميس وبحول الله الأحد أباشر العمل.

• عماد: إن شاء الله بلغ سلامي لطلال... أستودعك الله.

قال طلال: عسى خيرًا يا والدي. قال: لله الحمد خير... أنت وأنا نبدأ الأحد مع وظائفنا.

كان صالح يستمع فقال: مبارك فالعمل جيد لك يا سعد.

قال سعد: العمل لا يلغي المعارك بيننا.

وقف صالح وقال: تعجز عن استفزازي والآن استأذنكم سأصعد بيتي الجديد.

خرج صالح وكان يلتفت إلى سيارة من نوع (رينج روفر) كانت واقفة أمام الباب ثم أكمل طريقه.

طرق الباب ولأنه مفتوح دخل خالد وخلفه سارة وكانت تتذكر طفولتها وقبل أن يكمل التفت إلى سارة وقال لماذا لا تتحركين؟

قالت: اتفضل وكان سعد مازال يشرب القهوة وطلال جالس أمامه، وكان الباب مقابل سعد وانتبه طلال لحظة أن قال سعد: خالد...

ابتسم خالد وقال: السلام عليكم.

رفع نظره طلال رأى سارة واقفة خلف أبيها ثم وقف سعد ووقف طلال واستفز طلال وقوف عمه خالد.

وقال: لماذا لا تدخل أو تحب أخاك الكبير يسرع إليك ويقبّل يدك ويد ابنتك سارة؟

التفت خالد وقبل أن يتكلم سعد مد يده خالد وقال: غير مهم يا أخي، تقدم خالد وقبّل جبينه.

صدمت سارة من موقف طلال!!! قال سعد: تفضلوا ويا طلال خذ القهوة والتمر ضعه عند عمك...

قال طلال: ابشر... وضع التمر وترك القهوة ثم خرج من المنزل. قال خالد وكان طلال يسمعه: أعرف أني في منزل أخي ولست ضيفًا، لكن الشهادة لا تربي وأصلح الله أولادنا. ثم عاد طلال وقال: احترامًا لوالدي لن أرد على شخص مريض.

غضب سعد ولحق بطلال دفعه اخرج ... خرج سريعًا

عاد سعد وقبل أن يقدم القهوة وقفت سارة وسكبت لأبيها من قهوة عمها وكانت في ذهول.

قال سعد: يا أخي أكثر من سنوات وأنت تقاطعني وبحضور ابنتي سارة لماذا؟ لا أرجو رد العطاء لكن أنا كبرت لقد تجاوزت الخمسين وأنت قريب من الخمسين.

لم تتمالك نفسها سارة وبكت. وقال سعد: لا يا حبيبتي الأمور طيبة والدك مشغول وتتذكري الماضي الجميل عانقت عمها وقالت: أنا أحبك وأحب عمتي عائشة.

وضع كفيه على خديها وقال: وهي رحمها الله تحبك كثيرًا.

الموقف أثر في خالد وقال: يا سعد بداخلي جرح لا والله هي ندبة

كنت المميز عند والدي وكان لا يثق بي بينما كنت الثقة والمستشار ومن تسير البيت كله وتسير خالد.

ثم وقف وتابع قوله: كنت لا أملك قرارًا، وكنت سعيدًا وتخطط لي وكانت قراراتك خاطئة وأعجز عن جدالك كان والدي رحمه الله

يقول أنت لا تعرف مصلحتك وأمام الكثير كان يحرجني ويقول أولادي جميعهم سعد، هو رحل وانظر ما أحوالنا.

كنت تتحكم في كل شيء، حتى ملابسي أنت من يختارها، ودراستي وعملي والكثير الكثير، وصلت سن الأربعين من عمري وأنت من يقرر، حتى سارة من اختار اسمها أنت أيضًا يا سعد!!!!

صمت في ذهول سارة لأول مرة ترى والدها بتلك الحالة والقهر يملأ عينيه.

حاول أن يتكلم سعد، قاطعه خالد: ماذا ستقول؟ ماذا قدمت لي من أين لك هذا؟

تذكر كم قرض أخذته لك وكم من مرة قال والدي يجب أن تساعد سعد؟

ماذا تريد هل أعود للفقر؟ وإلى هذا المكان هل أعطيك كل أموالي كما كنت في السابق؟ ذهلت سارة وقالت: بابا خلاص.

خرج خالد مع ابنته سارة وقدرت انفعاله ولم تتحدث معه طول الطريق.

تعب سعد واتصل على طلال، رد سريعًا كان في سيارته وقال أين أنت؟

رد طلال: قريب... قال سعد: تعال، وأغلق الخط.

دخل سريعًا طلال وجد والده جالسًا وقال قف عند الباب لماذا تعاملت هكذا؟

قال طلال: عجزت والله عن التحمل والحقيقة يا أبي تعبت كثيرًا لا تلمني أنا تعبت ثم جلس وجهش في بكاء عميق، وأحزن سعد رؤية ولده باكيًا فقال: لا تبكي يا بني لكن هو عمك ومعه ابنة عمك، هما ضيوفنا ومن عاداتنا من دخل منزلك له الاحترام مهما كان، وتصرفك لا يقبل خصوصًا أنت متعلم ودكتور، أقدر ما تمر به.

ثم وقف سعد وقال: نحتاج إلى عامل أو عاملة فخالتك ذهبت إلى منزلها، أو أن تتزوج يا طلال أو أنا أتزوج، عانق كتف طلال وقال: لا تكرر هذا الفعل.

سمعا صوت سعود بن صالح ومعه حافظة العشاء، قبّل جبينه سعد وقال: أخبر والدتك هذه آخر مرة. والتفت إلى طلال وقال: حاول أن تحضر من يطبخ لنا إما خادمة أم خادم ولا تتأخر والآن خذ الحافظة وجهز العشاء.

كان بندر جالسًا مع مجموعة من الأصدقاء في استراحة وكان منفعلًا في نقاش مع صديقه وأثناء الجدال وصله اتصال من والدته بدرية وقالت: مبارك يا حبيبي قبل لحظات كلمتني رهف وقالت إن أماني وافقت على الزواج. أسعده الخبر لدرجة أنه قال: احلفي بالله.

قالت: أقسم بالله... مبارك. ثم أغلقت الخط وبصوت عالٍ قال: نعم.

وكان صديقه منفعلًا وقال: اقرأ الرسالة هي إثبات معلومتي، أبعد هاتفه بندر عن وجهه وقال: أنت صح وخرج ثم عاد سريعًا وصديقه تعجب من تصرفه يأخذ سماعة هاتفه وعاد يقول: نعم.

ما زال صديقه مستغربًا ويسأله: لماذا نشوة السعادة هذه؟

قال بندر: لا شيء. وخرج سريعًا، ثم قال أحدهم متى يا شباب بندر كان هادئًا المهم أنه سعيد.

وعند العاشرة مساء وصلت الرسالة خلود في قبول الطلب والحضور من يوم الأحد عند الساعة التاسعة صباحًا، خرجت إلى

والدتها التي كانت تستعد للنوم وبهدوء دخلت الغرفة، انفعلت سوسن وقالت: اخرجي واطرقي الباب، تعلمي احترام الخصوصية.

خرجت خلود وطرقت الباب ودخلت وكانت سوسن تقرأ كتاب عن (المدخل إلى الطب الباطني) أنزلت الكتاب والنظارة وقالت: تفضلي؟

قالت خلود: وصلتني رسالة القبول ومطلوب الحضور يوم الأحد. قالت سوسن: ممتاز سأحجز ونسافر معًا، سأغير جدول دوامي مدة ستة أشهر في الرياض حتى أكون برفقتك. استأذنت خلود وأكملت القراءة سوسن.

بينما كان طلال الذي كان في غرفته وبيده قلم يفك الغطاء ويغلقه، توقف وبدأ يفكر في وضعه مع والده، اتفق مع مكتب استقدام على أن يوفر خادمة تجيد الطبخ، اتصل عليه بندر واعتدل في جلسته وترك الهاتف على الطاولة وشغل مجهر الصوت ورد:

• طلال: أهلًا وسهلًا بندر.

• بندر: أهلًا وسهلًا كيف أمورك؟

• طلال: ماشية الأمور والله المعين وأنت كيفك؟

• بندر: لله الحمد بخير... أحببت أن أشاركك فرحتي؟

• طلال: أي والله زمان عن الفرحة ما الخبر؟

• بندر: في الغد تتم خطوبتي بشكل رسمي من أماني.

• طلال ابتسم: أخيرًا... تستحق كل خير ومبارك.

• بندر: بارك الله بك والعقبى لك؟

• طلال: لا خلاص أنا صرفت النظر عن الزواج خصوصًا هذي السنوات.

• بندر: كتب الله لك الخير وقريبًا لا بد أن ألتقيك؟

• طلال: أكيد لا بد ونتفق قريبًا، أرجو لك التوفيق ولا تنسى دعوتنا إلى حفل الزفاف؟

• بندر: أكيد... والآن أستودعك الله.

وعند الساعة ١٢ صباحا كانت سارة في غرفتها، وأسعدها اهتمام زياد وبعد موقف طلال شعرت يجب أن تقسو على شعورها، وأن تبدأ مع زياد محاولتها للفهم وبعد رسالته اتصلت عليه وأخبرته أنها بخير. كان في طريقه إلى المنزل، فقال لها: ما رأيكِ أن أكون عندكم خلال ١٥ دقيقة، وتخرجين معي لعلّها تغيّر من نفسيتك؟

فقالت: أنتظرك.

وقبل أن يُغلق الخط قالت له: اهتمامك يسعدني.

شد قبضته على مقود المركبة وقال: أنتِ زوجتي، كوني مستعدّة.

الفصل العاشر

يوم مربك لبندر، أزعج والدته بدرية متردد ... هل أرتدي الشماغ الأحمر، أم الغترة البيضاء، أي الحِذاء أختار الأسود أم الأبيض، يبدو أن الرصاصي مناسب.

كانت والدته واقفة وتقول يا بندر الحق بنا حافيًا ودون شماغك وخرجت وسحبت باب غرفته معها، ثم ردد يا أمي... يا أمي... لم تلتفت وخرجت إلى سالم الهادئ والذي كان مستندًا إلى زاوية الكرسي وبيده جهاز التلفاز، قالت وهي منفعلة:

يا أبا بندر اتخذ قرارًا مع ابنك أكثر من نصف ساعة وهو واقف وجميع ما في الدرج من لبس تردد به.

أنزل جهاز التحكم من يده واتصل عليه، رد بندر سريعًا،

قال سالم: هي ١٠ دقائق إن لم تجهز سأغادر المنزل وانسَ فكرة الخطوبة...

ارتبك بندر أكثر وسمعت بدرية صوت كسر وتدحرج، ذهبت سريعًا وجدت تحفة ثمينة لها تركتها في الممر ارتطم بها بندر، فارتدت إلى الجدار وتهشمت وهو بيده عقاله ويحاول أن يجمع القطع، وكانت الخادمة حضرت سريعًا وضعت بدرية يدها على رأسها وقالت دون شعور: حرام عليك حرام... حرام ماذا عملت؟

حاول أن يعتذر وضعت إصبعها عند أنفها وقالت: تحرك إلى والدك ولا تتكلم، أعان الله بنتهم عليك. وهو يمشي رفعت صوتها: لا استغرب تسافر معها وتنساها وتعود وحدك!

عندما وصل إلى والده سأله: سلامات ماذا حصل؟

وهو واقف بندر قال: ما رأيك في القلم والأناقة؟

ضرب الطاولة سالم وقال: سألتك ماذا حصل؟

لا الأمر بسيط انكسرت زينة أعتقد قيمتها ١٠ ريالات أو ١٥ ريال.

هز رأسه سالم وقال: من لا يهتم لأبسط التفاصيل لا يتقدم.

رد بندر: صحيح... هات يدك وبسم الله نذهب الآن؟

أعطاه يده سالم ووقف وما إن اعتدل، قالت والدته: قبل عودتنا تشتري لي تحفة عقابًا لإهمالك.

قبل خروجه سالم قال: المشكلة أنه يقول الأمر بسيط لأن سعرها لم يتجاوز ٢٠ ريال.

• بدرية تناظر سالم: من قال سعرها ٢٠ ريال.

• سالم التفت إلى بندر ابنك يقول هذا سعرها.

• بندر: يفتح الباب اتفضل يا والدي.

• بدرية: يا سالم سعرها...

• بندر يقاطعها ويأشر لها قائلًا: ابشري بالخير، تأخرنا.

يخرج سالم ويقبّل بندر جبين أمه ويطلبها ألّا تحرجه فوالده يكره الكذب.

• بدرية: هيا الحق بوالدك ولن أخبره.

يقود مركبته بندر إلى بيت عمه مشاري.

كانت الليلة مميزة لسارة مع زياد، عادت إلى منزل عمها فهد، وأجواء الاجتماع بعد صلاة المغرب جميلة، وكانت جواهر تتكلم عن موعد سفرها مع زوجها فهد إلى لمنطقة الجنوبية تحديدًا إلى مدينة أبها، قبل دخول البرد، وكانت تعرض على سارة وزياد السفر معهما، التفت زياد إلى سارة وقال: يا أمي تعرفين حبي للسفر والقرار عند سارة، ابتسمت وقالت: بحول الله سأجتهد لكن أنا وصلني خبر أسعدني، ابتسم فهد وقال: خيرًا يا بنتي.

قالت: صدر تعييني في مدرسة حكومية معلمة تربية فنية. باركت لها جواهر وشكرتها سارة، وقال زياد: قبل مباشرتك غدًا في نفس المكان سنحتفل، كذلك دعمًا لموهبتك سيكون لكِ في مجمع الموسى في حي العليا معرض في أحد المعارض.

ابتسمت سارة وضمت كفيها وشكرته، وقالت: أن تقدر موهبتي هذا شيء كبير...

كان فهد يشرب عصير التفاح وضعه على الطاولة وقال: ممتاز، هل أنا عمك خالد مدعوين؟ قالت سارة قبل جواب زياد: حضوركما مهم أكيد. ضحك زياد: ليتك لم تسبقيني الحقيقة كنتما غير مدعوين لكن الشكوى لله هو يضحك.

قال فهد: ما رأيك تجتهد في الاحتفال وهو يأشر على الباب وقبل العشاء تخرج من هنا.

قال: لا خلاص إلّا العصبية.

وصل بندر منزلِ عمّه مشاري، وكانت البوابةُ مفتوحة، أشار إليه موظفُ القصر قائلاً: تفضّل، ادخل بسيارتك.

فأكمل بندر طريقه، وكانت في منتصف الساحة نافورةٌ كبيرة،

وفي الساحة مركبات مشاري الأربعة، فتوقّف بندرُ أمام إحداها ونزل سالم، ذهبت بدرية إلى داخل القصر وكانت في استقبالها رهف أم أماني.

رحب مشاري بسالم وابنه بندر، وحين جلسوا بدأ الحديث بين سالم ومشاري عن التجارة والاهتمامات وبندر يلتزم الصمت،

التفت إليه مشاري وقال: كيف حالك يا بندر؟ جاوبه وهو مبتسم: بخير يا عمي والأمور طيبة وأنت كيف صحتك؟

جاوبه: بخير. وطلب منه أن يأكل من الحلا ويكمل قهوته، قال بندر: ابشر.

وأكمل حديثه مع سالم، وكانت بدرية تمتاز بعفويتها، وكل من صادفها يرتاح إلى حديثها وبساطتها، وكانت رهف سعيدة بها، وأثناء الحديث حضرت أماني في كامل زينتها ثم وقفت فوقفت بدرية تستقبلها بابتسامةٍ تليق بروحها، وقالت لها بصوت هادئ: محظوظ بندر بك.

خجلت أماني وقالت: شكرًا خالتي بدرية تفضلي. قالت بدرية: تعالي بجانبي. جلست وكانت أماني تشعر بالخجل، وبدرية تلتفت إليها كثيرًا وتقول ما شاء الله تبارك الله.

قال سالم لمشاري: أنت تعرف سبب حضورنا ويسعدنا أن نتقدم لخطبة ابنتك أماني لابني بندر، هي زميلة له في الدراسة والآن في العمل وأعتقد أنها تعرف أخلاقه ولكن سأكون منصفًا وأقول لك

بأن بندر أخلاقه عالية وهو منذ سنوات أخبرني عن رغبته في الزواج من أماني وهذا مما يسعدني لأصالتها ولأن والدها شخص معروف في احترامه وتواضعه قبل شهرته في التجارة بارك الله لك وتستحق أكثر من ذلك.

كان بندر جالسًا بجانب مشاري الذي قال: معروف بندر وهو يلتفت إليه ويبتسم، وصاحب مواقف فيها شهامة ومروءة ويشرفنا هذا القرب، كتب الله الصالح.

قال سالم: إذن يناسبك خلال اليومين نحدّد موعد عقدِ القِران.
أجابه مشاري: على بركة الله وكتب الله لهما الخير.

قال سالم: اللهم آمين... وكسبت النسب الذي أفخر به وأماني ستكون ابنتي والآن تسمح لنا بالاستئذان.

قال مشاري: لا والله نسمح بعد تناول وجبة العشاء وهو قريب ولا نتأخر بعد الصلاة.

قال سالم: كثر الله خيرك.

ملأت السعادة قلب بندر، وعاد الحديث عن التجارة.

هنا في منزل سعد خرج طلال ومعه مها وسعود اللذين يحبهما كثيرًا إلى البقالة الصغيرة القريبة من المنزل، وكان يحدث نفسه قبل أن يتوقف أبعد الله عن بالي الماضي وطفلة أضعت عمري وأنا فكر بها، ثم نزل ومعه سعود ومها، وانطلقا إلى ثلاجة الأيس كريم. وبصعوبة يصل سعود، أما مها فأطول منه وترفض أن تعطيه، ليصرخ أعطيني الذي بيدك وهي تصده وتقول:

لا شأن لي أنا مشغولة، استعن بطلال، الذي كان يسمع الحوار فقال قصير وتشغلنا ورفعه، الآن اختَر وأشار بيده: أريد البرتقال، والشوكولاتة التي بجانبه.

تضجر من ملاحقته لسعود ومها، وحين استطاع أن يدفع الحساب ويفتح الباب الخلفي وترفض مها أن تركب وتقول هذا مكان سعود أنا في الأمام وهو يرفض ليقف أمام باب المركبة ويقول: لا ثم يبكي. يقول طلال: الله المستعان هذا والبيت قريب!!!

فتح الباب وقال: مها وسعود الركوب في الخلف وأخذ الأغراض ثم وضعها في باب الراكب الأمامي، وقالت مها: أغلق أمان الباب

فهذا المدعو سعود لا يستوعب مصلحته وربما يفتح الباب والمركبة لم تتوقف!

قال طلال: وهذا الأمان وأغلقناه، واستدار وأغلق باب مها، وقال: لا أسمع أي صوت لحظات ونصل. وكان يقول مركبته هيونداي سوناتا ٢٠١٠

ورغم قصر الطريق لكنه انزعج من مشاجرات سعود ومها، وعند وصولهم كانت سحر داخل المنزل تعطي الخادمة الجديدة تعليمات عن تنظيف المنزل، ومتى موعد الغداء والعشاء لسعد وطلال، ولأن صوت الباب مسموع طالعت من النافذة، فكان سعود ومها أول من دخل وأغلق الباب طلال، قالت: أكيد التجربة لن تتكرر يا طلال؟

قال: وهذا الصحيح أعانكما الله بين عنيد وعنيدة.

ضحكت سحر وقالت: هذا أمر بسيط والقصص كثيرة. ثم قالت: لا تدخل!

سمع صوت نورة زوجة إبراهيم ترحب به وقالت لا تسمع كلام سحر، تخرج ويقدم لها التحية ويسألها عن ابنها ناصر وزوجها إبراهيم، تقول: بخير وأنت كيف أحوالك؟ وهناك موضوع أريد التحدث معك. قال: تفضلي.

وكانت هناك طاولة في وسط الحديقة، خرجت وكانت مرتدية عباءتها والنقاب وخرجت معها سحر وكانت تلبس حجابها لأنها تتوقع عودة سعد.

رحبت مرة أخرى بطلال وقالت: أنا أمك. وقال طلال: أنتِ صديقة أمي ومكانتك كبيرة. قالت: أنت بعمر ابني ناصر وبمنزلته وهو موظف في وزارة البرق والبريد والهاتف وقريبًا نبحث له عن زوجة وأريد زواجك معه، وكانت سحر تصب القهوة وتقربها لها تأخذه نورة وتقدم الفنجان الآخر لطلال، يشكرها بهدوء.

وعندما انتهت من كلامها قال لها بعد ابتسامة: فقدت أمي لكن أمي الثانية حاضرة وهي نورة. قالت: الله يحميك يا ولدي. ثم يكمل لها أنا أحتاج أن أكون نفسي وحتى تتعدل ظروفي سأخبرك يا أمي.

قالت لا تهتم من الظروف أعطني الموافقة وسأبحث لك.

قال: أعدك قريبًا يا غالية. وقفت والتفت إلى سحر وقبل خروجها شددت في قولها: أنتظر اتصالك. فقالت سحر: إن شاء الله.

ثم استأذنت نورة وخرجت.

وكان سعود يلعب مع مها وقال: طلال ما أجمل البراءة كان الزعل لا يأخذ دقائق وينتهي.

قالت سحر: نعم دقائق وينتهي. ثم فتحت جهازها وقالت: ابنة عمك سارة البارحة مبسوطة مع زوجها زياد. وكان يرتشف القهوة أنزل فنجانه إلى الطاولة وقال: وفقها الله.

قالت: صحيح من حقها لكن استغربت عدم تأثرها من وفاة أختي وهي من ربتها!!!

قال طلال: المواقف تكشف معادن البشر. وقبل وقوفه قال: يا خالتي الغالية هل ممكن لا تذكرين اسمها أمامي؟

قالت: أعتذر لكن ما السبب؟

قال: غير مهم... ثم قاطعته وقالت: أنت ما زلت تحبها؟!

انفعل وقال ما هذا الكلام؟! أخذ هاتفه وقبل مغادرته، قالت: أنت محظوظ أنها ليست زوجتك.

وقف واستدار وقال: الله يستر عليها هي الآن في بيت رجل. وكيف الخادمة؟

قالت: جيدة جدًا وفهمت أغلب المطلوب.

شكرها على جهدها وقال لا تذهبي لشقتك انظري إلى سعود ومها مستمتعين وأنا سأعود.

وفي تلك اللحظات وصل بندر منزله، وأول من نزلت بدرية، كان سالم مشغولًا في مكالمة ونسى نظارته وكان بندر ينوي الذهاب إلى الاستراحة التي تجمعه مع أصدقاء الطفولة وقبل أن يتحرك شاهد النظارة وسريعًا ما استخدم بوق السيارة، وافزع بدرية التي وضعت يدها على صدرها وسالم أشار بيده وانفعل: خير خير خير.

نزل بندر وقال: نسيت النظارة؟

أنهى المكالمة سالم وقال: يا بندر متى تهدأ متى تقيس وتقدر الأمور، يا دكتور أرجوك، قال بندر: اعتذر.

أخذ النظارة وقالت بدرية: وهي تمشي بقرب سالم: ستر الله عليه من العجلة. رد سالم: اللهم آمين... لكن تشفع له طيبته.

انطلق بندر إلى أصحابه للاستمتاع في إجازة يوم السبت.

ليلة مضت هادئة وعاد سعد إلى منزله قبل الثانية عشر صباحًا

وما إن أشرقت يوم السبت حتى استيقظ سعد، كان الصباح هادئًا، وعند العاشرة صباحًا استنشق سعد رائحة القهوة التي كان يحضرها صالح في المجلس ووجد منه رسالة يخبره أنه في انتظاره، خرج إليه وأول ما بدأ به سعد: لماذا لم تصلِّ الفجر؟

قال صالح: وعليكم السلام، تعال اجلس. جلس وصب له القهوة وأخذ رشفة وقال صالح البارح كنت في عملي ولم أعد إلا قبل ساعة.

قال سعد: أعانك الله، وإلى الساعة أنت مواصل السهر دون نوم؟ ضحك صالح واستند إلى الزاوية ثم قال: منذ طفولتي لم أتجاوز العاشرة مساء، أنام باكرًا وأحببت الصباح.

استيقظ طلال عند الساعة ١٠ صباحًا وأعجبه كثيرًا ما تقوم به الخادمة من نظافة ومهارات، صادفها وهي تقوم في تنظيف المطبخ وبخجل تقول بابا طلال هل تريد أن أجهز لك الفطور؟ قال: لا شكرًا تابعي عملك. ثم خرج إلى المجلس، سمع صوت صالح مرتفعًا، وحين دخل كان سعد يضحك، ابتسم طلال وبادر في السلام ثم رد صالح وسعد بوقت واحد: وعليكم السلام.

وقال صالح: تفضل بيني وبين والدك لأني أخشى عليك من الزجاج وما حولي من أدوات استفزازه لا ينتهي.

قال طلال وهو ينظر إلى والده: منذ فترة طويلة لم أجد أبي يضحك ويبتهج إلا في الجلوس معك، أدام الله هذي المودة. وقبل أن يصب صالح القهوة أخذها منه طلال وقدم الفنجان لوالده ثم لصالح وصب الأخير له وقال: سأذهب وأحضر من الفوال فطورنا وسأعود. قال سعد: ننتظرك. وصل طلال وكان الموظف يعرفه رحب به: أهلًا بالدكتور.

ابتسم طلال ورحب به وطلب فطوره المعتاد وانتظره، لم يتأخر ذهب إلى المخبز المجاور وكان ممتلئًا، أشر بيده أريد ٤ ثم وقف في الخارج وكان يقرأ رسائل من الأصدقاء وينتظر الرد من إدارة الموارد البشرية ولكن وصلته رسالة من مدير القسم المباشر اسمه الدكتور هاني وكان مضمونها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نفيدكم باعتماد مباشرتكم في قسم الغدد الصماء ويبدأ العمل عند الساعة ٨:٠٠ صباحًا ونود إبلاغكم بأن المناوبة اليومية والأسبوعية سيتم تزويدكم بها حال حضوركم ونرحب بانضمامكم إلى فريقنا مع خالص التقدير مدير القسم الدكتور هاني الأحمد.

رد سريعًا طلال على التحية وأفاده بالحضور في الوقت المحدد، استلم من المخبز ما طلبه وقبل دخوله إلى الفوال خرج إليه الموظف وقال: تفضل طلبك جاهز. عاد إلى منزله وكعادته توقف أمام الشجرة الكبيرة ونزل من مركبته، وكان يحمل معه ما أحضره من فطور.

وكان وقت دخوله المنزل هو موعد تجهيز خلود حقيبتها استعدادًا للسفر إلى الرياض برفقة والدتها الدكتورة سوسن، وفي اللحظة نفسها كانت سارة تجهز لعملها الجديد وتبحث عن موقع مدرستها الجديدة، وأثناء بحثها اتصل بها زياد وأخبرها أنه اتصل بوالدها خالد ودعاه إلى المناسبة، وطلب منها أن تتصل بوالدتها أشواق، ثم قال: بعد أول يوم لك في العمل سنذهب بعد المغرب إلى معرضك في مجمع الموسى. قالت سارة: الله الله شكرًا يا زياد كان حلمي أن يكون لي معرض.

أغلقت الخط وهي مبتسمة، اتصلت على أمها أشواق ورحبت بها وقالت: انتظركما للاحتفال لا تتأخري ماما.

قالت: بعد وقت الغروب سأكون موجودة إن شاء الله.

وعند الساعة ٤:١٥ مساء كان موعد إقلاع الطائرة من مطار الملك فهد الدولي والتي تحمل الدكتورة سوسن وابنتها خلود، مدة الرحلة ساعة واحدة وعند ٥:١٥ مساء أعلن الكابتن: السادة الركاب، بدأنا بالهبوط التدريجي إلى مطار الرياض، نرجو ربط الأحزمة والاستعداد للوصول.

لحظات بسيطة، غادرت الدكتورة سوسن وخلود المطار مع سائق مخصص لخدمتها في الرياض، اتجهت إلى مقر إقامتها وكانت سوسن قليلة الكلام وتحاول أن تصلح حال خلود وتطورها في الطب، وبعد ٢٠ دقيقة وصلوا السكن.

وكان ذلك وقت وصول أشواق وخالد إلى فيلا فهد، حيث زياد كان في استقبالهما، قبّل جبين عمه خالد ورحب بعمته، وكانت خادمة أشواق تحمل معها باقة ورد وكيكة أنيقة. وهنا على البوابة الداخلية للقصر كانت واقفة سارة في كامل أناقتها وتنتظر قدومهم جميعًا، وبمجرد ما دخلوا البوابة الخارجية مشت لاستقبالهم وقبّلت يد والدها واحتضنت والدتها، قال خالد: مبارك. وهو مبتسم، فقالت: بارك الله بك. وذهب خالد إلى الحديقة ودخلت أشواق مع سارة القصر، وكانت جواهر واقفة فمدت كفيها أشواق لتعانقها، وأشارت سارة إلى خادمة والدتها: ضعي الورد والكيكة هنا.

كان خالد يتذوق من اللحم المشوي الذي قدمه طبّاخ بارع، أعجب خالد بالطعم، وقال: يا صديقي جعلتني أشعر بالجوع.

ابتسم الطبّاخ وقال: نصف ساعة ويكون الطعام جاهزًا.

مد يده فهد: تفضل يا أبا سارة وأهلًا بك، مشى معه إلى منتصف الحديقة وحين جلس قدمت له خادمة الضيافة القهوة وكانت ليلة هادئة أجواؤها تشير إلى بداية دخول الشتاء، ومضت الليلة بين ضحكات خالد وفهد وتردد زياد بين الجلوس أو الرد على المكالمات وبدأت سارة تنجذب كثيرًا إلى زياد.

أمّا طلال فكان عند جاره إبراهيم يجلسون في الخارج مع ابنه ناصر الذي تحدث معه في كثير من المواضيع، وكان جار إبراهيم ينزعج من جلوسهم في الخارج، عندما وصل منزله وقبل أن يفتح الباب التفت وقال: يا ناصر يا ناصر إلى متى تقف هنا مع صاحبك؟ خرجت وعدت وأنت موجود!!! والنساء هنا تخجل منك. انفعل ناصر ثم قال: أنا أمام منزلي لم أدخل منزلك. ترك المفتاح ومشى إليه وقال: تدخل كضيف أهلًا بك، وغير ذلك أعرف كيف أعاقبك، قال ذلك بصوت عالٍ.

مد يده طلال وقال: توقف يا ناصر وضع يده على رأسه، ثم قال: نعتذر يا عمي والحق لك. التفت ناصر وقال: أي حق؟؟؟ تكلم بصوت هادئ!!! تراجع جارهم ودخل منزله.

وقال ناصر: ادخل تفضل. قال طلال وهو يُخرج هاتفه من جيب ثوبه: تأخر الوقت الآن، أستودعك الله.

ذهب إلى منزله وبداخله يقول: بعض الهدوء مزعج رحم الله روح البيت عائشة. دخل غرفته وحين أنزل هاتفه وصلته رسالة من خالته سحر تقول: بنت عمك محتفلة هذا المساء أخذتها من حالة الواتس اب، تحتفل مع زياد وهو يقص الكيكة! شاهد الفيديو وحرك مشاعره صوتها وهي ترد على التبريكات. قال: وفقها الله ولم يرد على خالته.

وبينما كانت أماني جالسة في الحديقة تصلها رسالة من بندر يعبر عن سعادته وسألها هل تحبي أن نخبر الزملاء في العمل؟

ردت باختصار بما أننا عقدنا القِران، أخبرهم وأرجو لنا التوفيق.

وحين وصلت الساعة ١:٣٠ ص الجميع أخذه النوم.

كان صباح الأحد مختلفًا فسعد من بعد صلاة الفجر حضر قهوته واعتاد أن يحضر جاره إبراهيم وأصبح صالح يشاركهم القهوة قبل موعد دوامه، وعندما وصلت الساعة السادسة كان طلال حاضرًا وجالس بجانب إبراهيم وسعد ينظر إلى الساعة.

قال صالح بضحكة: كأنك جديد العهد في العمل بعد نصف ساعة اخرج إلى عملك الجديد.

التفت وقال صالح: صحيح أين مقر العمل قال سعد في شمال الرياض. وجعله صالح يتوتر بعدما اعتدل وسأله: أنت تعرف المسافة كم تحتاج من الوقت؟ تحتاج إلى ساعة كاملة، يجب أن تتعلم ركوب قطار الرياض (المترو) ففيه نفع كبير باختصار المسافات والزحمة أوقات الذروة.

وقف سعد ثم قال: سأذهب الآن. قال إبراهيم: خذني معك فأنا متقاعد سأذهب أمارس رياضة المشي.

وعند ٦:٤٠ صباحا خرج طلال، وكان سعد قريبًا من شركة مشاري ولأنه حريص أول من وصل هو تزامننا مع مهندس من

الجنسية الهندية وحاول أن يستفسر منه سعد ولكنه لا يجيد اللغة العربية وبدأ يضم أصابعه ويقول: أنت وأنا زملاء.

ابتسم المهندس وقال بيده لا أفهمك وانطلق وتبعه سعد حتى احتار أين يذهب، اضطر أن يجلس في الممر حتى دخل ثلاثة أشخاص، وقف وسألهم: أين مكتب عماد أو المدير مشاري؟

أحدهم قال: جميع المكاتب يمين تبدأ وحتى تنتهي بآخر مكتب للمدير.

شكرهم وذهب يتجول ويقرأ مستودعات، مكتب توزيع، ويكمل تقسيم قنوات التوزيع، وإدارة شؤون الموظفين.

حتى وصل إلى مكتب المدير العام. وقال: هذا مكتب مشاري. وقبل الدخول سمع شخص يقول: لو سمحت... لو سمحت.

التفت سعد ثم قال: تقصدني؟ قال: يا أخي هل هناك أحد غيرك تفضل ماذا تريد؟

أشار بأصبعه أنتظر صاحب هذا المكتب.

قال: تعال واسترح هنا وإذا حضر تدخل عليه.

قال سعد: خير إن شاء الله. جلس وأخرج المسبحة وسأله: من حضرتك؟ فقال: أنا أعمل في مكتب السكرتير التنفيذي.

قال سعد: وهذا مكتبك؟ قال: صحيح. وقبل حديث سعد، قال: ماذا عنك وماذا تريد؟

قال: سلمك الله... أنا سعد موظف جديد، أخرج الورقة من جيبه وقال: أنا مشرف الموظفين هكذا وصلني.

رحب به وقال وهو يناظر الوقت: أعتقد الجميع على وصول لكن سعادة المدير يتأخر أحيانًا.

قال سعد: وأنا من يدلني؟ ابتسم وقال: المكتب الذي في الخلف قبل الأخير إدارة شؤون الموظفين هو المسؤول.

قال سعد: بارك الله بك سأنتظرهم. وهو متجه خرج في وجهه عماد الذي كان مستعجلًا وعرفه سعد ولكن نسي الاسم وبعد أن تجاوزه قال بصوت عال: يا ولد يا ولد ولم ينتبه. فقال: يا عدنان يا عدنان!!! لحقه ورفع صوته: يا ولد... التفت عماد وقال: العم سعد...

فقال: أهلًا عدنان.

قال: عاشر مرة أصحح لك أنا عماد، ركز معاي أنا عماد.

قال: عدنان أو مصطفى أو عماد الأكيد أنك غالٍ على قلبي ومن شعب غالٍ نحب المصريين.

قال عماد: أدام الله المحبة وأخبره بعدما أعطاه الورقة، وقال: دوامك هنا في الإدارة تفضل معي، ننتظر والجميع على وصول.

أستوعب سعد مسار عمله من حديث عماد وشرح له لتفاصيل العمل.

وكان طلال قد وصل مستشفى الرحاب ولأنه مدرك للخطوات قرر التوجه إلى إدارة الموارد البشرية وقام بتسجيل حضوره رسميًا واستلام بطاقة الموظف.

ثم قام بزيارة قسم الغدد الصماء وتم توجيهه إلى مكتب رئيس القسم لتقديم نفسه، كان اللقاء جميل والمدير أعجب بتميز طلال، سأله عن بعثته، فأخبره بوفاة والدته وأنه تأخر في الاعتذار أو الرجوع.

قال المدير: الله يكتب لك الخير، وبحول الله تكون من المميزين معنا. قال طلال: سأجتهد.

قال: تفضل ستجد من يرشدك ونشكل معك طاقم، القسم جديد والبداية موفقة مع متفوق هو الدكتور طلال.

شكره طلال ثم غادر وقابل من حدد له عيادته والمكتب وتجول في الأقسام.

حضرت خلود لوحدها وأعجبها المقهى قبل المستشفى وانشغلت في هاتفها، حتى وصلت الساعة التاسعة واتصلت عليها والدتها. وقالت في نفسها: لو رديت غضبت والدتي. وخرجت إلى المستشفى ثم سألت عن قسم الموارد البشرية، وسجلت بياناتها ووقعت المباشرة. وقال لها الموظف: انتظري بطاقة التعريف واتصلت على والدتها سوسن وردت: نعم ماهي أخبارك؟

أخبرتها بالتفاصيل، وقالت سوسن: جيد... ولا تأكلي أنتظرك على الغداء. جاوبتها خلود: إن شاء الله. وقبل نهاية المكالمة مد لها الموظف الكرت، قالت خلود: ممتاز متى أداوم غدًا؟

قال الموظف: الحقيقة تم رفع مباشرتك والموضوع في قسم عيادتك المحددة في قسم الغدد الصماء.

قالت: لا تمنيت أن أذهب إلى السوق.

ابتسم الموظف وقال: انتهى دوري.

قالت: شكرًا، وسألته عن القسم. قال: الدور الثاني.

ردت عليه: لك خالص الشكر. ثم خرجت واتجهت إلى المدير الذي كان مشغولًا في مكالمة، انتظرت طويلًا وكانت تحاول أن تشعره بانتظارها لم يعجبه تصرفها، أنهى المكالمة، وتركها ليتابع ملفًا، وحين لمحها عادت وضع القلم وانتظرها، طرقت الباب، وقال: تفضلي. اعتقد أنها مراجعة، وقال: بماذا أقدر أخدمك؟

قالت وهي واقفة: أنا صدر قرار تعييني هنا، وقبل لحظات رفعت المباشرة.

أعاد النظر إلى الكمبيوتر، وقال: صحيح خلود طارق.

قالت: نعم. وضع القلم على الطاولة قال جميل جدًا وقرأ شهادتها من الجهاز وأنها اختصاصي أول تمريض وأعجبته السيرة وطلب منها أن تباشر العمل مع دكتور اسمه طلال سعد ولم يخطر ببالها أنه زميلها في لوس أنجلس. وقالت: أكمل الدوام كاملًا؟

قال الدكتور: نعم أكيد وعند الخروج لا بد أن تتأكدي من تسجيل بصمة الخروج قبل مغادرة، وتفضلي الآن.

خرجت وقرأت القسم ثم أسعدها أنه جديد وقالت جيد لا توجد زحمة وووينه طلال وسألت ممرضة من الجنسية الفلبينية (Where is Dr. Talal؟) أين الدكتور طلال؟

وأجابتها الممرضة (In room number1) في الغرفة رقم واحد.

ذهبت إليه، وقبل دخولها طرقت الباب ودخلت، كان يتصفح الكمبيوتر. قالت: السلام عليكم يا دكتور. وحين ناظرها قالا بصوت واحد (طلال ... خلود)

قال طلال: بسم الله أنتِ خلود زميلتي في لوس أنجلس؟

قالت: صحيح والآن أصدق أغنية ذكرى (مصير الحي يتلاقى)

قال: فعلًا... تفضلي.

قالت: ممكن بعد ساعة تقول لا تجلسي؟

قال: لا... أنا أحترمك لكن لماذا تقولي هكذا؟

قالت: أنا أعمل معك وأنت المسؤول.

قال: هذا يسعدني القسم جديد وأعتقد يومين ويكون فيه مراجعين. قالت: صح نسيت أقول لك أحزنني فقدك والدتك.

قال: هذا أمر الله... رن الهاتف وهو يرد كان يقول: صحيح.

ثم قال: الاستقبال طلبوا حضورك، أرجو لك التوفيق.

كانت الساعة الحادية عشرة استغل الموظفين الهدوء وقدموا الهدايا إلى بندر وأماني بمناسبة عقد القران، وكانت الأجواء تحدد عمق العلاقة الجيدة بين الزملاء.

ولأن سارة كان أول يوم لها لم تستلم جدول الحصص، تعرفت على المعلمات ومن بينهن كانت شخصية مريحة ولاحظت سمعتها جيدة، ودائمًا مبتسمة هي أسماء عبد العزيز معلمة مادة

الرياضيات، أعجبها تعاملها مع الطالبات والاحتواء، وأنها قدوة لكثير من بنات المتوسطة، كما لاحظت سارة أي طالبة تبتسم عندما ترى العلمة أسماء، وأي مشكلة تكون أسماء من تنهي الأمر، لقد أعجبت بها كثيرًا.

سلمتها الوكيلة جدول الحصص وقبل مغادرتها كانت أسماء واقفة أمام باب الخروج، وقبل أن تخرج سارة، قالت: أستاذة أسماء كنت معكن من الساعة الثامنة وأخذت انطباعًا عنكِ كبيرًا وعظيمًا وأنا محظوظة في كونك زميلة وصديقة قادمة، ومدت يدها سارة لتصافحها.

ابتسمت أسماء وتعانقت الكفوف وقالت: كذلك يظهر من ملامحك أنتِ مريحة وسعيدة بالتعرف عليك.

قالت سارة: هل ممكن أن أسجل في هاتفي رقمك؟

قالت أسماء: بكل سرور. دونته، وقالت أسماء وهي تبتسم: أقدم خدمات وإن كنتِ تحبين سأوصلك منزلك فأنا خارجة.

قالت سارة: أتمنى أن أتغلب على الخوف وأقود مركبة لوحدي لكن حتى والدي يخاف عليّ كثيرًا والسائق في انتظاري.

خرجت سارة متوجهة إلى فيلا فهد، وكان زياد ينهي الاستعدادات لافتتاح معرض سارة، وحين دخلت القصر لم تجد سيارة زياد المحببة له، توقعت أنه ذهب إلى مكتبه، وتعرف جيدًا أنه يرغب بتوسعة انتشاره، ويركز على سياحة المغامرات، أصبح مكتبه مميزًا ومصداقيته عالية.

استطاعت سارة أن تتعامل مع مزاجه والعلاقة جيدة وإن تذكرت الماضي كثيرًا تذهب إلى موهبتها وترسم، ورغم أنها تعرف طلال جيدًا ومحبته، ما زالت لا تفهم أسلوبه وسبب حظر الواتس اب، لكنها تشعر بزياد وتقدر حرصه وطبيته.

وحين وصل الوقت إلى الثالثة عصرًا، كان اليوم مميزًا للجميع إلا خلود لأنها لا تحب الارتباط كثيرًا، والحالات لم تتجاوز الأربعة عند طلال، والتعامل كان جيدًا، استغرب خروج خلود دون أن تبصم بصمة الخروج، ولأنه يعرف هاتفها اتصل ردت عليه، واستغرب من ردة فعلها: يوم واحد لا يضر.

قال لا أنصح أن تفكري هكذا، والقرار لك. أغلق الخط وخرج إلى منزله الذي يبعد قرابة الساعة، وهو في طريقه اتصل به والده سعد وسأله: متى تعود؟ أخبره: أنا في الطريق وإن كان الغداء جاهزًا لا تنتظرني فأنا قبل ساعة تناولت الفطور.

وقبل أن تضع الخادمة الغداء اتصل إبراهيم على سعد وتحدث معه عن اجتماع قريب، ثم قال: لك التحية من أختك نورة، وتقول تكلمت مع طلال عن زواجه.

قال سعد: بلغها سلامي وأنا سأزوركم العصر لأمر له علاقة في الزواج وطلال سأقنعه.

وفي تلك اللحظات دخلت سوسن غرفة خلود وأشعلت نور الكهرباء وقالت: أنا تركت انشغالاتي وسعيت لك وأول يوم مسجل عليك خروج دون استئذان؟ فتحت عينيها خلود وقالت: اغلقي النور ماما أريد أن أنام. وسحبت مخدتها، طلبت منها أن تستيقظ وسألتها السؤال نفسه، قالت خلود: ماما ملل وكآبة لا أطيق العمل والانضباط وشعرت أني عاجزة عن المواصلة.

قالت سوسن: غير مقنع هذا التصرف وأنا لا أسمح للموظفات أو المتدربات التأخر دقيقة وابنتي تهرب من عملها بحجة الوهم وهو الملل!!! وبصوت مرتفع يا خلود من الغد تكونين موجودة قبل العمل بنصف ساعة وتخرجين بموعد الخروج، وإلا سأكون مضطرة لمعاملتك كمراهقة وأحرمك من المركبة ونصف المصروف والقرار لك والآن تابعي نومك.

وحين انتهى سعد من صلاة العصر ذهب مع إبراهيم إلى منزله وجلس معه في مجلسه الصغير الخارجي، ثم قال: أعلم جيدًا أن نورة منذ طفولتها يتيمة الأبوين ولها أخ وحيد أعتقد أنه أكبر منها ورجل كبير. قال إبراهيم: صحيح كل ما ذكرته أنت تعرفه.

وقبل أن يكمل فنجان القهوة قال سعد: صحيح وأيضًا لنورة أخت اسمها ندى ولها بنت تزوجت.

قال: أيضًا يا سعد صحيح، ما المطلوب؟

قال: اذهب بارك الله فيك وأخبر نورة أنني أتقدم لخطبة أختها ندى. ابتسم إبراهيم ثم قال: أول مرة أعجب بقرارك، لحظات

وسأعود. دخل إلى نورة وأخبرها، قالت: الحقيقة فاجأني لكن إذا كان بينهما نصيب ستكون زوجته، هي كبيرة وهذا قرارها، سأسألها وأخبرك. عاد إلى سعد وأخبره بما قالته نورة، ومد الفنجان لإبراهيم وصب له الآخر، وقال: أنتظر الجواب، ودار حديث ليس بالطويل حتى أذن المغرب.

كانت أشواق تنتظر زياد وسارة لترافقهما إلى المعرض الجديد، وحين وصلا نزلت سارة وركبت أشواق جنب زياد ولاحظت ملامح ومزاج سارة غير جيدة، وحين انطلقوا أرسلت: لها لماذا مزاجك غير جيد هل أنتِ متعبة؟ قالت سارة: منذ أيام لا أقبل الأكل وزاد التعب وقت العصر لكن سأكون جيدة. شعرت أشواق أنها أعراض الحمل وتوقعت ذلك لأنها ذكرت أعراض قريبة من أسباب الحمل. كان باستقبال زياد طاقم من شركة تنظم الاحتفالات، ورغم تعب سارة كانت مبتسمة تتجول في المعرض ومضت الساعتان على أحسن الأحوال. وقالت سارة: نعود.

التفت زياد إلى عمّته أشواق وقال: سنمر مطعم إيطالي تحبه سارة. قالت: لا أرجوك. وبدأت أشواق تقتنع بحمل سارة، وقالت

لزياد: توجه إلى المستشفى. فقال: خير؟؟؟ قالت: اطمئنان. وصل مستوصف قريب، وقبل نزوله مسكت يده أشواق قائلة: انتظرنا. فقال: سأنزل إلى السوق القريب أنتظر منكما الاتصال. دخلت المستوصف أشواق وسارة وبعد الانتظار للحظات نادتها الممرضة إلى غرفة السونار وأخذت ١٠ دقائق ومرة أخرى نادتها الدكتورة ودخلت سارة وأشواق.

ثم قالت: مبارك سارة حامل في الشهر الثاني وأسعد الخبر أشواق وما زالت سارة لا تملك رد إلا بعدما حضنتها أشواق.

خرجت واتصلت على زياد وقالت ننتظرك، حضر سريعًا وقال: عسى خير. وحين تحرك قالت له أشواق: مبارك قريبًا تصبح أبًا زوجتك حامل. قال: بارك الله بك، خبر مفرح لأمي، وقال: مبارك يا سارة وردت عليه: الله يبارك فيك.

طلب من أشواق تذهب معهما إلى الفيلا لكن اعتذرت، وسألت سارة: هل تحبين أن ترتاحي في غرفتك فأنا أعرف زياد لن يرفض. قال: أكيد فالمهم راحتها. قالت سارة: أموري جيدة وفي الغد يبدأ عملي وأنا بخير.

أكمل طريقه زياد حتى وصل منزل عمه خالد وأوصل أشواق وعادت سارة للركوب بجانب زياد السعيد بالخبر الذي كان يقود مركبته والسرور يملأ قلبه.

وصل زياد منزله وبمجرد ما توقف أمسك كفي سارة وقال: شعور عظيم، تعالي لنخبر والدتي جواهر بالخبر. فتحت الباب سارة وقالت: أنا محرجة سأذهب إلى غرفتي وأخبرها أنت.

نزل واتجه إلى داخل القصر، وذهبت سارة إلى القسم المخصص لها، وكان فهد في حديثه مع جواهر. أقبل زياد مبتسمًا قالت جواهر: دائمًا ملامحك سعيدة. جلس وقال: فعلًا أنا سعيد وسعيد جدًا. قال فهد: مكتبك إنجازاته كبيرة وأتوقع توسعت في السياحة، أذكرك تحاول أن تضيف سياحة المغامرات.

قال: هذا صحيح لكن الخبر أعظم.

قالت جواهر: وهي تقدم له الشاي شاركنا فرحتك.

قال: قريبًا سيكون لكِ حفيد أو حفيدة وضعت فنجان القهوة.

وقالت: ما شاء الله... ما شاء الله... وبارك له فهد: مبارك يا ولدي وكيف صحتها؟ وهل حضرت معك؟

قال زياد: بخير الحمد لله، وذهبت إلى غرفتها تحتاج أن ترتاح. وقف زياد واستأذن في المغادرة، كانت سارة في غرفتها، دخل الغرفة وقال: سأطلب لك وجبة خفيفة. حاولت أن ترفض وقال: خلاص طلبت، أنا في الصالة عندي مكالمة مع صاحب مكتب سياحي في الخارج وإذا ارتحت أنتظرك. قالت: إن شاء الله.

قبل خروجه سألها: هل أغلق النور؟ قالت: لو سمحت. ونفذ ما تريده، خرج وانشغل في المكالمة.

بينما سعد جالس في مجلسه يتابع التلفاز اتصل عليه إبراهيم وسأله عن أحواله ثم قال: أبشرك ندى أخت نورة وافقت على الزواج. وقال سعد: الله يوفقنا. ثم قال إبراهيم: أنت تعرف لها أخ واحد وخارج الرياض وبعد موافقة ندى اتصلت عليه وأخبرته عنك، وقال القرار لها وأنه مع قرارها والرأي لها. قال سعد: لم أفهم؟ قال إبراهيم: أنا لم أقل له أن ندى موافقة. قال سعد: صحيح وماذا

عن أخيها؟ رفع صوته إبراهيم: يا سعد أحتاج إلى تركيزك الزواج ينتظر عقد القران وإن أحببت في الغد رتب أمورك. قال سعد: بعد المغرب موعدنا ومعي الشيخ.

اتصل سعد على طلال، رد سريعًا سأله: أين أنت؟ قال طلال: قريب من المنزل. قال سعد: أنتظرك هناك موضوع أحتاج الحديث معك عنه، والآن انتبه إلى الطريق. ثم عاد سعد يتابع مسلسله الخليجي.

وفي تلك الأثناء كان بندر في مشاورات مع والدته بدرية عن تحديد موعد الزفاف، لأنها كانت على اتصال مع رهف وتم تحديده بعد أربعة أشهر، وقالت: قبل أن تحجز مكان حفل الزواج استشر والدك وأرجو أن تقلل من حرصك على الخروج مع أصدقاء الاستراحة، الأيام القادمة انشغالاتك كثيرة، قال: لاحقًا تعرفين مواقف الأصدقاء خصوصًا في يوم زواجي المعزة بيننا كبيرة.

وفي تلك اللحظات وصل طلال المنزل وصوت الباب مسموع، سمعه سعد فأخفض صوت التلفاز، دخل طلال قال: السلام عليكم مساء الخير يا والدي. رحب به وقال: اجلس. ولأول مرة

يلاحظ طلال والده محرج فقال: خير يا والدي!!! اعتدل في جلسته وقال: كل الخير... أنت تنظر لحالتنا بعد وفاة والدتك غفر الله لها ومنذ شهور حالتنا غير مستقرة وأنا وجدت إنسانة نعرفها جيدًا وخطبتها ووافقت وهي بعمري تقريبًا، لم تتجاوز الخمسين، وقبل أن يرد قال سعد: اسمعني هي أخت نورة أم ناصر زوجة جارنا إبراهيم وأنا يا ولدي بعد فقدان والدتك لاحظت أهمية أن يكون في البيت سيدة له، ترتب أموره وتهتم بوالدك، تفضل الآن قل لي ما رأيك؟

قال طلال: هذا من حقك وصدقني أنا منزعج من حالنا أكثر منك. قاطعه سعد وقال: نخطب لك وزواجنا يكون في يوم واحد.

قال: لا يا أبي أحتاج إلى الوقت، أنت حدد زواجك وإن شاء الله تجد راحتك، لكن هل لديها أولاد وما اسمها؟ جاوبه: اسمها ندى ولها بنت متزوجة، وغدًا أريدك أن تذهب معي واحضر صديقك فيصل أحتاجه شاهد وصالح سيكون حاضر معنا. قال طلال: على بركة الله وفي تلك الأثناء ارتفع الصوت بين سحر وصالح بعدما أخبرها بزواجه وقالت: الرجال ما لكم أمان.

وبتهكم قال صالح: أطال الله في عمرك سأتعب وأنا أبحث عن فتاة جميلة تشبهك. تجهمت وقالت: هذا كلام دلع أو أمنية لكنني زعلت من سعد ليته تأخر عام أو عامين رحمك الله يا أختي وذهبت إلى غرفتها. دخل طلال إلى غرفته وقبل أن يضع هاتفه على الطاولة وصلته رسالة من خلود تخبره بأن والدتها سوسن لديها محاضرة في المستشفى وسألته هل وصلتك دعوة؟ قبل الرد بحث في هاتفه ثم وجد رسالة نصيبة: يسعدنا إبلاغكم بأنه قد تم اعتماد مشاركتكم في دورة الوقاية الصحية، والتي ستُعقد في يوم الإثنين نأمل منكم التكرم بالحضور في الوقت المحدد، تهدف الدورة إلى تعزيز الوعي الصحي ورفع الكفاءة في تطبيق إجراءات الوقاية.

رد عليها صحيح الدعوة وصلتني ونتشرف بالحضور والتعرف عليها أكثر وكتبت له يسعدنا ذلك. واليوم كان مزدحمًا للجميع لكنه مضى.

وكان صباح الإثنين يحمل أحداث جديدة ومنها عند الساعة ٧:٣٠ صباحًا بأشر عمله سعد وكان حريصًا على القيام بكل

المطلوب منه ويأمل أن يكسب ثقة الموظفين خصوصًا أنه في بداية عمر الخمسين وأمامه سنوات من العمل، وما كان تقاعده المبكر إلا لأنه لا يحمل رتبة عسكرية عالية، وحسب النظام تقاعد مبكرًا، وهي فرصته التي حرص عليها.

اتجه طلال إلى قاعة كبيرة مخصصة للمحاضرات، وكان العدد لا يتجاوز الثلاثيين من منسوبي المستشفى بين دكتور وأخصائي وممرض، جلس طلال في الصفوف الأمامية، حضرت سوسن وبادرت في السلام، ثم بدأت في توجيه رسالة للصحيين والمختصين وأهمية متابعة التطورات الطبية ثم تكلمت عن الموضوع وأن الوقاية مهمة في الكشف وأغلب الحالات تكون في مراحل متأخرة ويجب على الجميع الحرص على التوعية لكل مراجع وأن تخلص في عملك واستمرت المحاضرة ساعة. وحين انتهت خرج الجميع وذهبت خلود إلى والدتها وقالت: ماما. رفعت نظرها سوسن وقالت: ماما في المنزل هنا مكان عمل. سمعها طلال تقدم قال الدكتورة سوسن: كيف حالك أنا الدكتور طلال سعد. قالت: أهلًا بك تشرفت. قالت: ماما عفوًا... عفوًا

دكتورة سوسن هذا الدكتور طلال الذي كان زميلي في لوس أنجلس. قالت: نعم أهلًا بك وأرجو لك التوفيق، والآن إلى عملك يا خلود، وأستودعك الله. خرجت خلود. وقالت الدكتورة سوسن: دكتور طلال ما تخصصك قال: اختصاصي الغدد الصماء. قالت: ما شاء الله أرجو لك التوفيق. قال: عندي عيادة الآن وددتُ أن أضيفك. قالت: حرصك هو أعظم خدمة وفقك الله. ثم خرج إلى عيادته.

وأثناء مروره كانت خلود جالسة في الاستقبال، وقالت: دكتور طلال هناك حالة تنتظرك: رد عليها: شكرًا لكِ من فضلك نادي الممرضة. قالت: هي أيضًا هناك قال ممتاز ثم غادر إلى المراجع.

وكان أول يوم لسارة جميلًا في مدرستها الجديدة وأسعدها وجود قاعة الرسم والتصميم، كانت تبدأ في الشرح النظري ثم التطبيق وبعدها تنقد نقدًا بنّاءً، وكان التفاعل جيدًا وبين حصصها فاجأتها زميلتها في كيكة ترحيبية وشكرتها وبدأ الحديث يكون أكثر راحة واستمرّ التفاهم والانسجام طيلة أيام الأسبوع.

الفصل الحادي عشر

تحولات كبيرة بعد مضي أربعة أشهر وأول التحولات في الغد موعد زواج بندر وأماني واستعدادات كبيرة لحفل الزواج،

وكان سعد وطلال أول المدعوين للحفل، وسعد يحاول أن يقنع صالح بالذهاب معه ويذكر له الأكل اللذيذ، ويحاول أن يمازحه ورد صالح: أشعر في الدوخة تصورت الأكل اللذيذ أمامي والحقيقة أنا محرج في الذهاب لا أعرف مشاري أو بندر. قال: طلال تتذكر بندر قبل عامين كنت تجلس معنا. شد صالح حاجبيه وقال: صح تذكرت ذلك المندفع. ضحك طلال: بالضبط هو. وقال: توقعت أن علاقتكم انتهت بعد الدراسة قال طلال انشغلنا فقط، لكنه ما زال على تواصل معي. وغدًا ستذهب معنا.

فردّ صالح: سأكون جاهزًا بعد المغرب. التفت طلال إلى والده، ضحك سعد ورفع صوته يا صالح المغرب لا يحضر أحد وموعدنا بعد صلاة العشاء. قال صالح: بحول الله والآن تأخر الوقت. ورفع يده سعد ينظر إلى الساعة صحيح تأخر الوقت استأذنك ولكن أولًا أخبرني كيف عملك؟ رد طلال: جيد وأيضًا

استأذنت يوم الأربعاء للانشغال في زواجك. قال سعد: وأنا إجازتي تبدأ من يوم الثلاثاء والحقيقة اكتفيت بـ ١٢ يوما فالعمل أحببته وأخشى أن أخسره. قال طلال: أنت منتظم، مرّ ما يقارب العام على عملك وأنت منتظم، لكنني أتفهم حرصك يا والدي، واسمح لي أستأذنك وعلى فكرة أرجو ذوقي في أثاث غرفتك أعجبك؟ مسك كتفه سعد وقال: أنت بركة يا طلال وجميل جدًا، وأمس بصعوبة نمت فالأثاث الجديد جعلني أعيش قلق لأني أعجز عن التأقلم. ابتسم طلال وقال: هي فترة وتعتاد، اسمح لي وذهب إلى غرفته وأصبح لا يكتب ولا يحرص على الحديث مع سحر التي تحزنه بحديثها عن ابنة عمه التي فضل أن يجعل المروءة حاضرة ولا يحاول أن يزعجها أو يشعرها في اهتمامه ومن مصلحتها أن تنساه وهكذا وضع المحبة وأدرك أن قطيعة العاشقين قدمت المصلحة على المبتغى وتغيرت أطباعه، ويحاول أن يصحح مسار عمله ويرسم مستقبلًا يليق به.

وفي الوقت نفسه كانت بدرية تضع يدها على رأسها وتقول: يا بندر يا حبيبي أنت دكتور، أرجوك لا تستعجل. كان جالسًا مع والده الهادئ واللطيف سالم وضع هاتفه على الطاولة ورفع نظره إلى بدرية وقال ماذا حصل؟ قالت افتقدت الخادمة وتذكرت أني أرسلتها إلى شقة بندر وهو كان معنا خرجنا وأقفل باب شقته. صاح سالم بصوت عالٍ: اذهب افتح الباب ولماذا لا ترد وقف وقال: هاتفي نسيته. فقال سالم: اذهب وستر الله على زوجتك أخشى من شدة استعجالك تنساها في مطعم أو سوق. فتح الباب ووجدها جالسة، فقال لها وهو يطرق الباب: اعملي هكذا. هزت رأسها ثم خرجت وعاد إلى والديه المشغولين بتحضيرات الحفل، وفي المقابل كانت رهف تتصل على صديقاتها، وأماني تنتظر قدوم زميلتها زينب التي كانت حريصة على الحضور.

وهناك كانت سارة في معرضها بمجمع الموسى وبرفقتها والدتها أشواق وصديقتها الجديدة أسماء وهذه المرة كانت والدتها منى معها، كانت سارة تتمشى في معرضها مع صديقتها كانت أسماء، وأشواق ومنى في زاوية المعرض، وعلى الطاولة أمامهن القهوة

السعودية والشاي، وبدأت أثار الحمل تظهر على سارة وكانت تنزعج من تورم اليدين والصداع المستمر. وكانت تتكلم عن لوحة رسمتها وهي تتأملها. قالت أسماء: يبدو أنها عزيزة وما قصة الطفلين؟ ابتسم سارة وقالت: هي واقعية وتتكلم عن طفولتي مع ابن عمي طلال وهو دكتور. قالت أسماء: جميلة ذكريات الطفولة، لكن يبدو أنكِ متعبة تعالي نجلس قالت صحيح والصداع لا يتوقف، انظري إلى حجم كفيّ. بقلق قالت أسماء: أتوقع أعراض طبيعية. ونادت أشواق: يا بنات... وردت عليها أسماء: أهلاً... وأشارت إلى الحلا. قبل أن تتحرك أسماء قالت سارة: أنتِ يا أسماء من أجمل من عرفت. ابتسمت وعانقتها، وحين جلسن جميعهن قالت منى: غدًا بعد المغرب ننتظركما في المنزل. وكانت أسماء تنظر إلى سارة، وقالت أشواق: بالنسبة لي أعدك بالحضور، وماذا عنك يا سارة؟ ردت سارة: أخبر زوجي وأتصل على أسماء وإن شاء الله نلتقي. عند الحادية عشرة غادرن المجمع والسائق أوصل سارة إلى منزلها وأكمل طريقه إلى بيت خالد.

وكان يوم التالي أول التنبيهات المنهكة لسارة حتى عجزت عن إكمال حصصها في المدرسة وكانت تشرح للطالبات بعض الحلول والأفكار وأرهقها ألم شديد حتى استندت إلى الجدار وإحدى الطالبات خرجت تركض إلى مديرة المدرسة ودخلت وكانت تكتب، قالت: خير؟! قالت: أستاذة يا أستاذة أنا في الصف الثاني متوسط وعندنا حصة فنية والأستاذة سارة تعبت. خرجت سريعًا المديرة، وكانت أسماء قبل لحظات انتهت من الحصة، لمحت المديرة مستعجلة وتنادي موظفات وسألت: ماذا حصل؟ قالت: طالبة أفادتني عن تعب الأستاذة سارة. ذهبت معها إلى الدور الأول وجدتا سارة جالسة على الأرض وتمسك في الكرسي، أسرعت إليها أسماء وسندتها، كانت تصرخ، طلبت من الطالبات الخروج ثم طلبت من الوكيلة أن تتصل فورًا بالإسعاف، كانت لحظات مربكة وتحاول سارة أن تخفف من ألمها دون فائدة، وأقل من ١٥ دقيقة وصل الإسعاف وسمحت المديرة بالدخول وتم نقل سارة وطلبت أسماء أن تسمح لها المديرة في اللحاق بهم، وقالت: الحقي بهم ولا تنسي تخبرينا. التفت إلى

المعلمات وقالت: من لديها حصة تعود إلى حصتها. وبصوت عالٍ قالت للطالبات: كل طالبة تذهب إلى فصلها.

اعتقدت الزميلات أنها حالة إجهاض، لكن كان الأمر أصعب عند الساعة الحادية عشرة لحظة أن سأل الدكتور هي من أسرتك قالت: لا صديقتي. قال: ضروري يحضر أحد من أسرتها. قالت: خير يا دكتور قال: إن شاء الله خير. اتصلت على والدتها أشواق التي كانت جالسة في غرفتها وأمام مرآتها، استغربت من اتصال أسماء، وردت سريعًا ثم سألتها عن حالها. أجابتها: بخير. وسألتها: عسى اتصالك خير؟ قالت: لا تقلقي لكن سارة تعبت قليلًا وأنا معها في المستشفى. قالت: الآن سأتحرك. لبست واتصلت على خالد الذي كان في جولة ميدانية ولم ينتبه إلى هاتفه، اتصلت على السائق قالت جهز السيارة بسرعة وخرجت مسرعة ونست أي مستشفى واتصلت مرة أخرى على أسماء قالت: أي مستشفى؟ وحددت لها الحكومي القريب وطلبت من السائق التوجه إلى الحكومي القريب من مدرسة سارة، وحين وصلت كانت حالة سارة تزاد تدهورًا وتقرر نقلها عاجلًا إلى

العناية المركزة، عاد الدكتور وقبل حديثه مع أسماء قالت: هذي والدتها قادمة. وقفت أمامه.

قال: لا تقلقي أبدًا والوضع سيكون تحت السيطرة، أين زوجها أو والدها إن كان موجود؟

قالت: أشواق أرجوك يا دكتور ما بها؟

قال: اتصلي بوالدها أو زوجها، سيتم نقلها إلى العناية المركزة، وهذا الإجراء للحرص فقط، لا تقلقي.

بكت أشواق وكادت تسقط أمسكتها أسماء، وقال الدكتور: لترتاح هنا وبحول الله تكون جيدة.

اتصلت على خالد انتبه فرد على الاتصال، كانت تبكي وقال: اهدأي ماذا حصل؟ قالت: سارة دخلت المستشفى تعال الآن. قال: الآن الآن... قالت: في المستشفى القريب لمدرستها.

رد: عرفته قادم الآن. وانطلق سريعًا.

وحين وصلت الساعة الواحدة ظهرًا اتصلت منى على ابنتها أسماء وقالت لها الموقف، لن أتأخر فقط اطمئن. قالت: كتب الله لها الشفاء. وعندما نقل الدكتور الخبر إلى خالد انهار، وقال: أرجوك ما الحل. قال: رئيس المختصين يحدد الإجراء، لكن لا تقلق نحن في وطن الطب فيه متطور جدًا، والكفاءات على مستوى عالٍ جدًا. وقال: يا رب يا رب. ذهب إلى زوجته أشواق، وحين دخل قسم الاستراحة، قالت: اتصلت وجهاز زياد مغلق، ووالدته جواهر تقول رحلته الساعة التاسعة إلى كرواتيا.

جلس وقال: الله يحفظه وعلى فكرة جلست مع الدكتور، وسارة تعرضت... وخنقته العبرة...

قالت أشواق: ماذا حصل تكلم؟

قال: عندها تلف في الكبد والوضع ليس هينًا، كتب الله الخير. انهارت وصرخت حتى فقدت الوعي وقف عند الباب وأشار إلى الممرضة، أسرعت وحضرت معها زميلتها وتم نقلها سريعًا.

جلس خالد وردد: المصائب لا تأتي فرادى، والله يستر.

ثم خرج إلى زوجته وكانت أسماء في منزلها وقررت العودة عند الثالثة إلى المستشفى مع والدتها.

كان خالد يتردد بين زوجته وابنته ومازال الجهد متواصل وعند الرابعة مساء استعادت وعيها أشواق، وكانت معها منى وأسماء وكذلك حضرت ريم، طلبت أشواق من الممرضة أن تنزع ما بيدها من إبرة وتذهب إلى سارة. قالت: منى لا تقلقي هي بخير ووالدها عندها. كانت تبكي وتقول: كيف بخير وعندها تلف في الكبد يا حسرتي عليك يا سارة.

الموقف محزن، خالد واقف لاحول له ولا قوة أمام سارة، وحين وصلت الساعة التاسعة وصل سعد وطلال وبصحبتهم صالح إلى مقر زواج بندر الذي كان سعيدًا جدًا وأنيقًا في البشت البني والغترة البيضاء وحين دخلوا قاعة الاحتفال كان مشاري وسالم عند اليمين واليسار بندر، وكان سعد مبتسمًا، بارك لبندر وسلم على مشاري وسالم. بعد ذلك جاء طلال وبارك لزميله بندر ورحب به مشاري كثيرًا، صافح صالح مشاري وعرفه باسم سعد، فسلم عليه، ورحب به، ثم سلم على بندر وسالم.

وكان الزواج مميزًا، حضر كثير من الزملاء والأقارب لمشاري وكذلك سالم، وعندما وصل الوقت إلى الساعة العاشرة وقف سالم في المنتصف وقال: تفضلوا العشاء جاهز وأهلًا بالجميع. دخل الجميع صالة الطعام وقال صالح لطلال: ما شاء الله تحتار ماذا تأكل، وضحك، تعال نذهب إلى ذلك الصحن وقبلها لنأخذ من البوفيه.

الساعة الثانية عشرة صباحًا كان موعد وصول سعد وطلال وصالح إلى المنزل، وقبل النزول قال صالح: لم اعتد على السهر، تصبحون على خير. دخل سعد وطلال المنزل وقال طلال: أستأذنك يا والدي. أشار بيده: حفظك الله يا ولدي. دخل طلال غرفته ولبس بيجامة النوم واعتاد على عدم السهر استرخى على السرير وبدأ يقرأ رسائل وصلته ولم ينتظر طويلًا حتى أخذه النوم سريعًا.

أخبرت أشواق أم زياد عن حالة سارة التي تأثرت كثيرًا وقالت: لا بد أن أرسل إلى زياد وأطلب عودته. قالت أشواق: أعتقد حضوره مهم، وستر الله على سارة وعلى طفلها. قالت جواهر:

آمين. عندما وصل الخبر زياد أنهى اجتماعه وبحث عن رحلة من كرواتيا إلى الرياض. ومازالت سارة تخضع لرعاية صحية مركزة وفي الغد يكون القرار الأخير للإجراء المقرر لحالتها بعد تأكد تلف الكبد.

ما زال سعد لا يعرف بالخبر الذي أرسل دعوات زواجه ومن ضمن الأشخاص كان أخوه خالد الذي لم يرد وتوقع سعد عدم رده واحتمال عدم حضوره. وبدأ قسم الغدد الصماء يكون له مراجعين، وكثير من المراجعين أحبوا تعامل طلال وحرصه، أما خلود ما زالت غير حريصة، لكن طلال لا يكلفها بأمور كثيرة وكانت تتمنى أن تقدم له ما يستحقه من مراعاة لعدم قبولها للعمل وحرصه على عدم تكليفها بأمور كثيرة وكان يوم متوسط الازدحام ولحظة خروجه إلى منزله عند الساعة ٣:٠٠ مساء كان موعد سفر بندر وأماني لقضاء شهر العسل في الخارج ثم تكملة الإجازة في مدن المملكة العربية السعودية المميزة بين جنوبها وغربها.

وصل طلال منزله وجد الباب الكبير مفتوح وهناك موظفين من شركة متخصصين في نظافة الحوش والأبواب وكان سعد واقفًا مع

جاره إبراهيم والصوت مرتفع وكان يرفض المبلغ المقدم من جاره كمشاركة في عانية الزواج، ألح إبراهيم حتى وضع مبلغ ١٥٠٠ ريال في جيب سعد، وقال إبراهيم: أهلًا بالدكتور. وكان يلبس المعطف الأبيض ابتسم لإبراهيم وقال: كيف حال العريس؟ ولماذا عدم الارتياح. قال: أنتظر السجاد. فالزواج تقرر أن يكون في منزل سعد. قال طلال: أبدل ملابسي وأعود. قال سعد: على راحتك... فالترتيبات جيدة.

وما زالت سارة في العناية المركزة، ففشل الكبد عندها قارب أن يتحول إلى فشل حاد، تم تشكيل لجنة وأحد أعضائها الدكتورة سوسن، وتم ترشيحها لأن تكون المشرفة على الحالة، وبعد مشاورات تقرر الولادة المبكرة للجنين، والبحث عن متبرع بالسرعة القصوى، وتم إعلام والدها خالد الذي أسرع لعمل الفحوصات ومعه زوجته أشواق وعندما حضر زياد وعرف بالخبر قرر عمل الفحوصات، ظهرت النتائج وجميعها غير مطابقة. وقال الدكتور: يؤسفني، لكن الإمكانات الكبيرة وبما أنها لم تتحول للحالة الحادة هذا يعطينا فرصة ويجب أن يكون لها متبرع خلال أيام فقط.

كان سعد جالسًا ومبتسمًا يرحب بالحضور، حضر إبراهيم ومعه أقاربه وكذلك نورة تكفلت في الإشراف على ضيافة النساء وكانت أختها ندى وسط النساء تبتسم لكل من تبارك.

لم يتأخر قدوم العشاء الذي تكفل به إبراهيم وكان ضمن الحضور وجعله سعد في منتصف الحوش وخصص له الكرسي الأجمل، وكان في جانبه، وعندما وصلت الساعة الحادية عشرة انتهى حفل الزواج والجميع غادر. دخل سعد إلى غرفته وبدأ الترحيب بها وكانت قريبة من أطباع أختها نورة وبساطتها توافق ما رغب به سعد، وكانت ليلة أعادت توازن بيت سعد، حرص طلال أن ينام في المجلس الخارجي حتى لا يحرج زوجة أبيه، وكعادته قبل نومه يفتش هاتفه وشاهدته سحر متصل الآن، وقالت: إذا لم تنم تفضل عندنا فنحن في حوش السطح وفعلًا صعد، كانت مع أولادها فصالح ينام باكرًا، وقالت بعدما قدمت له الشاي: يبدو أنك سعيد لوالدك؟ قال: أحب أن أجده مرتاحًا. ثم قالت: هناك خبر قد يزعجك. قال: ماذا يا خالتي؟ قالت: سارة... قاطعها وقال: سافرت وسعيدة وسمعت أنها حامل وماذا بعد؟ قالت: لماذا

تنفعل؟ قال: هذا أغلب حديثك. قالت: لا أبدًا وفتحت حالة الواتس اب من والدتها أشواق انظر (من يعرف متبرعًا في جزء من الكبد يتصل فحالة ابنتي سارة خطيرة لديها فشل حاد في الكبد) رسالة أربكته وقف سريعًا وقالت: أين تذهب قال: ها... لا أدري!!! أرجوك اتصلي عليها.

قالت وهي تناظره في استغرب: في هذا الوقت لا أعتذر. استأذنها وخرج وخطرت في باله خلود والدتها تحمل تخصص جراحة الكبد والجهاز الصفراوي وزراعة الأعضاء وهو ينزل من الدرج أرسل: نمتِ؟ وصلتها الرسالة واستغربت يرسل في هذا الوقت ورسالة هكذا وردت عليه: أهلًا دكتور ما زالت تفضل. رد سريعًا: بالإمكان اتصالي؟ قالت: حياك الله.

اتصل:

• طلال: مرحبًا خلود وعذرًا للإرسال والاتصال لكن الوضع حرج.

• خلود: أرجو أنه خير، ماذا حصل؟

• طلال: ابنة عمي حامل وحصل لها تلف حاد في الكبد وأعتقد تحتاج تبرع ليت تسألين والدتك بحكم اطلاعها وأنها مسؤولة عن عمليات التبرع وهل لديها خبر؟

• خلود: أسألها لكن والدتي نظامها محدد بعد الحادية عشر ترفض أن تستقبل اتصالات.

• طلال: الوضع خطير... أرجوك أن تسأليها

• خلود: قبل أن تتكلم سمعت باب غرفتها قالت هي خرجت الأن مع السلامة أسالها وأعود اتصل بك.

خرجت سريعًا وقالت سوسن: ما زلت سهرانة؟ قالت: سأنام لكن وصلني اتصال من أجلك وهو الدكتور طلال الدكتور الذي يعمل معنا في القسم. قالت: عرفته ماذا يريد؟ قالت: له ابنة عم اسمها سارة تقرر البحث عن متبرع وهو يسألك كيف التبرع ومكانه. قالت: أها... أنا استلمت الحالة ومعي طاقم والحالة جدًا معقدة وخطيرة تحتاج دقة كبيرة، لكنني أثق في تطور الطب عندنا في المملكة العربية السعودية، ليس هناك مستحيل لكن التبرع لا يجب

أن يتأخر وإن كان لديه رغبة يزور المستشفى ويجري الفحوصات والله يحفظ الجميع. ثم غادرت، ودخلت غرفتها خلود واتصلت على طلال، ونقلت له الخبر، شكرها وحاول أن ينام وأصابه أرق، لكنه قبل الفجر نام حتى رن منبه للعمل واستحم سريعًا ولبس ثم خرج بهدوء وما إن سجل بصمة الحضور شاهد الجدول ووجد حالات بسيطة وشكر خلود وطلب منها أن تستعجل دخولهم وتستعجل في إجراءات الفحص الأولي، ساعتان في استقبال المراجعين ثم اعتذر عن استقبال البقية بعدما شرح حالته للمدير وسمح له بالمغادرة، ورفع عذر الاستئذان عن بصمة المغادرة وخرج سريعًا إلى المستشفى ولأنه حكومي وعالمي كان كبيرًا وبعد بحث وجد القسم ومعه ورقة الفحص التي أخذها من الدكتورة سوسن المشرفة على حالة سارة واقفة فتاة تنتظر دورها وحين انتهت جاء دور طلال وبعد نهاية الفحص عاد إلى الدكتورة وبسرعة الإجراءات بمجرد وصوله كانت الفتاة واقفة وقبل أن يدخل سألها أنتِ تريدين التبرع لأجل سارة خالد. قالت: صحيح هي صديقتي. قال: جزاك الله خيرًا. قالت: وأنت تعرفها؟ قال: هي ابنة عمي.

انتظر حتى صدور النتائج ودخل إلى الدكتورة سوسن، وقالت: النتائج أمامي للأسف الفحوصات غير مطابقة. قال طلال: يا الله!!! وشعرت بخيبته وقالت: الله قادر، وهي تحت تنتظر حالتها، لكن أرجو أن تبحثوا وتجدوا متبرعًا. خرج طلال عائدًا إلى منزله، وكذلك أسماء وكانت أشواق تشكر منى على موقفها، وتبكي بحرقة حزن أشواق كبير لا يوصف. كان خالد متوترًا وطلب دكتور مساعد للدكتورة سوسن أن يراسل مستشفيات عالمية وعجز عن التفاهم وقال تفضل هنا مكتب الدكتورة المشرفة ودخل سريعًا وقدرت سوسن توتره وأخبرها بالطلب، قالت استرخ يا أخ خالد وصدقني الذي في الخارج موجود في مستشفياتنا نحن نتفوق ولو كنت في غير هذا الوطن لخسرت الجنين الذي صحته جيدة نحتاج فقط متبرعًا. أقنعته وراسل كثير من الصحف وقدم مكافئات كبيرة جدًا للمتبرع ومبلغًا كبيرًا مغريًا، وكل ما ملك لم يعد مهم واضطر بعد ساعات لعرض نصف ثروته مقابل من يتبرع.

وكل يوم كان الأمل ضعيف والخطورة تزداد حتى يوم الأحد بعدما خرج سعد من المسجد بعد صلاة الفجر وانتظره طلال عند باب المنزل وأخبره بحالة سارة وشرح له المطلوب وقال: حتى عمي منهار، انظر ماذا قدم للمتبرع. قال سعد: هي ابنتي وأنا ربيتها لا بد أن نذهب. وعند التاسعة كان طلال عائد من عمله وانتظر والده في سيارته وانطلقا، كان سعد يردد سارة بنتي وحين وصل المستشفى وصل مكتب الدكتورة سوسن وجلس في الانتظار وأخرج مسبحته وبدأ يردد: يا الله اكتب الشفاء لكل مريض.

وما إن دخلت الدكتورة سوسن استأذنها بالدخول طلال ومعه والده سعد وبادر سعد بالسلام وقال: الأطباء السعوديين حديث العالم.

قال طلال: والدي يحب أن يتبرع. سألته عن عمره، فقال ٥١ عامًا أعطته رقم الفحص وخرج إلى المختبر المخصص للفحوصات، وحين إجراء الفحوصات كان خالد حالته صعبة وأشواق تعجز عن المشي ينتظران الفرج بحزن وهو يشاهد نظرات الأطباء لابنته.

وقبل عودة سعد إلى الدكتورة سوسن وصله مسج الفحوصات جاهزة. وقال: ما شاء الله يا هذا التطور! ودخل إلى الدكتورة سوسن وقال: وصلتني رسالة.

فتحت الجهاز وابتسمت قالت: أخيرًا الفحوصات مطابقة. سجد سجود الشكر لله، قالت سوسن: العملية غدًا ويصلك اتصالات الآن تخبرك بالتعليمات، وتكون صائمًا، التأخير خطير. قال سعد: بحول الله لكن لا أريد والدها أو والدتها تعرف. قالت: هو قدم مكافئة! ضحك وقال: أنا أخوه الكبير.

قالت سوسن: أنت شهم.

وعاد إلى منزله وتم الاتصال مع سعد وتحديد موعد الحضور إلى العملية. خرجت سوسن إلى سارة وكانت أشواق نائمة على الكرسي وخالد مستند إلى الجدار، تفقدت سارة ثم التفت إلى خالد وضمت كفيها ابتسمت وقالت: وجدنا متبرعًا.

قال خالد: بصوت عالٍ حتى أوقظ أشواق له كل ما أملك أين هو؟ قالت: اهدأ. قالت أشواق: الحمد لله.

سأل طلال والده: لماذا لا تريدها أن تخبر أحدًا.

قال سعد: الله قريبًا تصلك الرسالة والظروف لا تلغي الأخوة، وبحول الله تكون العملية ناجحة، قال طلال: إن شاء الله. توقف عند منزله وعاد إلى عمله لوجود مراجعين بعد الظهر

علمت زوجة سعد بموقفه، وقالت: حفظك الله، وأدعو الله أن تمر العملية بسلامة وعافية لك ولسارة.

بندر وأماني اختارا شرق أستراليا وتحديدًا في نيوزيلندا الجولة لم تتجاوز أسبوع ونصف، ثم العودة إلى جولة في مدن المملكة، والعلاقة بينهما في تطور، أدركت أماني طيبة بندر ومحبته الصادقة التي تظهر من عينيه وصدق اهتمامه.

وعندما وصل وقت العشاء بدأ سعد في الصوم استعدادًا للعملية المحددة في صباح الإثنين، أرسل طلال إلى المدير موعد العملية واستأذن حتى يكون مع والده، وزوجة سعد طلبت من طلال أن ينام في غرفته ويعدّها أمه، قبّل جبينها وقال: وأنتِ فعلًا أمي.

كان نوم خالد متقطعًا، وأشواق أهملت صحتها وأناقتها. وتوتر خالد من المتبرع ويخشى ألّا يحضر وعند السادسة خرج ووقف أمام البوابة وصده الأمن وقال ممنوع الوقوف هنا أو الدخول وعاد إلى منزله. وعند الثامنة صباحًا خرج سعد مع طلال إلى المستشفى ٣٠ دقيقة وصلا وأشار طلال للأمن عن موعد العملية ودخلا، المستشفى رغم أنه كبير لكنه منظم جدًا، وصلا القسم وطلبت الممرضة رقم الكرت الطبي ثم أشارت له في الغرفة الثانية انتظر وأعطته ملابس مخصصة للعملية وتم احضار سارة وقال سعد: كتب الله لها الشفاء وقبل التخدير يشرح الدكتور مدة العملية وأنها تحتاج ساعات والوضع سيكون جيد وعند الحادية عشرة صباحًا بدأت العملية.

وخشية أن يحضر خالد قسم العمليات غادر المكان طلال وذهب لمقهى قريب بعدما عرف الوقت ولأن سعد طلب من سوسن عدم معرفة خالد بالمتبرع أصدرت تعليماتها ممنوع الانتظار أمام البوابة والمريض في حال خروجه تتم الإفادة، عاش خالد حالة صعبة وكانت ريم وأسماء تنتظران معه، قال خالد: يا بنتيّ الوقوف متعب

واذهبا إلى منازلكما. وقالت أشواق: اسمعا الكلام والحمد لله وجدنا متبرعًا، وإن أخذ كل أموالنا يكفينا سارة سالمة وحين وصلت الساعة الرابعة مساء

خرجت سوسن ومعها الطاقم الطبي، وقف خالد وقال: طمنيني!!! قالت: مبارك العملية ناجحة وأمورها ميسرة، وقريبًا تخرج لكم من الإفاقة وأمورها جيدة. حضن خالد زوجته واتصلت على أسماء وريم.

استغرب خالد من المتبرع لماذا لم يطلب جزءًا من المال؟ وقال في نفسه: الأهم وجدنا المتبرع وأثناء انتظاره لسارة وجد طلال أمامه وأعتقد أنه يعمل في المستشفى. وقبل أن يسلم قال: طلال بنتي تصارع الموت وأنت بعد رسالة الغرام لا التفت إليك. لكن أين أخي الكبير سعد؟ يا خسارة!!! وقبل أن يتجاوزه قال طلال: سعد الذي أنقذ حياة سارة بعد قدرة الله. قاطعتهما أسماء وقالت: مبارك أنت طلال صح؟! انظر إلى القدر كنت تفحص وأنا أفحص والنتائج لم تتطابق. والتفتت إلى خالد وقالت: مبارك.

وقال: الحمد لله. وقبل مغادرة طلال أمسك يده وقال: المتبرع هو سعد؟؟؟ وأنت فحصت؟؟؟

كاد أن يفقد توازنه فاضطر أن يستند إلى ركبته ليحافظ على نفسه، ساعده طلال وقال: صحيح وبالنسبة للرسالة كان الهدف شريفًا، أمّا الآن من حقّها عليّ أن أناديها أختي. هزّ رأسه خالد وقال: ياه يا طلال كيف أجازي سعد؟؟؟ ونزلت دمعته والتفت لقدوم أشواق واستغربت من دموع خالد، وقال: المتبرع يا أشواق هو سعد، وقبله طلال حاول... جلس على الكرسي وضع كفيه على رأسه، وقال: سعد أعادني إلى الحياة من جديد. وقبل المغادرة قال خالد: طلال اسمع سارة تحب والدتك كثيرًا، وأثناء سفرها لم أخبرها بوفاة والدتك. وقالت أشواق: لقد تأثرت كثيرًا عندما علمت. وكان رد طلال: الحمد لله.

كانت سارة تصحو وتنام، بينما سعد كان يقول للممرضة: رأسي سينفجر أريد قهوة. ولا تفهم ثم يسألها عن سارة، تعرف الاسم وتأشر بيدها أنها جيدة، ويفتح خالد الستار ويرى سارة تصحو وتنام ويقبّل جبينها وكفيها، ثم يذهب إلى سعد، كان طلال واقفًا

وممسكًا يده ويدخل خالد لا يتمالك نفسه ويقبّل كفي سعد وجبينه ويقول: حتى أموت لا أنسى ماذا قدمت.

قال: ابتعد قليلًا أشعر بألم وسارة بنتي وأنت أخي والمواقف لا تصد عنها وأنا أثق من دواخلك والمهم علاقتنا لا تتقطع قال خالد: أكيد يا تاج رأسي.

لحظات وتم نقل سارة وسعد في جناح الدور ٢٣ الغرفة ٩ وبدأت سارة تستعيد وعيها وتتحدث مع أمها وصديقتها ريم وأسماء ووالدتها منى وبينما خالد كان عند سعد وطلال وحضر مشاري وصالح وحضر زياد ووالده فهد وأمه جواهر التي كانت في قسم الحضانة تنظر لولد ابنها من بعيد ولأول مرة يصادف زياد طلال، سلم عليه وقبّل جبين سعد وحمد الله على سلامته وهناك بعد أن عبرت عن سعادتها بسلامة سارة كانت تصف الطفل الجديد وقالت ريم تم اختيار اسم له؟

قالت: سارة لا أعرف لكن المؤكد اليوم نختار له اسم. وقالت جواهر: المهم أنكما بخير.

وكانت أسماء قريبة من سارة وقالت لها: عن طلال وموقفه وكم كان حزينًا والفحوصات بنفس اللحظة أنا وهو لم تتطابق. قالت سارة: كتب الله لكِ زوجًا مثل طلال.

ابتسمت أسماء وقالت: سعيدة أنكِ بخير.

قال زياد: الاتصالات تصلني عن اختيار اسم الطفل؟

قال فهد: بعد موقف سعد لا أجد أجمل من أن نسمي الطفل باسمه، سعد ما رأيكم؟ الجميع بارك ومنهم طلال.

قال: وفقك الله يا أبا سعد وعندما انتهت الزيارة خرج الجميع، وتبقى طلال وقبل خروجه سمع صوت سارة تناديه ومن خلف الستار حمد الله على سلامتها.

وقالت: أنا فخورة بك والتعب صار خير حتى يعود والدي لأخيه.

وقال: وأنتِ الآن أختي الوحيدة. قالت: لأختك طلب.

قال: تفضلي قالت حتى تعود لي العافية سأخطب لك من تستحقك صديقتي أسماء.

قال: لا أرد طلبك والمهم انتبهي إلى صحتك وغادر المكان.

وبعد أربعة أشهر عادت سارة إلى صحتها وأقام خالد احتفالًا كبيرًا بسلامة عمها سعد وأيضًا في تحسن صحتها، كانت تنشغل في سعد الصغير ودائمًا ما تحضر جواهر عندها لأنها تحبه وترفض أن يكون له مربية، وتطلب من سارة أن تخرج لعملها وتتركه عندها وأصبح الطفل الرضيع له مكانة عند بيت خالد وفهد، تواصلت سارة مع عمها سعد وتخبره بأنها سبق وفاتحت طلال بموضوع زواجه ووجدت له زوجة تعرفها جيدًا، وكان سعد في عمله وقال: يسعدني ويوم زواجه أحلى أيام عمري، واليوم أتحدث معه. قالت: لماذا ترفض طلب والدي بأن يشتري لك منزلًا. قال: أحببت الحارة اللقاء بيننا كل جمعة حتى زوجتي ندى مرتاحة في الحارة، كما أنها أصبحت صديقة والدتك وأعدك سأتحدث مع طلال.

سبق أن تحدثت سارة مع صديقتها أسماء واستشفت عدم ممانعتها، ترقب سعد قدوم طلال وحتى سمع صوت الباب قال: الله يجعله يقتنع. وطلب من ندى إذا حضر أن تخرج حتى يتكلم

معه بهدوء. وقال سعد: بعد رد السلام اجلس يا طلال هناك موضوع لا يحتمل التأجيل.

قال: خيرًا إن شاء الله.

قال: هناك فتاة معلمة ومن أسرة كريمة وأنت صادفت والدها وهي صديقة سارة، وسارة حريصة أن تكون هذه الفتاة زوجتك.

قال طلال: لا أمانع والحقيقة أغلب زملائي تزوجوا، وبلغ تحياتي إلى سارة، وأنا جاهز.

قال سعد: بارك الله بك. اتصل سعد على سارة وقال: طلال موافق، متى نخطب له؟

قالت سارة: أحدد معهم وخلال يومين سأكون في انتظاركم.

قال سعد: أنتظرك وكتب الله الخير.

اتفقت سارة مع أسماء وكلمت والدتها منى وأعطت خبرًا إلى زوجها عبد العزيز وابنها علي وتم اختيار موعد بعد يومين وبعد صلاة المغرب اتصلت سارة على عمها سعد وأعطته الموعد وأرسلت له موقع البيت.

وكان اليوم هو الجمعة وهو اجتماع العائلة الأسبوعي، انطلق طلال معه والده سعد وزوجته ندى وكان الطريق غير مزدحم والوصول بعد ٢٧ دقيقة وجهز خالد الحديقة ودخلت ندى عند أشواق وجلس سعد مع خالد وطلال وحضر زياد ومعه سارة وذهب سعد للسلام عليها وقبل جبين سعد الصغير وبعد أن سلم زياد جلس الجميع وقال خالد: رفضت المنزل وأنت أخي الكبير والتفت إلى طلال وقال بينما طلال ليس له حق ولن أجعله يبعد عن والده اشتريت الأرض التي أمام منزلك وقريبًا تكون جاهزة لولدي طلال، حاول طلال أن يتكلم. قال خالد: انتهى الموضوع. شكره طلال.

رن هاتف طلال أنه بندر، قام ورحب به وقال: كيف أمورك يا طلال؟ وبدأ يسأله عن أخباره بعد الزواج؟ قال: جيد وأنتظر المولود الجديد. بارك له. وقال بندر: ومتى حضرتك تنوي الزواج؟

قال طلال: قريبا جدًا. دعا له بندر بالخير وقال: أحببت سماع صوتك ونلتقي قريبًا. قال طلال: إن شاء الله.

عاد طلال وأكمل الحديث معهم وبعد العشاء جلسوا أقل من ساعة ثم استأذن سعد واتصل على ندى حتى تخرج وركبوا. وكان يوم السبت هو موعد الخطبة قال وهو يسوق: تجهزي فأنتِ أمي وقالت: يسعدني وأدعو لك بالتوفيق دائمًا. وحين وصل البيت كانت الساعة الثانية عشرة صباحًا ولأن طلال صادف ناصر اتصل عليه انتظرك في المجلس.

وقالت ندى: سأجهز لكما القهوة والشاي قال طلال: لا سنأخذ قهوة من المقهى القريب.

دخل المنزل سعد وندى، ركب ناصر مع طلال، وقال: نجلس في المقهى أفضل.

قال طلال: صحيح. طلب القهوة أخبره عن فكرة زواجه.

وقال: جميل جدًا يجب أن تتزوج.

ضحك طلال وقال: وماذا عنك؟

قال ناصر: قريبًا ما زالت خطيبتي تدرس وشرطهم أن تتم الدراسة. قال طلال: وإذا رسبت؟

قال ناصر: أنتظر وأغني أغنية الفنان راشد الماجد المسافر.

قال طلال: أنت تشبه أسلوب صديقي بندر.

وعندما وصلت الساعة ١:٣٠ صباحًا عاد طلال إلى المنزل ودخل بهدوء وانتهت الليلة ليكون فجر السبت هو موعد اجتماع سعد وصالح وإبراهيم في مجلس سعد ورغم كثرة الجدالات إلا أن النوايا صافية وهذا ما يميز أصحاب النوايا السليمة، هذه المرة سبق سعد إبراهيم في احضار الفطور، وقال: أختك ندى جهزت لنا فطورًا قديمًا.

واتصلت ندى بسعد ذهب وجدها رتبته في المجلس الصغير.

قال: تفضل يا أبا ناصر ويا صالح وأعجبهم الفطور، وعند الساعة التاسعة غادر صالح إلى شقته ووجد سحر قد استيقظت، فقال: هذا المساء موعد خطبة طلال.

قالت: صحيح وباركت له، جيد أنه قرر ولكن هل تعرفهم؟

قال: لا... سمعت أنها صديقة سارة.

قالت سحر: الآن فهمت!!!

قال: ماذا فهمتِ؟

قالت: لاشي وفقهم الله. قال: صالح آمين.

عند المغرب كانت سارة في بيت صديقتها أسماء وكانت تقول منى: تمنيت حضور والدتك. قالت: المرات القادمة وأرجو عدم انقطاعك عن المعرض.

قالت منى: قريبًا أزوره وجهودك مميزة.

وكان عبد العزيز وابنه علي في انتظار قدوم طلال ووالده سعد وكانت معهم زوجة أبيه ندى، وحين وصلوا كانت صورة المنزل في هاتف سعد وقال هذا هو، وقف طلال ونزلوا من السيارة وكان في استقبالهم علي ودخلت ندى داخل البيت ورحب عبد العزيز بحضورهم.

كانت منى ترحب بندى وتقول: أنتِ والدة طلال؟ قالت سارة: نسيت أن أخبرك والدة طلال متوفية وهذي زوجة أبيه اسمها ندى. رحبت بها وشكرتها ندى. وكانت تنظر إلى أسماء وتقول: ما شاء الله. وحين بدأ الحديث عن الزواج، قال سعد: يا أبا علي نتشرف

أولًا بدخول منزلك وجعله الله عامرًا بالخير. قال عبد العزيز: جزاك الله خيرًا. تابع سعد: ثم نتشرف أن نخطب ابنتك أسماء لابني طلال وهو دكتور وكتب الله لنا ولكم الخير. رد عليه عبد العزيز: أنت سمعتك ممتازة يا أبا طلال. والتفت إلى طلال وقال: إن شاء الله وجهه خير وحفظه الله لكم. وذهب طلال مع علي إلى الرؤية الشرعية وكان الخجل مسيطر على أسماء وحين عاد ثم جلس، وقال عبد العزيز: إن شاء الله يصل لكم الجواب. حاول أن يستأذن سعد ورفض عبد العزيز وقال: العشاء قادم وبعد العشاء خرج سعد وطلال وندى إلى المنزل، وكانت ندى تمتدح البنت، وقال طلال: كتب الله الأصلح.

مضى يومان وأثناء انشغال طلال في عمله في المستشفى وصل اتصال من والده يبشره ويطلب منه أن يستعد غدًا لعقد القِران، صادف خلود سألها عن والدتها وقالت: بخير ما زالت في الرياض وقريبًا عندها زيارة إلى منطقة القصيم، وطلب منها أن تبلغها السلام.

وقالت: إن شاء الله وحضر مراجع وانشغل معه طلال.

وحين عاد إلى منزله أخبره والده سعد أن عمه خالد سيكون في منزل عبد العزيز وسيذهب معنا صالح شاهد أيضًا على الزواج. قال طلال: إن شاء الله.

وأخذ قسطًا من الراحة وبعد صلاة المغرب ذهب برفقة والده وصالح إلى منزل عبد العزيز وقد سبقهم خالد الذي تكفل في العشاء وأصر على عبد العزيز، لحظات سعيدة تم بها عقد القِران، ودار حديث بين علي وطلال ثم طلب رقم هاتف أسماء وقال: تفضل وأرجو لكم التوفيق والسعادة.

وبدأ الحديث عن الزواج وقال خالد: بعد إذنك يا أخي الكبير سعد بدأت في بناء منزل لطلال والمتوقع ينتهي بعد ستة أشهر وأثاثه معه وهي هدية الزواج.

وقال سعد: طلال ابنك وأسماء بنتك.

قال طلال: شكرًا يا عمي واتفقوا على الزواج بعد في العطلة القادمة وتبقى عليها ستة أشهر تناسبًا مع الانتهاء من أعمال المنزل.

وخلال الأشهر تواصل طلال مع أسماء وكان الشعور لطيفًا، استغرب من انجذابه وكان يسأل نفسه هل أتصورها سارة أم هي فعلا تختلف ومميزة؟ وكانت علاقة مميزة وجددت ما انطفأ في زمن مضى، كانت الأيام جميلة وتعد بأيام قادمة تصون علاقة اليوم، وتحفظ المروءة ذكريات ستبقى خالدة.

وقبل موعد زواج طلال بأسبوع كان المنزل جاهزًا في أدق تفاصيله وحجز قاعة أفراح كبيرة وقدم الدعوة لكل الأصدقاء والزملاء وكان فيصل وناصر وصالح وعماد ومشاري وامتلأت قاعة الأفراح ودخل طلال صالة النساء، بعد أن نبهت بقدومه زوجة أبيه ندى «المعرس يدخل» دخل طلال ليوثق لقاء زوجته أسماء، وهي تناظره حتى وصلها، وأمسك كفيها وقبّل جبينها، سقطت دمعة سارة التي حاولت أن تتظاهر بانشغالها مع طفلها سعد، وداخلها يبكي من قطيعة العاشقين.

النهاية...